

موكب الإباء

من كربلاء إلى الكوفة إلى الشام

بالخرائط والصور

الدكتور لبيب بيضون

مؤسسة البلاغ

دار سلوني



موكب الإباء

من كربلاء إلى الكوفة إلى الشام



الدكتور لبيب بيضون

موكب الإباء

من كربلاء إلى الكوفة إلى الشام



بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م

مؤسسة البلاغ
للطباعة والنشر والتوزيع

بئر العبد - مدخل مدرسة حارة حريك الرسمية الثانية - بناية فوعاني - الطابق الأول
ص.ب: ١١ - ٧٩٥٢ بيروت ٢٢٥٠ - ١١٠٧ - هاتف: (٠٢/٥١٤٩٠٥) - تلفاكس: ٠١/٥٥٣١١٩ لبنان
الموقع الإلكتروني: www.albalagh-est.com
E-mail : Albalagh-est@hotmail.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ

ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ

ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ

صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ

غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ

مقدمة

حدثت موقعة كربلاء يوم العاشر مِن المحرّم أوائل سنة ٦١ للهجرة، الموافق للعاشر مِن شهر تشرين الأول سنة ٦٨٠م، وكان الجوّ حاراً جداً، وقد منع أعداء الحسين عنه وعن أهله وأصحابه جميع مقوّمات الحياة، حتى الماء والغذاء، بعد أن طرحوهم في صحراء كربلاء، حيث لا شجر ولا كلأ ولا مـاء.

وأسفرت الموقعة الفاصلة عن استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وجميع أنصاره وعددهم ٧٢؛ منهم ١٧ مِن أبنائه وإخوته وأبناء عمومته، والباقي مِن الأصحاب؛ الذين تسابقوا إلى الشهادة في سبيل المبدأ، وآثروا الموت قبل أن يبرز للقتال أيٌّ فرد مِن أهل البيت عليهم السلام.

وبعد انتهاء المعركة حُملت الرؤوس إلى والي الكوفة عبيد الله بن زياد، وأودع السبايا في السجن. ثمّ جاء الأمر مِن يزيد مِن دمشق بتسيير

الرؤوس والسبايا مِن أطول طريق آهل بالسكان؛ فسُيِّروا مِن الكوفة إلى الموصل شمالاً، ثمّ إلى حلب غرباً، ثمّ إلى بعلبك فدمشق جنوباً، في رحلة طولها ١٤٠٠ كم.

وفي النصف مِن شهر صفر كان يزيد على موعد مع السبايا وزين العابدين عليه السلام لتوديعهم قبل توجههم إلى المدينة المنورة، حيث منازلهم ومدينة جدهم صلى الله عليه وآله وسلم.

فقال لزين العابدين عليه السلام وهو يحاول استرضاءه: وعدتُك بقضاء ثلاث حاجات، فاذكرها.

فقال عليه السلام معدداً ثلاث حاجات هي:

الأولى: أن تريني وجه سيدي ومولاي وأبي (الحسين) عليه السلام، لأتزوّد منه وأودّعه.

الثانية: أن تردّ علينا ما أُخذ منا [في كربلاء].

الثالثة: إن كنت عزمت على قتلي، فوجّه مع هؤلاء النسوة مَن يردّهن إلى حرم جدّهن صلى الله عليه وآله وسلم.

فقال له يزيد: أما وجه أبيك فلن تراه أبداً. وأما قتلك فقد عفوت عنك، فما يوصلهم إلى المدينة غيرك. وأما ما أُخذ منكم، فأنا أعوّضكم عنه أضعافَ قيمته.

ثمّ ردّ يزيد السبايا وزين العابدين عليه السلام مع النعمان بن بشير الأنصاري إلى المدينة المنورة.

فيكون موضوع كتابنا هو: مسيرة الرؤوس والسبايا مِن كربلاء إلى

المدينة المنورة، ويشمل ذلِكَ أربع مراحل متميّزة:

١. تسييرهم أولاً مِن كربلاء إلى الكوفة.

٢. تسييرهم في الطريق الطويل مِن الكوفة إلى الشام.

٣. تسييرهم داخل دمشق.

٤. تسييرهم مِن دمشق إلى المدينة المنورة.

الفصل الأول

مسيرة أهل البيت (عليهم السلام)
مِن كربلاء إلى الكوفة

حوادث بعد الشهادة

ما أن فاضت روح الإمام الحسين عليه السلام مسرعة إلى الرفيق الأعلى، زاهدةً بالدنيا الفانية وأهلها، حتى لبست الدنيا ثوبَ الحِداد على سيد الشهداء عليه السلام، فبكت عليه الأرض والسماء والملائكة والجن.

وحدثت آيات كونية تدلّ على منزلة الحسين عليه السلام ومركزيته في هذا الكون.

خبر القارورة

وفي الأثناء كانت القارورة التي قد أودعها النبي صلى الله عليه وآله عند أم سلمة، وهي مليئة بتراب مِن كربلاء، كانت تفور دماً قانياً، فعلمت منه أم سلمة أن ريحانة الرسول صلى الله عليه وآله قد استشهد. فأبلغت أهل المدينة بالنبأ قبل وصوله، فبدأت بيوت المُسْلِمين فيها بإقامة العزاء عَلى فقيدها الغالي.

وإذا حزنت أم سلمة رضي الله عنها وأهل المدينة عَلى مقتل الحسين عليه السلام، فكيف لا يحزن عليه جده النبي صلى الله عليه وآله وأبوه علي عليه السلام وأمه الزهراء عليها السلام، وهم في عالم الخلود يرزقون!. وإذا كنا مسلمين حقاً،

فمَن منا لا يحزن لحزن النبي وأهل البيتعليهم السلام، ومن لا يبكي عَلى مصابهم؟!.

واللّـهُ أوصانا على لسان نبيّه بقوله ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾.

نهب الخيام

وكان مِن أبرز المجرمين الذين اقترفوا هذه الآثام، إضافة إلى (عمر بن سعد) ثلاثة هم: شَمِر بن ذي الجوشن الضبابي، وخَوْلي بن يزيد الأصبحي، وسنان بن أنس النخعي، وهم الذين اشتركوا فعلياً بقتل الحسينعليه السلام.

وأقبل الأعداء بقيادة شَمِر بن ذي الجوشن حتى أحدقوا بخيمة أهل البيتعليهم السلام وفيها النساء والأطفال، فقال: ادخُلوا فاسلبوهنّ.

فدخل القوم فأخذوا كلّ ما كان في الخيمة.

يقول الحجة السيد محسن الأمين: ومال الناس على الورس والحلل والإبل فانتهبوها، ونهبوا رحله وثَقَله وسلبوا نساءه.

سلب النساء

قال الميانجي: وفي بعض الكتب وفي (البحار) أيضاً: قالت فاطمة الصغرى بنت الحسينعليه السلام: كنتُ واقفةً بباب الخيمة، وأنا أنظر إلى أبي وأصحاب أبي، مجزّرين كالأضاحي على الرمال، والخيول على أجسادهم تجول، وأنا أفكر فيما يقع علينا بعد أبي، مِن بني أمية؛

أيقتلوننا، أو يأسروننا؟!.

فإذا برجل على ظهر جواده [لعله خَولي] يسوق النساء بكعب رمحه، وهنّ يَلُذْنَ بعضهنّ ببعض، وقد أُخذ ما عليهن مِن أخمرة وأسورة، وهنّ يصحن: وا جداه، وا أبتاه، وا علياه، وا حسناه، وا قلة ناصراه. أما مِن مجير يجيرنا؟. أما مِن ذائدٍ يذود عنا؟!.

(إلى أن قالت): فما رجعنا إلى الخيمة إلا وقد نُهب ما فيها، وأخي علي ابن الحسين عليه السلام مكبوب على وجهه لا يطيق الجلوس؛ مِن كثرة الجوع والعطش والأسقام، فجعلنا نبكي عليه ويبكي علينا!.

حرق الخيام

ولما ارتفع صياح النساء، غضب اللعين عمر بن سعد، وصاح: يا ويلكم اكبسوا عليهن الخباء، وأضرموها ناراً واحرقوها وما فيها.

فقال رجل منهم: ويلك يابن سعد، أما كفاك قتل الحسين عليه السلام وأهل بيته وأنصاره، عن حرق أطفاله ونسائه؛ لقد أردتَ أن يخسف اللّهُ بنا الأرض. فتبادروا إلى نهب النساء الطاهرات.

قال الراوي: ثم أُخرج النساء مِن الخيمة، وأشعلوا فيها النار. فخرجن حواسر مسلَّبات، حافيات باكيات، يمشين سبايا في أسر الذلة.

والحاصل أنهم أحرقوا الخيم، ونهبوا ما فيها، وسلبوا الفاطميات.

وبعد حرق الخيام جنّ الليل، فطلبت العقيلة زينب عليها السلام مِن عمر ابن سعد أن ينصب لها خيمة لتؤوي فيها النساء والأطفال.

وبات السبايا والأطفال بحماية زينب عليها السلام ليلة الحادي عشر مِن

المحرم في خيمة منفردة، ومعهم الإمام زين العابدين عليه السلام يعالج تباريح المرض.

واستطاعت العقيلة عليها السلام أن تتحمل كلّ هذه المآسي والآلام وتواجه كلّ هذه الكوارث، بقلب متين وجنان رزين، حتى سمّيت (بطلة كربلاء).

حوادث مأساوية

بعد أن استشهد الإمام الحسين عليه السلام بعد ظهر اليوم العاشر مِن المحرم، وقبل حلول الظلام، تمّ سلب الحسين عليه السلام ونهب خيامه. ثمّ رضّوا صدره الشريف بسنابك الخيل، ثمّ حمل خَولي رأسه إلى حاكم الكوفة عبيد الله بن زياد.

عدّ الرؤوس

وبينما كان القمر ينير صفحة السماء والأرض، كان جنود عمر بن سعد يعدّون رؤوس الشهداء عليهم السلام، ويعيّنون قاتليهم، حتى ينالوا الجوائز. وتحت جُنح الليل ساروا بالرؤوس وعددها ٧٢ رأساً، إلى أن أوصلوهم إلى عبيد الله ابن زياد في الكوفة.

النساء يتجمعن حول جسد أبي عبد الله الحسين عليه السلام

لما أحرقوا خيم الحسين عليه السلام جاءت زينب عليها السلام إلى زين العابدين عليه السلام وقالت له: ماذا نصنع؟.

قال: هِيموا عَلى وجوهكم في البيداء!.

فأقبلن إلى مصرع أبي عبد الله الحسين عليه السلام وأحطن بجثمانه الطاهر؛ واحدة تمسح عنه التراب، وأخرى تظلله عن حرارة الشمس، والثالثة تصبغ شعرها بدمه.

كأن الشاعر قد أطلّ عليهن في ذلِكَ اليوم فوصف حالهن فقال:

فواحدةٌ تحنو عليه تشمّه
وأخرى عليه بالرداء تظلّلُ
وأخرى بفيض النحر تصبغ شعرها
وأخرى تفدّيه وأخرى تقبّل
وأخرى عَلى خوف تلوذ بجنبه
وأخرى لِما قد نالها ليس تعقل

زينب عليها السلام تطلب مِن عمر بن سعد خيمة لإيواء النساء والأطفال

قال بعض المؤرخين: بعثت الحوراء زينب عليها السلام طفلين مِن أطفال أبي عبد الله الحسين الصغار، قالت لهما: امضيا إلى معسكر ابن سعد، وقولا له: إن عمتنا زينب تقول: إن أصحابك أحرقوا خيامنا كلها، وهذا الليل قد غشينا، فأمُر أصحابك أن ينصبوا لنا خيمة حتى نجمع بها الأطفال والعيال سوادَ هذه الليلة.

ذهب الطفلان، والحزن والانكسار بادٍ عليهما، حتى وصلا إلى عمر بن سعد، وأبلغاه مقالة عمتهما زينب عليها السلام. فأمر عمر بن سعد أصحابه، فضربوا خيمة. فجمعت زينب عليها السلام الأطفال والعيال في تلك الخيمة، ووقفت هي عَلى يمينها، وأم كلثوم عَلى شمالها، وجعلت

تتفقّد النسوة والأطفال، إذ افتقدت الربابَ زوجة الحسين عليه السلام. فخرجت في طلبها تنادي: رباب كلّميني، في أي وادٍ أنت؟.

الرباب تبحث عن طفلها الرضيع

إلى أن وصلت إلى مصرع الحسين عليه السلام فرأتها جالسة هناك.

قالت لها: ماالذي أخرجك في هذا الليل؟.

قالت: سيدتي لا تلوميني. لما جنّ عليّ الليل درّت عليّ محالبي، وأوجعني صدري، فجئت إلى رضيعي لعلي أجد فيه رمق الحياة، فوجدته مذبوحاً مِن الوريد إلى الوريد.

يقول الشيخ محمّد تقي الجواهري مصوّراً مناجاة الرباب لابنها الذبيح عبد الله:

بُنَيَّ أَفِقْ مِن سكرة الموت وارتضعْ
بثدييك علّ القلب يهدأ هائمهْ
بنيّ لقد دَرّا وقد كظّك الظما
لعلك يُطفى مِن غليلك ضارمه
بنيّ لقد كنت الأنيس لوحدتي
وسلواي إذ يسطو مِن الهم غاشمه

منظر يفطّر الفؤاد ويفتّ في الأكباد

تقول بنت الشاطئ: مع غروب شمس العاشر مِن المحرم، كانت الدماء تلطخ ثرى كربلاء، وتنعكس الأنوار المنبلجة منها عَلى الأفق،

فتكسبه حمرة وردية لم تُرَ فيه مِن قبل. تلك الدماء الزكية التي تجري مِن الأشلاء المتناثرة عَلى الربى والسهوب، وقد جُرّدت منها الرؤوس، تسطع منها أنوار العزة والشهادة، وتفوح منها رائحة الجنة والخلود.

ولاح القمر مِن وراء الغيوم خابي الضوء شاحبه، وعلى ذلِكَ الضوء الشاحب بدت (زينب) في نفر مِن الصبية، وجمعٍ مِن الأرامل والثواكل، عاكفات عَلى تلك الأشلاء، يلتمسن فيها ذراع ولد حبيب، أو كتف زوج عزيز، أو قدم أخ غال.

وغير بعيد منهن كان عسكر (ابن زياد) يسمرون ويشربون، ويحصون عَلى ضوء المشاعل ما قطعوا مِن رؤوس، وما انتهبوا مِن أسلاب.

وما أن خيّم الظلام حتى كانت رؤوس الشهداء الأبرار والمُؤْمِنِينَ الأحرار تُحمل عَلى رؤوس الرماح، إلى عُبيد الله بن زياد في الكوفة.

وكان الوحيد الذي لم يقطع رأسه هو الحر بن يزيد، الذي أخذته قبيلته بنو تميم فدفنوه في (النواويس) على بعد ميل مِن كربلاء.

تسيير الرؤوس من كربلاء إلى الكوفة

تسيير رأس الحسين عليه السلام مع خَولي[1]

وسرّح عمر بن سعد مِن يومه ذلِكَ ـ وهو يَوم عاشوراء ـ برأس الحسين عليه السلام مع خولي بن يزيد الأصبحي وحميد بن مسلم الأزدي، إلى عُبيد الله بن زياد.

أقول: المسافة مِن كربلاء إلى الكوفة نحو ٧٢ كم، وتحتاج في قطعها إلى أكثر مِن يَوم كامل، فيكون وصول الرأس الشريف إلى الكوفة مساء اليوم الحادي عشر مِن المحرم.

ولما وجد خولي قصر الإمارة في الكوفة مغلقاً، عمد إلى تبييت الرأس الشريف في داره كما سترى. وفي صبيحة اليوم التالي [١٢ محرم] كان خولي مع الرأس يدخل القصر، ليأخذ الجائزة مِن ابن زياد.

---

(١) لواعج الأشجان للسيد الأمين، ص ١٧٢

مسجد الحنّانة أول منزل نزل به رأس الحسين عليه السلام[1]

في (نفس المهموم) قال الشيخ عباس القمي: وفي ظَهر الكوفة عند قائم الغريّ، مسجد يسمى بالمسجد الحنانة، فيه يستحب زيارة الحسين عليه السلام، لأن رأسه عليه السلام وضع هناك، ومن هناك حُمل إلى عُبيد الله بن زياد.

ولما جيء برأس الحسين عليه السلام مِن كربلاء إلى الكوفة، ووصل هناك وقد مضى مِن الليل شطره، فوضع الحامل اللعين الرأس المبارك في ذلِكَ المقام، وهذا أول منزل نزل به رأس الحسين عليه السلام في طريق الكوفة، بقي غريباً وحيداً

في ذلِكَ المقام. ثم بنوا مسجداً في ذلِكَ المكان، وسمي بالمسجد الحنّانة. وقيل سمّي بالحنانة لأنه لما وضع رأس الحسين عليه السلام فيه، سُمع مِن الرأس الشريف حنين وأنين إلى الصباح.

أقول: إن هذا المسجد يقع في زماننا داخل مدينة النجف، وتسمى تلك المنطقة بالحنّانة. وتقع النجف في ظاهر الكوفة مِن الجهة الغربية عَلى بعد عدة كيلومترات.

مبيت الرأس الشريف في دار خَولي[2]

(وجاء خولي بالرأس الشريف) فوجد باب القصر مغلقاً، فأتى بالرأس إلى منزله، فوضعه تحت إجّانة[3]، ودخل فراشه.

---

(١) معالي السبطين للمازندراني، ج٢ ص ٥٦

(٢) لواعج الأشجان للسيد الأمين، ص ١٧٢

(٣) الإجانة: هي الوعاء الّذي يعجن فيه العجين، ويسمى اليوم المعجن.

وكان لخولي امرأتان: امرأة أسدية، وامرأة حضرمية يقال لها النَّوّار، وكانت تلك الليلة ليلة الحضرمية، فأوى إلى فراشها.

فقالت له: ما الخبر؟.

فقال: جئتك بغِنى الدهر، هذا رأس الحسين ابن علي معك في الدار.

فقالت: ويلك، جاء الناس بالذهب والفضة، وجئت برأس ابن بنت رسول الله ﷺ!. واللهِ لا يجمع رأسي ورأسك وسادةٌ أبداً. وقامت مِن الفراش فخرجت إلى الدار...

قالت: فما زلت واللهِ أنظر إلى نور يسطع مثل العمود مِن الإجّانة إلى السماء، ورأيت طيوراً بيضاً [لعلها الملائكة] ترفرف حولها وحول الرأس.

فلما أصبح خولي، غدا بالرأس إلى ابن زياد.

وفي (البداية والنهاية) لابن كثير، ج ٨ ص ١٩٠:

إن زوجته [العيّوف] رأت النور يسطع مِن تحت الإجانة إلى السماء، وطيوراً بيضاً ترفرف حولها، وأن زوجته الأخرى النوّار بنت مالك، قالت له: أتيت برأس ابن رسول الله ﷺ، لا يجمعني وإياك فراش أبداً، ثم فارقته.

يقول السيد المقرم في مقتله، ص ٣٩١:

وكان منزل خَولي عَلى فرسخ [نحو ٦ كم] مِن الكوفة، فأخفى الرأس عن زوجته الأنصارية [وكان اسمها العيّوف]، لِما يعهده مِن موالاتها لأهل البيت عليهم السلام، إلا أنها لما رأت مِن التنور نوراً راعها

ذلِكَ، إذ لم تعهد فيه شَيْئاً. فلما قربت منه سمعت أصوات نساء يندبن الحسين عليه السلام بأشجى نُدبة. فحدّثت زوجها وخرجت باكية، ولم تكتحل ولم تتطيب حزناً عَلى الحسين عليه السلام.

خولي يطلب الجائزة مِن ابن زياد[1]

وعند الصباح غدا [خَولي] بالرأس إلى قصر الإمارة، وقد رجع ابن زياد في ليلته مِن معسكره بالنُّخَيْلَة، فوضع الرأس بين يديه وهو يقول:

اِمـــلأ ركـابـي فـضـةً أو ذهبا
إنـــي قـتـلـت الـسـيـد المحجبا
وخيرهم مـن يـذكـرون النسبا
قـتـلـتُ خـيـر الـنـاس أمّـــاً وأبـا

فساء ابنَ زياد قوله أمام الجمع، فقال له: إذا علمت أنه كذلك فلمَ قتلته؟.

والله لا نلت مني شَيْئاً.

توضيح:

يظهر مِن الروايات السابقة أن الرأس الشريف قد حمله خولي إلى الكوفة قبل ورود السبايا بيوم، ودخل به عَلى ابن زياد يطلب الجائزة. لكن روايات أخرى تذكر دخول السبايا والرؤوس إلى الكوفة معاً ومعها الرأس الشريف. ولا يمكن إزالة التعارض بين الأمرين إلا بافتراض أن خولي بعد إدخاله الرأس عَلى ابن زياد، عاد فأرجعه ودخل به مع ركب السبايا والرؤوس.

---

(١) مقتل الحسين للمقرم، ص ٣٩٢

تسيير السبايا من كربلاء إلى الكوفة

تسيير السبايا

وفي اليوم الحادي عشر مِن المحرم، جاء الأمر بتسيير السبايا إلى الكوفة بعد أن مرّوا بهم على أجساد الشهداءعليهم السلام. والمسافة مِن كربلاء إلى الكوفة نحو ٧٠ كم.

وكان ركب السبايا يشمل الإمام زين العابدينعليه السلام وعشرين امرأة و١٢ طفلاً.

يقول المؤرخ الإنكليزي الشهير (جيبون): إن مأساة الحسينعليه السلام المروّعة، بالرغم مِن تقادم عهدها وتباين موطنها، لابدّ أن تثير العطف والحنان في نفس أقلّ القرّاء إحساساً، وأقساهم قلباً.

السبايا والرؤوس في الكوفة

ورود السبايا والرؤوس عَلى الكوفة[1]

قال الفاضل الدربندي في (أسرار الشهادة): فلما وصل عسكر ابن زياد (بالسبايا والرؤوس) إلى الكوفة (مساء ١٢ محرم) غابت الشمس، فلم يتمكنوا مِن أن يدخلوا الكوفة بأجمعهم، فنزل طوائف منهم مِن الحرسة والموكلين عَلى السبايا والرؤوس المطهرة في خارج الكوفة، وضربوا الخيام والفساطيط مِن ناحية، وأنزلوا السبايا وأهل بيت رسول الله ﷺ مِن ناحية أخرى.

وصف كيفية دخول الرؤوس والسبايا[2]

روى سهل بن حبيب الشهرزوري قال: كنت قد أقبلت في تلك السنة أريد الحج إلى بيت الله الحرام، فدخلت الكوفة فوجدت الأسواق معطلة

---

(١) وسيلة الدارين في أنصار الحسين للزنجاني، ص ٣٥٤

(٢) مدينة المعاجز للشيخ هاشم البحراني، ص٢٧١ ط حجر إيران

والدكاكين مغلقة، والناس مجتمعون خلقاً كثيراً حَلَقاً حلقاً؛ منهم مَن يبكي سراً، ومنهم مَن يضحك جهراً.

فتقدمت إلى شيخ منهم وقلت له: يا شيخ مانزل بكم؟.

أراكم مجتمعين كتائب، ألكم عيد لست أعرفه للمسلمين؟.

فأخذ بيدي وعدل بي ناحية عن الناس، وقال: ياسيدي مالنا عيد. ثم بكى بحرقة ونحيب. فقلت: أخبرني يرحمك اللّهُ.

قال: إن بكاءهم بسبب عسكرين: أحدهما منصور، والآخر مهزوم مقهور. فقلت: لمن هذان العسكران؟.

فقال: عسكر ابن زياد وهو ظافر منصور، وعسكر الحسين بن علي عليه السلام وهو مهزوم مكسور.

ثم قال: واحرقتاه أن يدخل علينا رأس الحسين عليه السلام. فما استتم كلامه، إذ سمعتُ البوقات تضرب، والرايات تخفق قد أقبلت. فمددت طرفي وإذا بالعسكر قد أقبل ودخل الكوفة. فلما انقضى دخوله سمعت صيحة عالية، وإذا برأس الحسين عليه السلام قد أقبل عَلى رمح طويل، وقد لاحت شواربه، والنور يخرج ساطعاً مِن فيه، حتى يلحق بعنان السماء. فخنقتني العبرة لمـّا رأيته.

دخول الرؤوس عَلى الرماح[1]

قال الشيخ هاشم البحراني: وشالوا الرؤوس عَلى الرماح، ومعهم ثمانية عشر رأساً علوياً عَلى أطراف الرماح، وقد رفعوها وأشهروها عَلى

---

(١) المصدر نفسه.

الأعلام. ورأس مولانا الحسين عليه السلام قد أخذ عمود نور مِن الأرض إلى السماء، كأنه البدر. وكان القوم يسيرون عَلى نوره. وكان قد رفعوه عَلى ذابل طويل، وسيّروه عَلى رأس عمر بن سعد.

دخول السبايا إلى الكوفة[1]

ثم أقبلت السبايا، وإذا بعلي بن الحسين عليه السلام عَلى بعير بلا غطاء ولا وِطاء، وفخذاه ينضحان دماً. ورأيت جارية عَلى بعير بغير غطاء ولا وطاء (وعليها بُرقع خز أدكن)، فسألت عنها؟.

فقيل لي: هذه أم كلثوم، وهي تنادي: يا أهل الكوفة، غضّوا أبصاركم عنا. أما تستحيون مِن الله ورسوله، أن تنظروا إلى حرم رَسُول الله وهن حواسر؟!.

قال: فوقفوا بباب بني خزيمة. ونظرت أم كلثوم إلى رأس أخيها، فبكت وشقّت جَيبها، وأنشأت تقول:

مـاذا تقولون إذ قـال النبي لكم
مــاذا فعلتم وأنــتـم آخــر الأمــمِ
بعترتي وبأهلي بعد مفتقدي
منهم أُســارى، ومنهم ضُرّجوا بدم
ماكان هذا جزائي إذ نصحت لكم
أن تَخْلُفوني بسوء في ذوي رحمي
إني لأخشى عليكم أن يحلَّ بكم
مثل العذاب الَّـذي يأتي عَلى الأمم

---

(١) وسيلة الدارين، ص ٣٥٥

كيفية دخول سبايا أهل البيت عليهم السلام إلى الكوفة

يقول السيد ابن طاووس في (اللهوف) ص ٦١:

وسار ابن سعد بالسبي المشار إليه، فلما قاربوا الكوفة اجتمع أهلها للنظر إليهن.

ويقول ابن نما في (مثير الأحزان) ص ٦٦:

واجتمع الناس للنظر إلى سبي آل الرسول، وقرة عين البتول عليها السلام.

شفقة نساء أهل الكوفة عَلى السبايا[1]

قال: فأشرفت امرأة مِن الكوفيات فقالت: مِن أي الأسارى أنتن؟.

فقلن: نحن أسارى آل محمّد صلى الله عليه وآله. فنزلت مِن سطحها وجمعت مُلاء وأُزُراً ومقانع[2]، فأعطتهن فتغطّين.

وفي (أمالي الطوسي) قال: وكان مع النساء علي بن الحسين عليه السلام قد نهكته العلة (وفي عنقه الجامعة، ويده مغلولة إلى عنقه)، والحسن ابن الحسن المثنّى، وكان قد نقل مِن المعركة وبه رمق.

وكان معهم أيضاً زيد وعمرو ولدا الحسن السبط عليه السلام.

---

(١) البحار، ج٤٥ ص ١٠٨ ط٣

(٢) مُلاء: جمع ملاءة، وهي الريطة ذات لفقتين. وأُزر: جمع إزار، وهو ثوب يلبس عَلى الفخذين. ومقانع: جمع مِقنعة، وهي ما تقنّع به المرأة رأسها وتغطيه به.

زين العابدين عليه السلام يقول لأهل الكوفة قتلتمونا وتنوحون علينا؟!(1)

فجعل أهل الكوفة ينوحون ويبكون، فقال علي بن الحسين عليه السلام: أتنوحون وتبكون مِن أجلنا؟

فمن ذا الَّذي قتلنا غيركم؟!.

(1) المصدر السابق

خُطب العقيلات في أهل الكوفة

وعندما دخل السبايا إلى الكوفة خطبت زينبعليها السلام بالجمع المحتشد مِن أهل الكوفة، ثمّ تابعتها فاطمة الصغرى بنت الإمام الحسينعليه السلام وأم كلثوم بنت الإمام عليعليه السلام، ثمّ خطب بهم الإمام زين العابدينعليه السلام وهو متحامل على مرضه.

زينب الكبرىعليها السلام تخطب في أهل الكوفة[1]

[وفيها تعنّف أهل الكوفة عَلى ما فعلوه، وتبيّن لهم فداحة عملهم وذنبهم الّذي اقترفوه، وتَعِدهم بالعذاب مِن اللّه، واللهُ لايخفى عليه شيء مما عملوه].

في (اللهوف) لابن طاووس: قال بشير بن خزيم الأسدي: ونظرت إلى زينب بنت عليعليه السلام يومئذ، ولم أرَ واللهِ خَفِرة[2] قطّ أنطق منها، كأنما تفرغ عَلى لسان أمير المُؤمِنينَ علي بن أبي طالبعليه السلام. وقد أومأت إلى

(١) البحار، ج٤٥ ص ١٠٨ ط٣

(٢) الخَفَر: شدة الحياء.

الناس أن اسكتوا، فارتدّت الأنفاس وسكنت الأجراس[1].

خطبة زينب العقيلة عليها السلام في أهل الكوفة[2]

ثم قالت عليها السلام: الحمد لله، والصلاة عَلى أبي محمّد (رَسُول الله) وآله الطيبين الأخيار (آل الله).

أما بعد يا أهل الكوفة، يا أهل الخَتل[3] والغدر، أتبكون فلا رَقَأتِ الدمعة، ولا هدأت الرنّة. إنما مثلكم كمثل ﴿كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾[4]. ألا وهل فيكم إلا الصَّلَف والنَّطَف[5]، والعُجب والكذب والشَّنَف[6]، ومَلَق الإماء[7]، وغمز الأعداء[8]، أو كمرعى عَلى دِمنة[9]، أو كقصّة عَلى ملحودة[10]. ألا بئس ما

---

(١) الأجراس: جمع جَرْس، وهو الصوت.

(٢) يقول السيد المقرم في مقتله ص ٤٠٢: رتّبنا هذه الخطبة مِن (أمالي الشيخ الطوسي) وأمالي ابنه، واللهوف لابن طاووس ومثير الأحزان لابن نما، والمناقب لابن شهراشوب والاحتجاج للطبرسي.

(٣) الختل: الخدعة.

(٤) سورة النحل ٩٢. تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم: أي دغلاً وخيانة ومكراً.

(٥) الصَّلَف: مجاوزة الحد وادّعاء الإنسان فوق مافيه تكبّرا، والنَّطَف: القذف بالفجور.

(٦) الشَّنَف: البغض بغير حق.

(٧) المَلَق: أن تعطي باللسان ماليس في القلب.

(٨) الغمز: الطعن.

(٩) الدِّمنة: المزبلة التي ينبت عليها المرعى. شبّهتهم عليها السلام بذلك المرعى لدناءة أصلهم، وعدم الانتفاع بهم، مع حُسن ظاهرهم وخُبث باطنهم.

(١٠) الملحودة: القبر، والقصّة: الجص الَّذي يوضع عَلى القبر. شبّهتهم بالجصّة التي تزيّن بها القبور، في أنهم كالأموات زيّنوا أنفسهم بلباس الأحياء، ولا ينتفع بهم الأحياء، ولا يرجى منهم الكرم والوفاء. وروي (بفضة) والأول أصح.

قدّمت لكم أنفسكم أنْ سخط اللّهُ عليكم، وفي العذاب أنتم خالدون.

أتبكون وتنتحبون!. أي واللهِ فابكوا كثيراً، واضحكوا قليلاً، فلقد ذهبتم بعارها وشَنارها[1]، ولن تَرحضوها[2] بغسل بعدها أبداً. وأنى تَرْحَضون، قتل سليل خاتم النبوة ومعدِن الرسالة، ومِدَرّة[3] حُجّتكم ومنار محجّتكم، وملاذ خيرتكم، ومفزع نازلتكم، وسيد شباب أهل الجنة. ألا ساء ما تَزِرون.

فتَعساً ونكساً وبُعداً لكم وسُحقاً، فلقد خاب السعي، وتَبَّتِ الأيدي[4]، وخسرت الصفقة، وبُؤتم بغضب مِن الله ورسوله، وضُربت عليكم الذلة والمسكنة.

ويلكم يا أهل الكوفة، أتدرون أيَّ كبد لرسول الله فَرَيتم[5]، وأي كريمة له أبرزتم، وأي دم له سفكتم، وأي حرمة له انتهكتم؟. ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا﴾[6]

ولقد أتيتم بها (صلعاء عنقاء[7] سوداء فَقماء[8]) خرقاء شوهاء[9]،

---

(١) الشّنار: العيب. والضمير في (عارها وشنارها) راجع إلى الأَمة أو الأزمنة.

(٢) ترحضوها: تغسلوها.

(٣) المِدرّة (بالكسر): زعيم القوم والمتكلم عنهم، والذي يرجون رأيه.

(٤) تبَت الأيدي: أي خسرت أو هلكت، والأيدي: إما مجاز للأنفس أو بمعناها.

(٥) الفري: القطع. ليس فيها رفق.

(٦) «مريم ٨٩»

(٧) الصلعاء: الداهية الشديدة، أو السّوءة الشنيعة البارزة المكشوفة. والعنقاء: الداهية.

(٨) سوداء: قبيحة. وفقماء: عظيمة.

(٩) خرقاء: ليس فيها رفق. وشوهاء: قبيحة. والضمير في (جئتم بها) راجع إلى الفعلة القبيحة التي أتوا بها.

كطِلاع الأرض[1] أو ملءِ السماء. أفعجبتم أن مطرت السماء دماً! ولَعذاب الآخرة أخزى، وهم لا ينصرون. فلا يستخِفّنكم المَهَل، فإنه عَزَّوَجَلَّ لا يحفزه[2] البِدار، ولا يخاف فوت الثار، وإن ربكم لبالمرصاد.

فقال لها الإمام السجّادعَلَيْهِالسَّلَامُ: اسكتي يا عمّة (ففي الباقي عن الماضي اعتبار) وأنت بحمد الله عالمة غير مُعَلَّمة، فَهِمَة غير مُفَهَّمة (إن البكاء والحنين لا يردّان مَن قد أباده الدهر).

فقطعت «العقيلة» الكلام، وأدهشت ذلِكَ الجمع المغمور بالتمويهات والمطامع. وأحدث كلامها إيقاظاً في الأفئدة ولفتة في البصائر، وأخذت خطبتها مِن القلوب مأخذاً عظيماً، وعرفوا عظيم الجناية، فلا يدرون ما يصنعون!.

خطبة فاطمة الصغرى بنت الحسين عَلَيْهَاالسَّلَامُ[3]

[تلوم فيها أهل الكوفة وتوبّخهم عَلى قتل الحسينعَلَيْهِالسَّلَامُ، وتبيّن لهم منزلة أهل البيتعَلَيْهِمُالسَّلَامُ وتكريم الله لهم، وتَعِدهم العذاب الأليم مِن الله سبحانه عَلى ما فعلوه].

خطبة فاطمة الصغرى بنت الحسين عَلَيْهَاالسَّلَامُ

في (اللهوف): روى زيد بن موسى الكاظم عن أبيه عن جده عَلَيْهِالسَّلَامُ قال: خطبت فاطمة بنت الحسين عَلَيْهِالسَّلَامُ فقالت:

---

(١) كطِلاع الأرض: أي كمِلء الأرض.

(٢) لا يحفزه: لا يحثه ولا يعجله.

(٣) مقتل الحسين للمقرّم، ص ٤٠٧ ط٣

الحمد لله عددَ الرمل والحصى، وزِنة العرش إلى الثرى. أحمده وأومن به وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا اللّهُ وحده لاشريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن أولاده ذُبحوا بشط الفرات، مِن غير ذَحَل ولا تِرات[1].

اللهم إني أعوذ بك أن أفتري عليك الكذب، أو أن أقول عليك خلاف ما أنزلتَ عليه مِن أخذ العهود، لوصيّه علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ، المسلوب حقه، المقتول مِن غير ذنب (كما قُتل ولده بالأمس) في بيت مِن بيوت الله تَعالَى، فيه معشر مُسْلِمَةٌ بألسنتهم. تُعساً[2] لرؤوسهم، ما دفعت عنه ضيماً في حياته ولا عند مماته، حتى قبضه اللّهُ تَعالَى إليه محمود النقيبة، طيّب العريكة[3]، معروف المناقب، مشهور المذاهب، لم تأخذه في الله سبحانه لومة لائم، ولا عذلُ عاذل. هديتَه اللهمّ للإسلام صغيراً، وحمدت مناقبه كبيراً، ولم يزل ناصحاً لك ولرسولك، زاهداً في الدنيا، غير حريص عليها، راغباً في الآخرة، مجاهداً لك في سبيلك، رضيته فاخترته، وهديته إلى صراط مستقيم.

أما بعد يا أهل الكوفة، يا أهل المكر والغدر والخيلاء، فإنا أهل بيت ابتلانا اللّهُ بكم، وابتلاكم بنا، فجعل بلاءنا حسناً، وجعل علمه عندنا، وفهمه لدينا؛ فنحن عَيبة علمه، ووعاء فهمه وحكمته، وحجته عَلى الأرض في بلاده لعباده. أكرمنا اللّهُ بكرامته، وفضّلنا بنبيّه محمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَلى كثير من خلقه تفضيلاً. فكذّبتمونا وكفّرتمونا، ورأيتم قتالنا حلالاً، وأموالنا نهباً، كأننا أولاد تُرك أو كابل، كما قتلتم جدّنا

(١) الذَّحَل: الحقد والعداوة، يقال طلب بذحله: أي بثأره. والتِّرات: جمع تِرة وهي الوتر، والموتور: هو الّذي قُتِل له قتيل فلم يدرك ثأره.

(٢) التُّعس: الهلاك.

(٣) النقيبة: النفس والسجيّة. والعريكة: الطبيعة.

بالأمس، وسيوفكم تقطر مِن دمائنا أهلَ البيت، لحقد متقدّم، قرّت بذلك عيونكم، وفرحت قلوبكم، افتراءً عَلى الله، ومكراً مكرتم، والله خير الماكرين. فلا تدعُوَنَّكُم أنفسُكم إلى الجَذَل [أي الفرح] بما أصبتم مِن دمائنا، ونالت أيديكم مِن أموالنا؛ فإن ما أصابنا مِن المصائب الجليلة والرزايا العظيمة، ﴿فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[1]

تَبّاً لكم، فانتظروا اللعنة والعذاب، فكأنْ قد حلّ بكم، وتواترت مِن السماء نقِمات، فيُسحِتَكم بعذاب[2] ويُذيق بعضَكم بأس بعض، ثم تخلّدون في العذاب الأليم، يَوم القيامة بما ظلمتمونا، ألا لعنة الله عَلى الظالمين.

ويلكم، أتدرون أيّةَ يدٍ طاعَنَتْنا منكم، وأية نفس نزعت إلى قتالنا. أم بأية رِجل مشيتم إلينا، تبتغون محاربتنا؟. واللهِ قست قلوبكم، وغلُظت أكبادكم، وطُبع عَلى أفئدتكم، وختم عَلى سمعكم وبصركم، وسوّل لكم الشيطان وأملى لكم، وجعل عَلى أبصاركم غشاوة، فأنتم لا تهتدون.

تَبّاً لكم يا أهل الكوفة، أيَّ تِراتٍ لرسول الله ﷺ قِبَلكم، وذُحولٍ له لديكم، بما صنعتم (غدرتم) بأخيه علي بن أبي طالب جدي، وبنيه وعترته الطيبين الأخيار، وافتخر بذلك مفتخِركم، فقال:

---

(١) الحديد ٢٢.

(٢) أسحته: استأصله.

نحن قتلنا علياً وبني عليٍّ
بسيوف هنديّة ورماحِ
وسبينا نساءهم سبيَ تُرك
ونطحناهمُ فأيّ نِطاح

بِفيك أيها القائل الكثْكَث ولك الأَثْلَب[1]، افتخرتَ بقتل قوم زكّاهم اللّهُ وطهّرهم وأذهب عنهم الرجس، فاكظِمْ واقْعِ[2] كما أقعى أبوك، فإنما لكل امرئ ما اكتسب وما قدّمت يداه.

حسدتمونا ويلاً لكم عَلى ما فضّلَنا اللّهُ تَعالَى ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾[3].

قال: فارتفعت الأصوات بالبكاء والنحيب، وقالوا: حسبكِ يابنة الطيبين، فقد أحرقت قلوبنا، وأنضجت نحورنا، وأضرمت أجوافنا، فسكتت عليها السلام.

خطبة أم كلثوم بنت الإمام علي عليهما السلام[4]

[وفيها تلوم أهل الكوفة، وتبيّن لهم منزلة الإمام الحسين عليه السلام وفضله].

---

(١) الكَثْكَث والأَثْلَب (بالفتح أو الكسر فيهما، والفتح أكثر) : دِقاق التراب وفتات الحجارة.

(٢) اِكظمْ : اسكت عَلى غيظك. واقعَ : الأمر مِن الإقعاء، وهو جلوس الكلب عَلى إسته، مفترشاً رجليه وناصباً يديه.

(٣) سورة الحديد ٢١ ؛ وسورة النور ٤٠

(٤) مقتل المقرم، ص ٤١٠ ط٣

خطبة أم كلثوم بنت علي عليها السلام

في (اللهوف): وخطبت أم كلثوم بنت الإمام علي عليه السلام في ذلِكَ اليوم مِن وراء كُلتّها، رافعة صوتها بالبكاء، فقالت:

صه يا أهل الكوفة. تقتلنا رجالكم، وتبكينا نساؤكم، فالحاكم بيننا وبينكم اللّهُ، يَوم فصل الخطاب.

يا أهل الكوفة سوأةً لكم، ما لكم خذلتم حسيناً وقتلتموه، وانتهبتم أمواله وورثتموه، وسبيتم نساءه ونكبتموه؟!. فتَبّاً لكم وسُحقا.

ويلكم أتدرون أيَّ دواهٍ دهتكم، وأي وِزر عَلى ظهوركم حملتم، وأي دماء سفكتم؟ وأيَّ كريمة أصبتموها، وأي صِبية أسلمتموها، وأي أموال انتهبتموها؟!. قتلتم خير رجالاتٍ بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ونُزعت الرحمة مِن قلوبكم. ألا إن حزب الله هم المفلحون، وحزب الشيطان هم الخاسرون.

ثم قالت:

قتلتم أخي ظلماً فويل لأمّكم
ستجزون ناراً حرُّها يتوقّدُ
سفكتم دماءً حرّم اللّهُ سفكها
وحرّمها القرآن ثم محمّد
ألا فابشروا بالنار إنكمُ غداً
لفي سَقَر حقاً يقيناً تُخَلّدوا
وإني لأبكي في حياتي عَلى أخي
عَلى خير مَن بعد النبي سيولد

بدمع غزير مستهلّ مكفكف
على الخد مني ذائباً ليس يجمد

قال: فضجّ الناس بالبكاء والنحيب، ونشرت النساء شعورهن، ووضعن التراب عَلى رؤوسهن، وخمشن الوجوه، ولطمن الخدود، ودعون بالويل والثبور، فلم يُرَ باكٍ ولا باكية أكثر مِن ذلِكَ اليوم.

خطبة الإمام زين العابدين عليه السلام في أهل الكوفة[1]

وجيء بعلي بن الحسين عليه السلام عَلى بعير ظالع، والجامعة في عنقه، ويداه مغلولتان إلى عنقه، وأوداجه تشخب دماً، فكان يقول:

يا أمة السوء لا سُقيا لربعكمُ
يا أمةً لم تراعِ جدّنا فينا
لو أننا ورسول الله يجمعنا
يَوم القيامة ما كنتم تقولونا
تسيّرونا عَلى الأقتاب عاريةً
كأننا لم نُشَيِّدْ فيكمُ دِينا

خطبة الإمام السجّاد عليه السلام في أهل الكوفة

في (اللهوف): ثم إن زين العابدين عليه السلام أومأ إلى الناس أن اسكتوا. فلما سكتوا حمد الله وأثنى عليه، وذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فصلى عليه، ثم قال:

أيها الناس، مَن عرفني فقد عرفني، ومَن لم يعرفني فأنا علي

---

(١) مقتل الحسين للمقرم، ص ٤١٠ ط٣

بن الحسين بن علي ابن أبي طالب(عليه السلام). أنا ابن مَن انتهكتْ حرمته، وسُلبت نعمته، وانتُهب ماله، وسبي عياله. أنا ابن المذبوح بشط الفرات، مِن غير ذَحَل ولا تِرات. أنا ابن مَن قُتل صبراً، وكفى بذلك فخراً.

أيها الناس، ناشدتكم بالله هل تعلمون أنكم كتبتم إلى أبي وخدعتموه، وأعطيتموه مِن أنفسكم العهود والميثاق والبيعة وقاتلتموه؟. فتَبّاً لكم لِما قدّمتم لأنفسكم، وسوأةً لرأيكم. بأية عين تنظرون إلى رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) إذ يقول لكم: قتلتم عترتي، وانتهكتم حرمتي، فلستم مِن أمتي؟.

قال: فارتفعت أصوات الناس بالبكاء مِن كل ناحية. وقال بعضهم لبعض: هلكتم وما تعلمون!.

ثم قال(عليه السلام): رحم اللّهُ امرأ قَبِل نصيحتي، وحفظ وصيتي في الله وفي رسوله وأهل بيته، فإن لنا في رَسُول الله أسوة حسنة.

فقالوا بأجمعهم: نحن كلنا يابن رَسُول الله سامعون مطيعون حافظون لذمامك، غير زاهدين فيك، ولا راغبين عنك، فمُرنا بأمرك يرحمك الله، فإنا حربٌ لحربك، وسِلمٌ لسِلمك، نبرأ ممن ظلمك وظلمنا.

فقال(عليه السلام): هيهات هيهات، أيها الغَدَرة المَكَرة، حِيل بينكم وبين شهوات أنفسكم، أتريدون أن تأتوا إليَّ كما أتيتم إلى أبي مِن قبل!. كلا وربِّ الراقصات [إلى مِنى]، فإن الجرح لما يندمل. قُتل أبي بالأمس وأهلُ بيته معه، ولم يُنسَ ثُكل رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) وثكل أبي وبني أبي. إنّ وَجْدَه واللهِ لبين لَهاتي[1] ومرارته بين حناجري وحلقي، وغُصّته تجري

---

(١) اللـهَاة: اللحمة الموجودة في أقصى الفم.

في فِراش[1] صدري، ومسألتي أن تكونوا لا لنا ولا علينا.

ثم قال عليه السلام: رضينا منكم رأساً برأس، فلا يَوم لنا ولا يَوم علينا!.

وصف بشير بن حِذْيَم للناس وهم حيارى[2]

بعد أن خطب زين العابدين عليه السلام في أهل الكوفة وقرّعهم، قال ابن حِذْيَم: فوالله لقد رأيت الناس يومئذ حيارى يبكون، قد وضعوا أيديهم في أفواههم. فالتفتّ إلى شيخ إلى جانبي يبكي، وقد اخضلّت لحيته بالبكاء، ويده مرفوعة إلى السماء، وهو يقول: بأبي أنتم وأمي، كهولكم خير الكهول، وشبابكم خير الشباب، ونساؤكم خير النساء، ونسلكم نسل كريم، وفضلكم فضل عظيم.

إدخال رأس الحسين عليه السلام والسبايا عَلى عُبيد الله بن زياد بالكوفة

يقول السيد عبد الرزاق المقرّم في مقتله، ص ٤٢٠:

ولم يرتدع ابن زياد لهذا الحادث الفظيع، فأذن للناس إذناً عاماً، وأمر بإدخال السبايا إلى مجلسه. فأُدخلت عليه حرم رسول الله صلى الله عليه وآله بحالة تقشعر لها الجلود.

ويقول السيد ابن طاووس في (اللهوف) ص ٦٦:

ثم إن ابن زياد جلس في القصر، وأذن للناس إذناً عاماً، وجيء برأس الحسين عليه السلام فوضع بين يديه، وأدخل نساء الحسين عليه السلام

---

(١) الفراش (كسحاب): كل عظم رقيق.

(٢) البحار، ج٤٥ ص ١٠٩

وصبيانه إليه.

ويقول ابن نما في (مثير الأحزان) ص ٧٠:

قال حميد بن مسلم: لما أدخل رهط الحسين عليه السلام عَلى عُبيد الله بن زياد، أذن للناس إذناً عاماً، وجيء بالرأس فوضع بين يديه (في طشت).

تشفّي ابن زياد مِن رأس الحسين عليه السلام وشماتته[1]

قال الشيخ المفيد: فوُضع الرأس بين يدي ابن زياد، فجعل اللعين ينظر إليه ويتبسّم.

وفي بعض المقاتل: ويستهزئ به، ويقول: ما أسرع الشيب إليك يا حسين، لقد كنت حَسَن المَضْحَك. وبيده قضيب يضرب به ثناياه.

وفي (نَفَس المهموم) للشيخ عباس القمي: تارة يضرب به أنف الحسين عليه السلام، وأخرى يضرب به عينيه، وتارة يطعن في فمه، وأخرى يضرب به ثناياه.

وقال حميد بن مسلم: ورأيته ينكُت [أي يضرب] ثناياه.

وفي (الأمالي) قال ابن زياد: يَوم بيوم بدر!.

وفي (تذكرة الخواص) لسبط ابن الجوزي: وكان عنده أنس بن مالك فبكى، وقال: كان أشبههم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وكان مخضوباً بالوسمة.

وروي أنه كان مخضوباً بالسواد. قالوا: ولا يثبت في ذلِكَ، وإنما غيّرته الشمس.

---

(١) وسيلة الدارين، ص ٣٦٣

فظاعة منظر الرأس الشريف حين وضع بين يدي ابن زياد، وهو يضربه بالقضيب[1]

روى الحكم بن محمّد بن القاسم عن جده قال: ما رأيت منظراً قط أفظع مِن إلقاء رأس الحسين عليه السلام بين يدي ابن زياد، وهو ينكته.

وفي (الإتحاف بحب الأشراف) للشبراوي، ص ٥٤ قال:

فوضع الرأس بين يدي ابن زياد، وجعل ينكث ثناياه بقضيب، ويدخله أنفه، ويتعجب مِن حُسن ثغره!.

محاورة زينب العقيلة عليها السلام لابن زياد

قال السيد المقرم في مقتله، ص ١٢٥ ما معناه:

لما أمر ابن زياد بإدخال السبايا إلى مجلسه، وقفت زينب عليها السلام في ذلِكَ الجو الموبوء بالترّهات والأضاليل، تبيّن للملأ نتائج أعمال هؤلاء المضلين، وما يقصدونه مِن هدم أركان الدين، وأن الشهداء إنما أرادوا بنهضتهم مع إمامهم الحسين عليه السلام إحياء شريعة جده المقدسة.

لقد وقفت العقيلة زينب عليها السلام في مجلس ابن زياد تفرغ عن لسان أخيها الحسين عليه السلام كلمات اللوم والتأنيب، وآيات الحجة والبيان.

وقال الشيخ المفيد في (الإرشاد): وأدخل عيال الحسين عليه السلام عَلى ابن زياد. فدخلت زينب أخت الحسين عليه السلام في جملتهم متنكّرة، وعليها أرذل ثيابها. فمضت حتى جلست ناحية مِن القصر، وحفّت بها إماؤها.

---

(١) البحار، ج٤٥ ص ١٦٧ ط٣

لكن جلال النبوة وبهاء الإمامة المنسدل عليها، استلفت نظر ابن زياد، فقال: مَن هذه التي انحازت فجلست ناحية ومعها نساؤها وهي متنكرة؟. فلم تجبه زينبعليها السلام. فقال له بعض إمائها: هذه زينب بنت فاطمة بنت رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم.

فأقبل عليها ابن زياد [شامتاً] فقال لها: الحمد لله الَّذي فضحكم وقتلكم وأكذب أُحدوثتكم. فقالت زينبعليها السلام: الحمد لله الَّذي أكرمنا بنبيّه محمّدصلى الله عليه وآله وسلم، وطهّرنا مِن الرجس تطهيراً. إنما يُفتضَح الفاسق ويكذب الفاجر، وهو غيرنا.

وفي (اللهوف) لابن طاووس، ص ٩٠، قال ابن زياد: كيف رأيتِ صُنعَ اللهِ بأخيك وأهل بيتك؟. فقالت: ما رأيت إلا جميلاً. هؤلاء قوم كتب اللّهُ عليهم القتل، فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع اللّهُ بينك وبينهم، فتُحاجَّ وتُخاصَم[1]، فانظر لمن الفَلَج [أي الفوز] يومئذ، ثكلتك أمّك يابن مرجانة.

فغضب ابن زياد واستشاط مِن كلامها معه، في ذلِكَ المحتشد، وكأنْ همّ بها. فقال له عمرو بن حريث: أيها الأمير، إنها امرأة، والمرأة لا تؤاخذ بشيء مِن منطقها، ولا تذمّ عَلى خطئها.

فالتفت إليها ابن زياد وقال: لقد شفى اللّهُ قلبي مِن طاغيتك الحسين، والعصاة المردة مِن أهل بيتك.

فرقّت العقيلة زينبعليها السلام وبكت وقالت له: لعمري لقد قتلت كهلي، وأبرزت أهلي، وقطعت فرعي، واجتثثت أصلي. فإن كان هذا شفاؤك فقد اشتفيتَ.

---

(١) تاريخ الطبري، ج٦ ص ٢٦٢.

فقال ابن زياد: هذه سجّاعة، ولعمري لقد كان أبوها سجّاعاً شاعراً.

فقالت عليها السلام: ما للمرأة والسجاعة، إن لي عن السجاعة لشُغلاً، ولكن صدري نفث بما قلت.

ملاسنة زين العابدين عليه السلام لابن زياد، ومحاولة قتله[1]

ثم عُرض عليه علي بن الحسين عليه السلام، فقال: مَن أنت؟. فقال: أنا علي بن الحسين عليه السلام. فقال: أليس قد قتل اللّهُ علي بن الحسين؟. فقال له علي عليه السلام: قد كان لي أخ (أكبر مني) يسمّى علياً، قتله الناس. فقال ابن زياد: بل اللّهُ قتله.

فقال علي بن الحسين عليه السلام: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾، ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾. فغضب ابن زياد، وقال: وبكَ جُرأةٌ لجوابي، وفيك بقية للردّ عليّ؟!. اذهبوا فاضربوا عنقه. فتعلقت به زينب عليها السلام وقالت: يابن زياد حسبك مِن دمائنا ما سفكت، وهل أبقيت أحداً غير هذا؟. واعتنقته وقالت: لا واللهِ لا أفارقه، فإن قتلتَه فاقتلني معه. فنظر ابن زياد إليها وإليه ساعة، ثم قال: عجباً للرحم. واللهِ إني لأظنها ودّت أني قتلتها معه. دعُوه فإني أراه لِما به.

(وفي رواية) إن علي بن الحسين عليه السلام قال لعمته: اسكتي يا عمّة حتى أكلّمه. ثم أقبل عليه، فقال: أبالقتل تهددني يابن زياد، أما علمتَ أن القتل لنا عادة، وكرامتنا الشهادة!.

---

(١) لواعج الأشجان للسيد الأمين، ص ١٨٥

محاولة ابن زياد قتلَ زين العابدين عليه السلام لولا زينب عليها السلام[1]

وقال هشام بن محمّد: لما حضر علي بن الحسين الأصغر عليه السلام مع النساء عند ابن زياد، وكان مريضاً؛ قال ابن زياد: كيف سلم هذا اقتلوه. فصاحت زينب بنت علي عليه السلام: يابن زياد، حسبك مِن دمائنا، إن قتلتَه فاقتلني معه.

وقال علي عليه السلام: يابن زياد إن كنت قاتلي، فانظر إلى هذه النسوة مَن بينهن وبينه قرابة يكون معهن. فقال ابن زياد: أنت وذاك.

قال الواقدي: وإنما استبقوا علي بن الحسين عليه السلام لأنه لما قتل أبوه كان مريضاً، فمر به شمر، فقال: اقتلوه. ثم جاء عمر بن سعد، فلما رآه قال: لا تتعرضوا لهذا الغلام. ثم قال لشمر: ويحك من للحرم؟.

زيد بن أرقم يستنكر

يقول الدينوري في (الأخبار الطوال) ص٢٥٩:

ولما أدخل رأس الحسين عليه السلام على ابن زياد فوضع بين يديه، جعل ابن زياد ينكث بالخيزرانة ثنايا الحسين، وعنده زيد بن أرقم، صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال له: مه. ارفع قضيبك عن هذه الثنايا، فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يلثمها. ثم خنقته العبرة، فبكى.

فقال له ابن زياد: ممّ تبكي؟ أبكى الله عينيك. والله لولا أنك شيخ قد خرفت لضربت عنقك.

ثم إن ابن زياد أمر برأس الحسين عليه السلام فطيف به في سكك الكوفة

(١) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي، ص ٢٦٨ ط٢ نجف

كلها وقبائلها.

ثم أمر بنصب الرؤوس كلها بالكوفة على الخشب، وكانت أكثر من سبعين رأساً، وهي أول رؤوس نصبت في الإسلام، بعد رأس مسلم بن عقيل في الكوفة.

السبايا في سجن الكوفة

إيداع السبايا في السجن

ولما عُرضت السبايا عَلى ابن زياد، أمر بهم فوضعوا في السجن. ومن هناك خرج الإمام زين العابدين عليه السلام بقدرة إلهية متوجهاً إلى كربلاء ليقوم بمهمة دفن جسد أبيه الحسين عليه السلام وبقية الشهداء مِن أهل البيت عليهم السلام والأصحاب.

وقبل إدخال السبايا في السجن أُخرج منهم نساء الأنصار الذين تشفّع فيهن أقرباؤهن مِن القبائل، ولم يبقَ إلا سبايا أهل البيت عليهم السلام ، فأُودعوا السجن في دارٍ إلى جنب المسجد الأعظم.

وفي (أمالي الصدوق): ثمّ أُمر بعلي بن الحسين عليه السلام فغُلّ، وحُمل مع النسوة والسبايا إلى السجن.

إطلاق سراح النساء الأسرى غير الهاشميات

يقول السيد إبراهيم الزنجاني في (وسيلة الدارين في أنصار الحسين):

لم يسب في الكوفة إلا النساء الهاشميات، وأما غيرهن فقد شفع فيهن أقرباؤهن من القبائل وأطلق سراحهن.

تطويف رأس الحسين عليه السلام في سكك الكوفة(1)

ثم أمر ابن زياد برأس الحسين عليه السلام فطيف به في سكك الكوفة كلها وقبائلها.

قال زيد بن أرقم: لما مُرَّ به عَلَيَّ وهو عَلى رمح، وأنا في غرفة لي، فلما حاذاني سمعته يقرأ ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾. فوقف واللهِ شعري عليّ، وناديت: رأسك واللهِ يابن رسول الله وأمرك أعجب وأعجب.

فلما فرغ القوم مِن التطواف به في الكوفة ردّوه إلى باب القصر.

نصب الرؤوس بالكوفة(2)

ثم إن ابن زياد نصب الرؤوس كلها بالكوفة عَلى الخشب، وكانت زيادة عَلى سبعين رأساً، وهي أول رؤوس نصبت في الإسلام، بعد رأس مسلم بن عقيل بالكوفة.

---

(1) وسيلة الدارين، ص ٣٦٦

(2) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي، ص ٢٧٠ ط٢ نجف

حجر يسقط في السجن:

ظل الإمام السجّاد عليه السلام مع سبايا أهل البيت عليهم السلام في سجن ابن زياد حوالي أسبوعاً، وهم لايعرفون المصير الَّذي يترصّدهم، بعد أن بعث ابن زياد إلى يزيد بالبريد السريع (الحمام الزاجل) يسأله ماذا يفعل بهم؟.

وفي الأثناء ألقي إليهم حجر معه كتاب مربوط، وفيه: خرج البريد بأمركم إلى يزيد في يَوم كذا، وهو سائر كذا يوماً، وراجع في كذا يوم. فإن سمعتم التكبير فأيقنوا بالقتل، وإن لم تسمعوا تكبيراً فهو الأمان.

وبعد أسبوع على أقل تقدير رجع الجواب مِن يزيد، يأمر فيه ابن زياد بتسيير الرؤوس والسبايا مِن الكوفة إلى دمشق مِن أطول طريق آهلٍ بالسكان، وهو الطريق الذي يمرّ بالجزيرة السورية.

الفصل الثاني

مسيرة الرؤوس والسبايا
مِن الكوفة إلى دمشق

مسيرة الرؤوس والسبايا مِن الكوفة إلى دمشق

الظاهر أن تسيير الرؤوس إلى الشام سبق تسيير السبايا بقليل، ثمّ اجتمعوا معاً في الطريق.

فأما الرؤوس فأرسلها ابن زياد مع زَحْر بن قيس الجعفي.

وكان عدد الرؤوس المحمولة على الرماح سبعة عشر رأساً؛ منهم رأس الحسين عليه السلام والعباس عليه السلام وعلي الأكبر عليه السلام والقاسم بن الحسن عليه السلام، وعون ابن عبد الله بن جعفر عليه السلام، وكلهم مِن بني هاشم ماعدا رأساً واحداً، هو رأس الصحابي الجليل حبيب بن مظاهر الأسدي، الَّذي وُضع جسده في الروضة الحسينية في قبر منفصل لمقامه الكبير بين أصحاب الحسين عليه السلام.

ثم أمر ابن زياد بنساء الحسين عليه السلام وصبيانه فجهزوا، وأمر بعلي ابن الحسين عليه السلام فغُلَّ بغُلّ إلى عنقه (وفي رواية: في يديه ورقبته) عَلى حال تقشعر منها الأبدان، وتضطرب لها النفوس، أسى وحزناً.

ثم سرّح بهم في إثر الرؤوس مع مُحَفِّر بن ثَعلبة العائذي وشَمِر

ابن ذي الجوشن وشبث بن ربعي وحجّار بن أبجر وعمرو بن الحجاج. وضم إليهم ألف فارس، وحملهم عَلى الأقتاب. وكان الموكلون بالرأس الشريف خمسين رجلاً.

وأمرهم أن يلحقوا الرؤوس، ويشهروهم في كل بلد يأتونها. فجدوا السير حتى لحقوا بهم في بعض المنازل.

وكان رئيس الكلّ حين خروجهم مِن الكوفة هوخولي بن يزيد. أما عمر بن سعد فقد بقي في الكوفة ولم يكن معهم، إلى حين أن قتله المختار.

وقد كان الإمام الحسين عليه السلام قد تنبّأ له بشيئين:

الأول: أنه لن يحظى بولاية الريّ وجرجان التي وعده بها عبيد الله بن زياد.

الثاني: أنه يُقتل على فراشه، ثمّ يعلَّق رأسه على قصبة في الكوفة يتراماه الصبيان. فكان كما قال عليه السلام.

كيف سيّروا السبايا على المطايا إلى الشام

يقول الشيخ عبد الله الشبراوي الشافعي في كتابه (الإتحاف بحبّ الأشراف) ص ٥٦:

ثم أرسل ابن زياد السبايا مع عمر بن سعد إلى يزيد بن معاوية، ومعه الصبيان والنساء مشدودين عَلى أقتاب الجمال، موثّقين بالحبال،

والنساء مكشّفات الوجوه والرؤوس. وفي عنق علي بن الحسين عليه السلام ويديه الغُل. وقد أركبوه على جمل أظلع (أي أعرج). والمسافة مِن الكوفة إلى دمشق حوالي ١٤٠٠ كم.

كيف سيّروا الرؤوس والسبايا مِن أطول طريق مأهولة

قال ابن أعثم الكوفي في كتاب (الفتوح) ج٥ ص ٢٣٦:

فسار القوم بحرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مِن الكوفة إلى بلاد الشام عَلى محامل بغير وطاء، مِن بلد إلى بلد، ومن منزل إلى منزل، كما تساق أسارى الترك والديلم.

[وقريب منه نصّ الطبري في تاريخه، ونص الخوارزمي في مقتله].

وقد ذكر العلامة السيد حسين يوسف مكي العاملي في كتابه (تاريخ مشهد الإمام الحسين في حلب، ص ٨) رواية الخوارزمي، ثم علّق عليها، قال:

والخوارزمي وإن لم يذكر الطريق التي سلكوها بالرؤوس والسبايا، إلا أن قوله:

«مِن بلد إلى بلد، ومن منزل إلى منزل «يقتضي أن يكونوا قد سلكوا الطريق الشمالية إلى الموصل ثم إلى حلب ومنها إلى دمشق. لأنه لم تكن هناك طريق آهلة بالسكان توصل مِن الكوفة إلى دمشق غير هذه الطريق. وهذه الطريق نفسها التي سلكها الإمام علي عليه السلام إلى حرب صفين...

الهدف مِن سلوك الطريق الطويل

يقول العلامة السيد حسين يوسف مكي رَحِمَهُ اللهُ في كتابه (تاريخ مشهد الإمام الحسين في حلب): كان بوسع ابن زياد أن يرسل الرؤوس والسبايا مِن الكوفة إلى دمشق عبر الطريق الصحراوية القصيرة الواصلة بين الكوفة ودمشق. بيد أن يزيد وابن زياد كانا يهدفان إلى التشهير بمقتل الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وإلى إذاعة خبر مقتله عَلَيْهِ السَّلَامُ في الآفاق، ليعلم الناس بقتله، وحتى لايبقى لأي مناصر للحق في الأمة الإسلامية أملٌ في مقاومة يزيد، لأن الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ كان عَلَم الحق ونبراسه، ومرجع الهدى وممثله. وقد رأى يزيد حين أمر ابن زياد بإرسال الرؤوس والسبايا إلى الشام وشهرهم في كل بلد، أن مِن أبلغ أنواع الإخبار بمقتل الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يُرى رأس الحسين يطاف به في البلاد، وأن ترى نساؤه وصبيانه سبايا، يسار بهم في البلاد، ويشهر أمرهم في كل مكان يأتونه، ولذا سلكوا بهم الطريق العامر بالبلاد الآهل بالسكان، وهو الطريق مِن الكوفة إلى الموصل، ثم إلى حلب فحماة فحمص فدمشق».

في بعض الروايات أن الجيش الذي صاحبَ الرؤوس والسبايا كان تعداده ٢٥٠٠ جندياً، مما يبيّن مدى خوف السلطة مما يترصد هذه المسيرة مِن أخطار.

التعمية الإعلامية

كل حاكم ضال يحاول أن يلجأ لتثبيت حكمه إلى التعمية الإعلامية، وهي كثيراً ما تنجح لسذاجة عموم الناس عادة. فبعد قتل الحسين عليه السلام يوم العاشر مِن المحرم في كربلاء، أشاع يزيد بين المسلمين أن رجلاً خارجياً قد خرج على أمير المؤمنين فقتله وسبى ذريته، وسوف يأتي برأسه وأهله إلى دمشق.

في مقابل هذا الإعلام الكاذب، كان لابدّ مِن إعلام معاكس تقوم به العقيلة زينب عليها السلام لتكشف للملأ حقيقة ما حدث، وتبيّن أن الّذي قُتل ليس هو خارجياً، وإنما هو سبط رسول الله صلى الله عليه وآله الحسين بن علي عليه السلام سيد شباب أهل الجنة، وأنه استشهد لأنه أنكر أن يلي أمور المسلمين رجل فاسق ماجن مثل يزيد، وأن نهضته كانت لإحياء دين جده محمّد صلى الله عليه وآله وللأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإزالة الفساد مِن بين صفوف العباد.

فكانت زينب عليها السلام وبما أوتيت مِن فصاحة وبيان، وقوة عقل وجَنان، تبادر في كل موقع لتخطب في جموع الناس، تبيّن لهم أهداف نهضة أخيها الحسين عليه السلام وتدعو المسلمين إلى أن يتبَنّوا طريقه الجهادي ليتخلصوا مِن العتاة الجائرين، الّذينَ استولوا على الحكم طامعين، وبدؤوا يعيثون في الأرض مفسدين، وغايتهم أن يستأصلوا رموز الحق والهدى والدين.

ومن أهمّ ذلِكَ الخطب الشهيرة الثلاث التي خطبتها زينب عليها السلام؛

الأولى في جموع الناس أول دخولها الكوفة، وهي آتية مع السبايا مِن كربلاء، والثانية في مجلس ابن زياد في قصر الإمارة بالكوفة، والثالثة في مجلس يزيد في دمشق.

ولما عرف الناس حقيقة نهضة الحسين عليه السلام ومكانة زينب عليها السلام في ركب السبايا ثارت ثائرتهم على يزيد، وبمجرد مغادرتهم البلد الَّذي مروا به، كانوا يبنون مسجداً باسمها واسم أخيها واسم أبيها عليها السلام. كما حدث في الموصل وسنجار وحلب وغيرها.

لقد كانت صورة العقيلة وشخصيتها عليها السلام والوضع الَّذي كانت فيه، وقد حفّ بها السبايا مِن كل جانب وهم في ربقة الأسر، كان ذلِكَ منظراً يدمي الحشا ويفتّ في الأعضاد، لكل إنسان يراهم ولو لم يعلم أنهم أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، فكيف بحاله عندما يعلم أنهم عترة سيد المرسلين وآل بيت خاتم النبيين محمّد صلى الله عليه وآله وسلم؟!.

وكان في نفس الوقت الَّذي تقوم به زينب عليها السلام بدورها الإعلامي، كان رأس الحسين عليه السلام يتنازعه الرهبان عند رؤيتهم له، فيطلبون الاختلاء به ولو ليلة لقاء مبلغ مِن المال، وهناك كانوا يرون الأنوار الساطعة تنطلق مِن الرأس الشريف إلى عنان السماء، فيكلمونه ويكلمهم، فما يصبح الصباح إلا وهم مسلمون. نلاحظ ذلِكَ فيما حدث لعدة رهبان؛ في دير الراهب وفي حران وفي قنّسرين وفي صومعة الراهب قرب دمشق.

وكم مرة ـ كما ذكرت الروايات مِن العامة والخاصة ـ قد تكلم

الرأس الشريف كما تكلم رأس يحيى عليه السلام بالحجة، فقد تكلم رأس الحسين عليه السلام في الكوفة وخارجها، وفي الطَريق، وفي دمشق، ونطق بالحجة وبآيات قرآنية؛ منها قوله: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ «البقرة ١٣٧».

يقول الشاعر:

لهفي لرأسك فوق مسلوب القنا
يـكـسـوه مِـن أنـوار‌ه جِـلـبـابـا
يتلو الكتاب على السنان وإنما
رفـعـوا بـه فـوق الـسـنـان كتابا

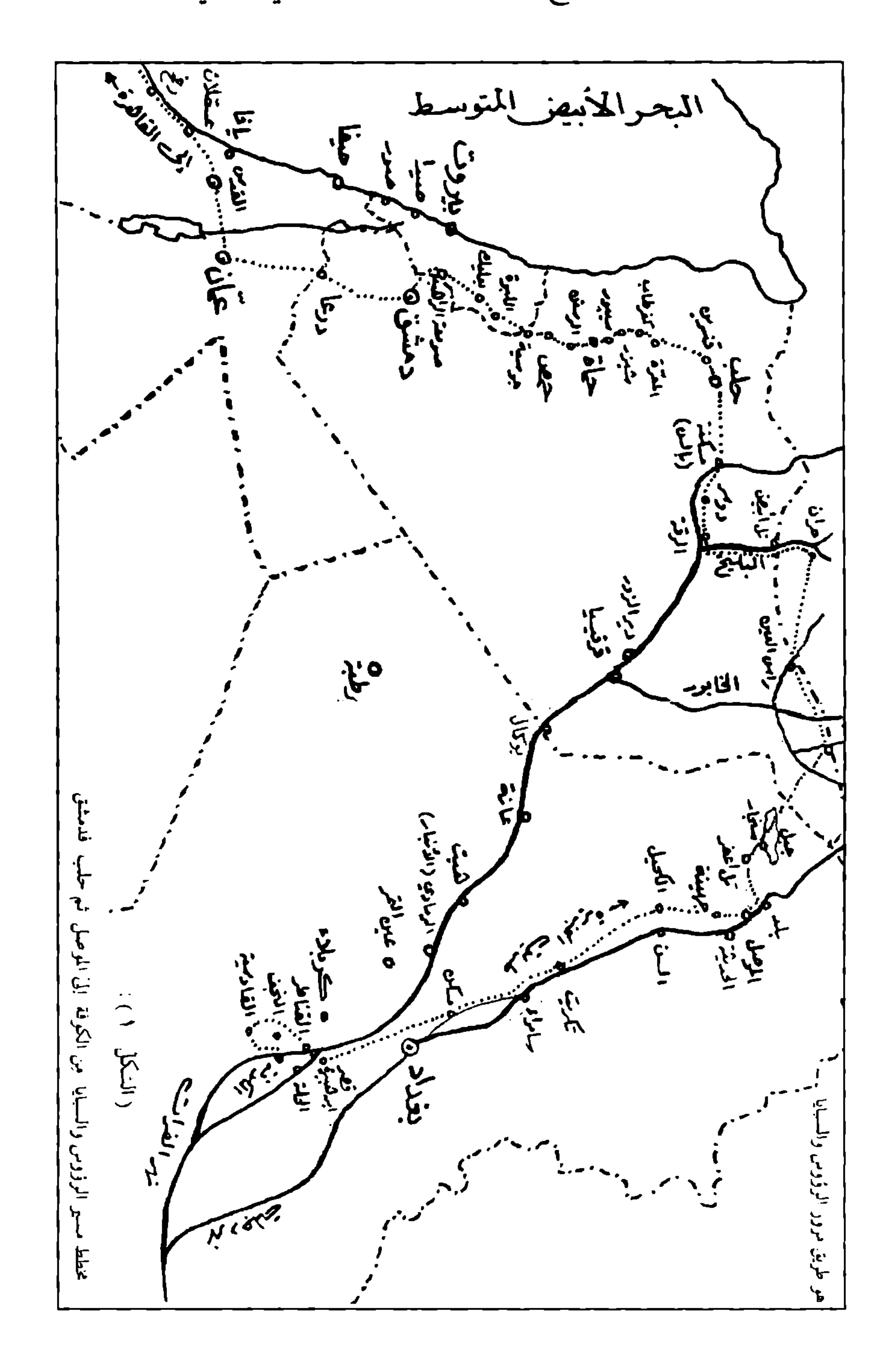
لقد كان لهذا الرأس المقدس ثلاث كرامات أكيدة: النور والعطر والذكر؛ فقد كان النور يشع منه في الظلام، والعطر يفوح منه على الدوام، والذكر ينطق به لسانه بالكلام، عبرةً للمؤمنين وحجة على الطاغين مِن الأنام.

معالم طريق السبايا

هذا وقد استطعت بتوفيق مِن الله تعالى أن أثبت أكثر مِن أربعين موضعاً مرّ بها ركب الرؤوس والسبايا أثناء مسيره مِن الكوفة إلى دمشق، أذكرها فيما يلي:

١. أول منزل خراب
٢. دير في الطريق
٣. القادسية
٤. شرقي الحصّاصة (قصرابن هبيرة)
٥. جَرايا
٦. مَسْكِن
٧. تكريت
٨. طريق البر
٩.الأعمى
١٠. دير عروة (دير عمر)
١١. صليتا (صليا)
١٢. وادي النخلة [مبيت]
١٣. أرميناء
١٤. مرشاد
١٥. لينا
١٦. برساباد
١٧. الكُحَيل (الأكحل)
١٨. جُهَينة
١٩. عسقلان
٢٠. الموصل
٢١. تل أُعفُر
٢٢. جبل سنجار
٢٣. نَصيبين [مبيت]
٢٤. كفرنوبة
٢٥. عين الوردة (راس العين)
٢٦. دير الراهب
٢٧. حرّان
٢٨. دَعَوات [مبيت]
٢٩. الرقة
٣٠. دوسر (جعبر)
٣١. بالس (مسكنة)
٣٢. حلب: جبل الجوشن [مبيت]
٣٣. قِنّسرين
٣٤. معرة النعمان
٣٥. كَفَرَ طاب
٣٦. شِيزر [مبيت]
٣٧. سَيبور (معركة)
٣٨. حماة: جبل زين العابدين [مبيت]
٣٩. الرستن
٤٠.حمص:كنيسة جرجيس الراهب
٤١. خندق الطعام
٤٢. جوسِية - جبل الحسين
٤٣.اللبوة
٤٤. بعلبك [مبيت]
٤٥. صومعة الراهب (ديرالنصارى)
٤٦. قرية الحسينية بسوق وادي بردى
٤٧. حجر قرب دمشق.

وقد أثبتنا هذه المواضع عَلى المخطط التاريخي التالي:



المسير مِن الكوفة إلى دمشق

كان مخطط المسيرة الاتجاه شمالاً إلى الموصل، ثمّ الانعطاف إلى الغرب حتى حلب، ثمّ الاتجاه جنوباً إلى دمشق.

ولكن المسؤولين عن الركب أرادوا التمويه، فعوضاً عن أن يتوجهوا مِن الكوفة إلى الشمال، اتجهوا أولاً جنوباً إلى أن وصلوا (القادسية)، ثمّ تحولوا إلى الصحراء، فداروا مارّين بـ (قصر بني مقاتل) حتى رجعوا إلى الفرات شمال الكوفة، فعبروا النهر على جسر (المسيَّب) حتى وصلوا إلى (قصر ابن هبيرة).

ثمّ اتجهوا شمالاً فمروا بمحاذاة (بغداد).

وضع الرأس الشريف في صندوق[1]

ذكر عبد الملك بن هاشم في كتاب (السيرة): الَّذي أخبرنا القاضي الأسعد أبو البركات عبد القوي ابن أبي المعالي ابن الجبار السعدي في جمادى الأولى سنة ٦٠٩ هـ بالديار المصرية، قراءةً عليه ونحن نسمع، قال: أنبأنا أبومحمد عبد الله بن رفاعة بن غدير السعدي في جمادى الأولى سنة ٥٥٥ هـ، قال: أنبأنا... إلى آخر السند المعتبر. قال:

لما أنفذ ابن زياد رأس الحسين عليه السلام إلى يزيد بن معاوية مع الأسارى، موثقين في الحبال، منهم نساء وصبيان وصبيات مِن بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، عَلى أقتاب الجمال، موثّقين مكشّفات الوجوه والرؤوس، وكلما نزلوا منزلاً أخرجوا الرأس مِن صندوق أعدّوه له،

---

(١) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي، ص ٢٧٣ ط٢ نجف

فوضعوه عَلى رمح، وحرسوه طول الليل إلى وقت الرحيل. ثم يعيدوه إلى الصندوق ويرحلوا.

[أول منزل خراب]

خروج يد مِن الحائط تكتب بالدم:

فساروا عَلى ساحل الفرات، فنزلوا عَلى أول منزل كان خراباً، فوضعوا الرأس الشريف المبارك المكرم، والسبايا مع الرأس الشريف. وإذ رأوا يداً خرجت مِن الحائط معها قلم تكتب بدم عبيط [أي طري جديد] شعراً:

أترجو أمةٌ قتلت حسيناً
شفاعة جدّه يَوم الحسابِ!
فلا واللهِ ليس لهم شفيع
وهم يَوم القيامة في العذاب
لقد قتلوا الحسين بحُكم جَور
وخالف أمرهم حُكم الكتاب

فهربوا ثم رجعوا.

ثم رحلوا مِن ذلِكَ المنزل، وإذا هاتف يقول:

ماذا تقولون إن قال النبي لكم
ماذا فعلتم وأنتم آخر الأممِ
بعترتي وبأهلي بعد مفتقدي
منهم أسارى ومنهم ضُرِّجوا بدم

ماكان هذا جزائي إذ نصحتُ لكم

أن تخلفوني بسوء في ذوي رحمي

وفي مخطوطة مصرع الحسين [مكتبة الأسد] قال أبومخنف:

فساروا عَلى جنب الفرات، وجدّوا في السير. فأول منزل نزلوا به وضعوا الرأس بين أيديهم وجعلوا يشربون الخمر، وإذ خرجت يد مِن الحائط فيها قلم يكتب بدم عَلى الحائط هذه الأبيات:

أترجو أمةٌ قتلت حسيناً

شفاعة جدّه يَوم الحسابِ!

أترجوه وقد قتلوا نجيباً

وأكرم مَن مشى فوق التراب

قتلتم للحسين وما رعيتم

نبي الله في خير الشباب

ألا هبّوا ننوح عَلى حسين

وننصره بشِيب أو شباب

ونكفر بالذي فعلوه فيهم

وقالوا: إنه فعل الصواب

غداً يَصْلوا الجحيم وقد أُعِدَّت

لهم دون الخلائق بالعذاب

فويل للذي قتلوا حسيناً

وشالوا رأسه فوق الحراب

فيا قلبي تعزّى عن حسين

والْعَنْ دونه الشمرَ الضِبابي

وقــلْ بـمـقـال مـحـزون كئيب

مـحـبِّ آل أحـمـد ذي الـشـبـاب:

ألا لَــعْــنُ الإلـــه عَـلـى يـزيد

وعـتـرتـه إلـــى يَـــوم الـحـسـاب

قال: ففزعوا مِن ذلِكَ فزعاً شديداً، وتركوا الخمر.

[دير للنصارى]

بيت شعر مكتوب في الدير مِن القديم[1]

فساروا إلى أن وصلوا إلى دير في الطريق، فنزلوا ليقيلوا به [أي يناموا وسط النهار]، فوجدوا أيضاً مكتوباً عَلى بعض جدرانه:

أتــرجــو أمـــةٌ قـتـلـت حسيناً

شـفـاعـة جـــدّه يَـــوم الـحـسـابِ!

فسألوا الراهب عن المكتوب، ومَن كتبه؟. فقال: إنه مكتوب ههنا مِن قبل أن يبعث نبيّكم بخمسمئة عام. ففزعوا مِن ذلِكَ ورحلوا مِن ذلِكَ المنزل.

وتركوا الطريق خوفاً مِن قبائل العرب أن يخرجوا عليهم ويأخذوا الرأس منهم. وكلما وصلوا إلى قبيلة طلبوا منهم العلوفة [أي العلف]، وقالوا: معنا رأس خارجي.

---

(١) معالي السبطين للمازندراني، ج٢ ص ٧٢

ما حصل في دير للنصارى في الطريق(1)

روى النّطنزي عن جماعة عن سليمان بن مهران الأعمش، قال: بينما أنا في الطواف أيام الموسم، إذا رجل يقول: اللهم اغفر لي وأنا أعلم أنك لاتغفر. فسألته عن السبب؟. فقال: كنت أحد الأربعين الذين حملوا رأس الحسين عليه السلام إلى يزيد عَلى طريق الشام.

فنزلنا أول مرحلة رحلنا مِن كربلا، عَلى دير للنصارى، والرأس مركوز عَلى رمح، فوضعنا الطعام ونحن نأكل، إذا بكفّ عَلى حائط الدير تكتب عليه بقلم حديد سطراً بدم:

أترجو أمةٌ قتلت حسيناً
شفاعة جدّه يَوم الحسابِ!

فجزعنا جزعاً شديداً، وأهوى بعضنا إلى الكف ليأخذها فغابت، فعاد أصحابي.

ما كتب عَلى جدار كنيسة للروم مِن ثلاثمئة عام

وعن مشايخ مِن بني سليم: أنهم غزوا الروم، فدخلوا بعض كنائسهم، فإذا مكتوب هذا البيت. فقالوا لهم: منذ متى مكتوب؟. قالوا: قبل أن يُبعث نبيّكم بثلاثمئة عام.

وحدّث عبد الرحمن بن مسلم عن أبيه، أنه قال: غزونا بلاد الروم، فأتينا كنيسة مِن كنائسهم قريبة مِن قسطنطينية، وعليها شيء مكتوب. فسألنا أناساً مِن أهل الشام يقرؤون بالرومية، فإذا هو مكتوب هذا البيت.

---

(1) مثير الأحزان لابن نما، ص ٧٦ ط نجف

قلم مِن حديد يكتب سطراً بالدم[1]

عن (دلائل النبوة) عن أبي بكر البيهقي بالإسناد إلى أبي قبيل، و(أمالي) أبي عبد الله النيسابوري أيضا: أنه لما قتل الحسين عليه السلام واجتزّ رأسه، قعدوا في أول مرحلة يشربون النبيذ ويتحيّون بالرأس، فخرج عليهم قلم مِن حديد مِن حائط، فكتب سطراً بالدم:

أترجو أمةٌ قتلت حسيناً
شفاعة جدّه يَوم الحسابِ!

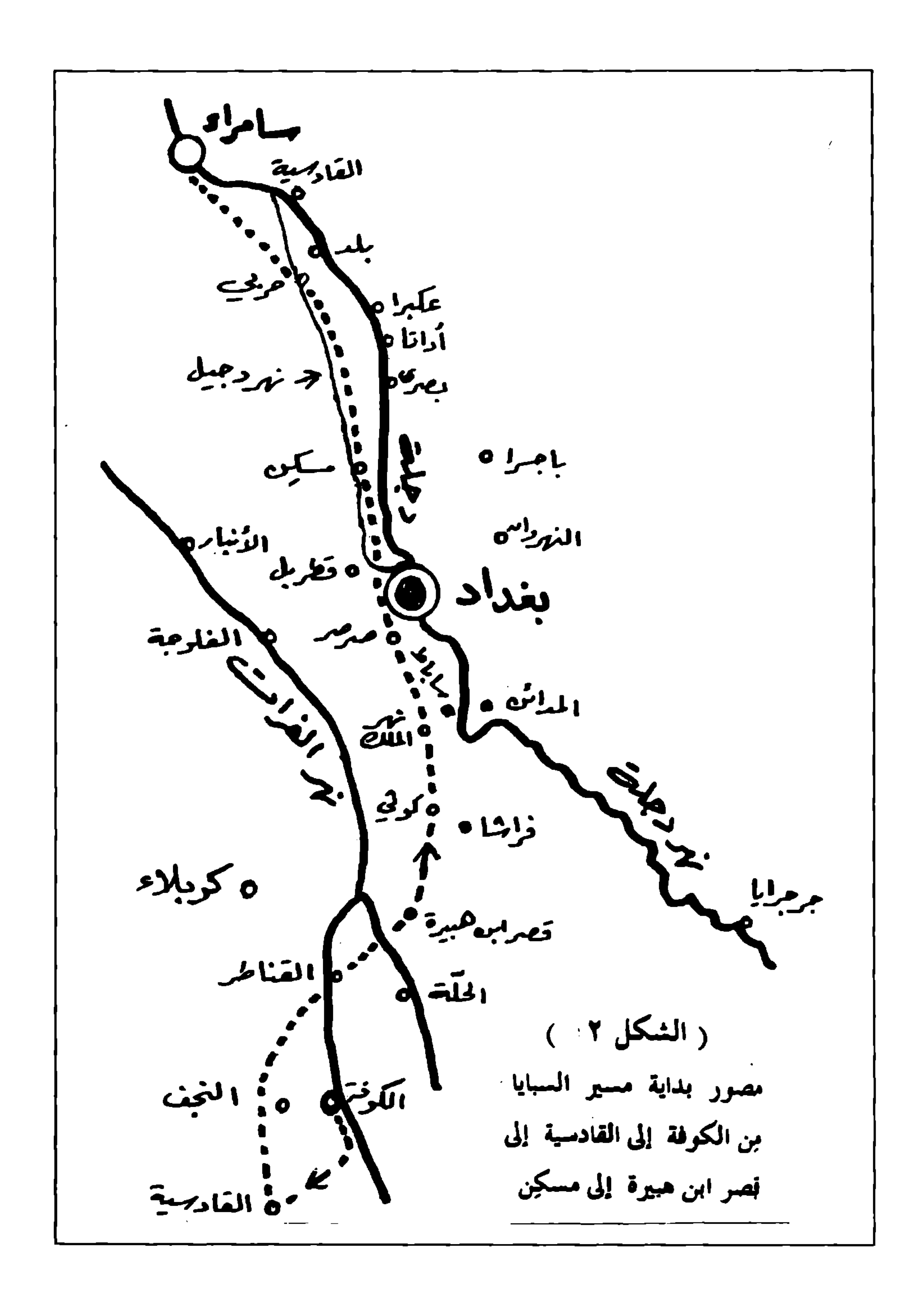
قال: فهربوا وتركوا الرأس، ثم رجعوا.

وفي كتاب ابن بطة: أنهم وجدوا ذلِكَ مكتوباً في كنيسة.

وقال أنس بن مالك: احتفر رجل مِن أهل نجران حفرة، فوجد فيها لوحاً مِن ذهب فيه مكتوب هذا البيت، وبعده:

فقد قدموا عليه بحكم جَور
فخالف حكمهم حُكم الكتابِ
ستلقى يا يزيد غداً عذاباً
مِن الرحمن يا لك مِن عذاب

(١) مناقب آل أبي طالب لابن شهراشوب، ج٣ ص ٢١٨ ط نجف



(الشكل ٢)

مصور بداية مسير السبايا من الكوفة إلى القادسية إلى قصر ابن هبيرة إلى مسكن

[القادسيّة]

ما أنشدته أم كلثوم عليها السلام عند وصولهم إلى القادسية[1]

قال أبومخنف: ثم إن ابن زياد دعا بِشَمِر بن ذي الجوشن وخولي، وضمّ إليهما ألفاً وخمسمائة فارس، وأمرهم أن يسيروا بالسبايا والرأس إلى الشام، وأن يشهروهم في جميع البلدان.

قال سهل: فلما رأيت ذلِكَ تجهزت وسرت مع القوم.

فلما نزلوا القادسية أنشأت أم كلثوم عليها السلام تقول:

ماتت رجالي وأفنى الدهر ساداتي
وزادنـــي حـسـرات بـعـد لـوعـاتِ
صال اللئام علينا بعدما علموا
أنّــا بـنـات رسـول الله بالهدايات
يسيّرونا عَلى الأقـتـاب عاريةً
كـأنـنـا فـيـهـمُ بـعـض الغَنيمات
يَعـزُزْ عليك رسولَ الله ماصنعوا
بـأهـل بيتـك يـا خـيـر الـبـريّـات
كـفـرتـمُ بـرسـول الله ويلكمُ
أهـداكـمُ مِـن سلوكِ في الضلالات

---

(١) مقتل الحسين لأبي مخنف، ص ١١٠

[قصر بني مقاتل]

نزولهم في قصر بني مقاتل، والحرّ عَلى أشده[1]

قال الشيخ الدهدشتي البهبهاني في (الدمعة الساكبة): في بعض الكتب القديمة عن الشيخ المفيد، قال:

لما رحلوا بالسبايا والرؤوس إلى دمشق، وعدل بهم الطريق إلى قصر بني مقاتل، وكان ذلِكَ اليوم يوماً شديد الحر، وكانت القربة التي معهم مُزّقت وأريق ماؤها، فاشتدّ بهم العطش، وأمر ابن سعد عدة مِن قومه في طلب الماء، وأمر بفسطاط فضرب عَلى أربعين ذراعاً، فجلس هو وأصحابه ورموا بالسبايا والأطفال عَلى وجه الأرض تصهرهم الشمس.

فأتت زينب عليها السلام إلى ظل جمل هناك، وفي حضنها علي بن الحسين عليه السلام وقد أشرف عَلى الهلاك مِن شدة العطش، وبيدها مروحة تروّحه بها مِن الحر، وهي تقول: يعزّ عليّ أن أراك بهذه الحال يابن أخي. ثم ذهبت سكينة إلى شجرة هناك، وعملت لها وسادة مِن التراب ونامت عليها. فما كان إلا قليل وإذا القوم قد رحلوا وتركوها...

[شرقي الحصّاصة ـ قصر ابن هُبَيرة]

مرور السبايا شرقي الحصّاصة وخارج الأنبار[2]

قال أبومخنف: وأخذوا الرأس وساروا عَلى شرقي الحصّاصة [قرية مِن توابع الكوفة قرب قصر ابن هبيرة] وخارج الأنبار. وإذا بهاتف يهتف

(١) معالي السبطين للمازندراني، ص ١٣٥

(٢) مخطوطة مصرع الحسين ـ مكتبة الأسد

عَلى يمين الطريق، يُسمع صوته ولا يُرى شخصه، وهو يقول:

ماذا تقولون إن قال النبي لكم

مــاذا فعلتم وأنــتــم آخــر الأمــمِ

بعترتي وبـأهـلـي بعد منقلبي

منهم أســارى ومنهم ضُــرِّجـوا بدم

ماكان هذا جزائي إذ نصحتُ لكم

(أن تخلفوني بسوء في ذوي رحمي)

سبيتمونا كسبي الـروم ويحكمُ

هــذا جــزاء رســول الله عـنـدكـمِ!

ألم يقل أرفقوا في عترتي وصِلوا

بالبرّ قربايَ لا تـؤذوا ذوي رحمي!

[جَرايا ـ مَسْكِن]

ثم مرّوا بجرايا، ثم وصلوا مسكِن قبل أن يعبروا تكريت.

وفي مخطوطة (مصرع الحسين) مكتبة الأسد، ص ٣٨:

قال أبومخنف: وساروا خارج الأنبار، وكتبوا إلى صاحب تكريت..

المسير إلى الموصل ثمّ نصيبين

يقول أبو مِخنَف في مقتله ص ١١٠: ثم إن ابن زياد دعا بشَمِر بن ذي الجوشن وخولي، وضمّ إليهما ألفاً وخمسمائة فارس، وأمرهم أن يسيروا بالسبايا والرأس إلى الشام، وأن يشهروهم في جميع البلدان.

فنزلوا القادسية... وساروا بالسبايا والرؤوس إلى شرقي الحصّاصة وعبروا تكريت. ثم أخذوا عَلى طريق البر، ثم عَلى الأعمى، ثم عَلى دير عروة ثم عَلى صَليتا، ثم عَلى وادي النخلة فنزلوا فيها وباتوا. ثم أخذوا عَلى أرميناء وساروا حتى وصلوا إلى لينا وكانت عامرة بالناس. ثم أخذوا عَلى الكُحَيل وأتوا جُهَينة ومنها إلى (الموصل). ثم أخذوا عَلى تل باعَفر، ثم عَلى جبل سنجار فوصلوا إلى (نَصيبين) فنزلوا وشهروا الرأس والسبايا.

[في تكريت]

فلما وصلوا إلى (تكريت) نُشرت الأعلام، وخرج الناس بالفرح والسرور، فقالت النصارى للجيش: إنا براء مما تصنعون أيها الظالمون، فإنكم قتلتم ابن بنت نبيكم، وجعلتم أهل بيته أسارى!.

وفي (معالي السبطين) للمازندراني، ج٢ ص ٧٣ قال:

فلما وصلوا إلى (تكريت) كتبوا إلى صاحبها بأن تَلَقّنا، فإن معنا رأس الحسين. فلما قرأ الكتاب أمر البوقات فضربت، والأعلام فنشرت، والمدينة فزيّنت. ودعا الناس مِن كل جانب ومكان مِن جميع القبائل، فخرج فتلقّاهم. وكان كل مَن سألهم يقولون: هذا رأس خارجي خرج عَلى يزيد بأرض العراق، في أرض يقال لها كربلاء، فقتله عُبيد الله بن زياد، وأنفذ به إلى الشام.

فقال رجل نصراني: يا قوم، إني كنت بالكوفة، وقد ورد هذا الرأس، وليس هو رأس خارجي، بل هو رأس الحسين بن علي بن أبي طالب، وأمه فاطمة الزهراء، وجده محمّد المصطفى صلى الله عليه وآله. فلما سمعت النصارى ذلِكَ عمدوا إلى النواقيس فأخذوها، وجمعوا الرهبان، وأغلقوا البِيَع [جمع بِيعة وهي الكنيسة] إعظاماً له، وقالوا: إلهَنا وسيدنا، إنا برئنا مِن قوم قتلوا ابن بنت نبيهم.

[طريق البر]

سلوك طريق البرية[1]

قال أبومخنف: ورحلوا مِن تكريت، وأخذوا عَلى طريق البر. ثم عَلى (الأعمى)، ثم عَلى (دير عروة)، ثم عَلى (صليتا)، ثم عَلى (وادي النخلة) فنزلوا فيها وباتوا.

---

(١) المقتل المنسوب لأبي مخنف، ص ١١٣

[وادي النّخلة]

بكاء الجن عَلى الحسين عليه السلام في وادي النخلة[1]

قال أبومخنف: فسمعوا نساء الجن يبكين عَلى الحسين عليه السلام ويقلن شعراً:

مســـح الـنـبـي جبينـه
فـلـه بـريـق فـي الـخـدود
أبـــواه مِـــن عَـلـيـا قـريـش
وجـــده خـيـر الـجـدود
قـتـلـوه ظـلـمـاً ويـلـهـم
سـكـنـوا بـه نـار الـخـلـود

[أرميناء]

ثم رحلوا مِن وادي النخلة، وأخذوا عَلى (أرميناء)، وساروا حتى وصلوا إلى (لينا)، وكانت عامرة بالناس.

[مرشاد]

العجائب في مرشاد[2]

فلما وصلوا إلى بلدة يقال لها (مرشاد) خرج المشايخ والمخدّرات والشبان يتفرجون عَلى السبي والرؤوس، وهم مع ذلِكَ يصلّون عَلى

---

(1) المصدر السابق؛ وينابيع المودة، ص ١٧٧

(2) المنتخب للطريحي، ص ٤٨١ ط٢؛ وينابيع المودة، ج٢ ص ١٧٧

محمّد وآله، ويلعنون أعداءهم؛ وهو مِن العجائب.

[لينا-برساباد]

ما حصل في لينا (أو برساباد)[1]

وفي مخطوطة (مصرع الحسين) مكتبة الأسد، ص ٣٩:

قال أبومخنف: ثم ارتحلوا عَلى طريق (برساباد) وكانت مدينة عامرة غاصة بأهلها، فخرجت المخدرات مِن خدورهن، والكهول والشبان، وجعلوا ينظرون إلى رأس الحسين عليه السلام ويصلون عليه وعلى جده وأبيه، ويلعنون مَن قتله، وهم يقولون: يا قتلة أولاد الأنبياء، اخرجوا مِن بلدنا.

[الكُحيل-جُهينة]

قال أبومخنف: فأخذوا عَلى الكُحَيل (أو الأُكحُل)، وأتوا جهينة (مرج جهينة)، وكتبوا إلى صاحب الموصل، أن تلقّانا فإن معنا رأس الحسين.

[عسقلان]

خبر زرير الخزاعي في عسقلان[2]

لا بأس بالإشارة إلى أن هذه (عسقلان) غير عسقلان فلسطين، وقد

(١) مقتل الحسين المنسوب لأبي مخنف، ص ١١٤

(٢) معالي السبطين للمازندراني، ج٢ ص ٧٦

ذكرها السيد محمّد مهدي الحائري في (معالي السبطين) قبل الموصل. وفيها حصلت هذه القصة الغريبة التي هي إحدى المحاولات لاستنقاذ الرؤوس والسبايا مِن أيدي المجرمين.

في (الدمعة الساكبة) قال: وساروا مجدّين إلى أن وصلوا إلى بلد يقال له (عسقلان) وأمير ذلِكَ البلد يعقوب العسقلاني، وكان في حرب الحسين عليه السلام. فلما وصل العسكر مع الرأس والنساء إليه، أمر أن يزيّنوا ذلِكَ البلد، وأمر أصحاب اللهو والزهو أن يفرحوا ويلعبوا، ويضربوا الطنبور والعود. وجلسوا في القصور باللهو وشرب الخمور.

فلما دخلوا وأدخلوا الرأس والنساء، كان رجل تاجر اسمه زُرير الخزاعي، وكان واقفاً، فلما رأى الناس عَلى ذلِكَ، سأل بعضهم: إن هذا الفرح والسرور ماسببه، وما سبب تزيين الأسواق؟.

فقالوا: كأنك غريب. قال: نعم. قالوا: كان في العراق رجل مع جماعة، وهم يخالفون يزيد وما بايعوه، فبعث إليهم عسكراً فقتلوهم، وهذه رؤوسهم ونساؤهم. فسأل زُرير: يا هذا، هؤلاء كانوا مسلمين أم كفرة؟. فقيل له: إنهم كانوا سادات أهل الاسلام. فقال: ما كان سبب خروجهم عَلى يزيد؟. قيل له: إن كبيرهم كان يقول: أنا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنا بالخلافة أحق. فسأل: مَن كبيرهم، ومن كان أبوه، ومَن كانت أمه؟. قيل: أما اسمه الحسين، وأخوه الحسن، وأمه فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأبوه أمير المؤمنين عليه السلام. فلما سمع زرير ذلِكَ اسودّت الدنيا في عينيه وضاقت الأرض عليه.

فجاء قريباً مِن السبايا، فنظر إلى علي بن الحسين عليه السلام فبكى بكاء شديداً، وأن أنّةً عظيمة. فقال زين العابدين عليه السلام: مالي أراك تبكي يا هذا؟. وجميع أهل البلد في فرح وسرور!. فقال: يا مولاي أنا رجل

غريب، قد وقعت في هذا البلد، وسألت أهل هذا البلد عن فرحهم وسرورهم؟.

فقالوا: باغٍ تباغى عَلى يزيد، فقتله وبعث برأسه ونسائه إلى الشام. فسألت عن اسمه؟

قالوا: هو الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام وجده محمّد المصطفى. فقلت: تبّاً لكم فمن كان أحق منه بالخلافة؟.

فقال عليه السلام: جزاك اللّهُ يا زرير خيراً فقد أرى فيك المعرفة ولنا المحبة.

(قال) فقلت: ياسيدي هل لك حاجة، لأني لك بشرط الخدمة.

قال عليه السلام: قل للذي هو حامل لرأس الحسين عليه السلام أن يتقدم عَلى النساء لتشتغل النظارة بالرأس عن النظر إلى النساء.

قال: فمضيت مِن وقتي وأعطيت حامل الرأس خمسين مثقالاً مِن الذهب والفضة حتى اعتزل وتقدّم به، فاستراحت النساء مِن مدّ النظر إليهن، وعاد الناس يتفرجون عَلى الرؤوس. فأتيت إلى الإمام وقلت: سيدي بماذا تأمرني بعد ذلِكَ؟.

قال عليه السلام: إن كان في رحلك ثياب زائدة ائتني بها.

قال: فمضيت وأتيت لكل واحدة مِن النساء بثوب، وأتيت لزين العابدين عليه السلام بعمامة. فعند ذلِكَ قام الصياح والزعقات في السوق، فتأملت ذلِكَ وإذا هو الشمر اللعين، فأخذتني الحمية فجئت إليه وشتمته، ومسكت بلجام فرسه، وقلت له: لعنك اللّهُ يا شمر، رأس مَن هذا وضعتَه عَلى الرمح؟.

وهؤلاء السبايا الذين سبيتهم أولاد مَن؟.

حتى أركبتهم الجمال بغير وطاء!. قطع اللّهُ يديك ورجليك وأعمى قلبك وعينيك. فغضب اللعين وصاح بأصحابه: اضربوه. فضربوه واجتمع عليه الناس بالحجارة حتى أثخنوه. ووقع مغشياً عليه فظنوا أنه قد قتل ومات، وتركوه ملقى عَلى قفاه لا يتحرك.

فلما كان الليل ومضى نصفه قام زُرير مرة يحبو ومرة يتمرغل عَلى ظهره وبطنه مِن كثرة الجراح، حتى وصل إلى مسجد هناك يسمى بمشهد سليمان النبيﷺ، فإذا هو بأناس رؤوسهم مكشوفة وأزياؤهم (وأزياقهم) مشققة، وأعينهم باكية وقلوبهم محترقة.

فقال زرير: مالكم باكون والناس في هذا البلد فرحون مسرورون؟.

فقالوا: أيها القادم علينا إن كنت منا فاجلس وشاركنا في المصيبة، وإذا هم يبكون عَلى الحسين وأهل بيتهعليهم السلام. فحكى زرير قصته وأراهم الطعن في بدنه، فاشتغلوا بالبكاء، وزادت مصيبتهم وعزاؤهم عَلى أهل بيت الرسولﷺ.

[في الموصل]

وساروا إلى أن وصلوا قريباً مِن (موصل).

وفي (الناسخ): كتب شمر كتاباً إلى الوالي، أن تلقّنا وهيّئ لنا الزاد والعلوفة. فلما وصل الكتاب إلى والي موصل، جمع الأكابر وعرض الكتاب عليهم واستشارهم، فقالوا: حاشا أن نخلّيهم يُدخِلون علينا رأس الحسينعليه السلام. فكتب الوالي كتاباً إلى شمر، بأن أهل هذه البلدة مِن محبي علي بن أبي طالبعليه السلام، وإذا دخلتم البلد أخاف أن تثور عليكم

الفتنة، فالصواب أن تنزلوا قريباً مِن البلدة، ونحن نبعث لكم الزاد والعلوفة. فقبل شمر نصيحته، ونزلوا تحت جبل هناك قريباً مِن موصل عَلى فرسخ منها، وأنزلوا العيال والأطفال، وأنزلوا رأس الحسين عليه السلام مِن الرمح، ووضعوه عَلى صخرة، فقطرت قطرة مِن دم نحره الشريف عَلى الصخرة، فصارت تنبع ويغلي منها الدم كل سنة في يَوم عاشوراء، والناس مجتمعون إليها في كل سنة، ويقيمون مراسم العزاء والمأتم عَلى الحسين عليه السلام في يَوم عاشوراء. وبقيت هذه إلى أيام عبد الملك بن مروان، فأمر بنقل الحجر، فلم يُرَ بعد ذلِكَ منه أثر. ولكن بنوا عَلى ذلِكَ المقام قبة وسمّوها مشهد النقطة.

وفي (مزارات بلاد الشام) للهروي قال: وبالموصل مشهد رأس الحسين، كان به لما عبروا بالسبي، ومشهد الطرح، وبها كف علي بن أبي طالب عليه السلام.

فلما سمعوا ذلِكَ لم يدخلوا البلد، وأخذوا عَلى (تل أعفر)، ثم عَلى جبل سنجار.

[تل أَعْفَر - سنجار]

في تل أعفر وسنجار[1]

قال أبومخنف: فلم يدخل خولي الموصل... وأخذوا به عَلى طريق البرية، عَلى جبلة عَلى (تل أعفر)، ثم عَلى (سنجار). وساروا عَلى نصيبين عَلى الحصن.

وسنجار بلدة واقعة في السفح الجنوبي لجبل سنجار، وفيها مزار

(١) مخطوطة مصرع الحسين ـ مكتبة الأسد، ص ٤٣

للسيدة زينب الكبرى عليها السلام وهو يقوم عَلى ربوة عالية في مدخل المدينة.

والذي يريد التوجه مِن سنجار إلى (نصيبين) لابدّ له أن يمرّ بمضيق في الجبل ليصير إلى الشمال، ماراً بوادي (الردّ) في طريقه إلى نصيبين.

في سنجار:

ثمّ سار ركب الرؤوس والسبايا غرباً ليدخل أراضي الجزيرة السورية، فمروا على تلعفر، ثمّ على سنجار، وهي بلدة تقع على السفح الجنوبي لجبل سنجار الَّذي نصفه الشرقي في العراق، ونصفه الغربي في سورية اليوم.

وقد سميّت (سنجار) على اسم بانيها وهو سنجار بن دعر، ودعر هو الَّذي نجّى يوسف عليه السلام مِن الجب[1].

وبما أن السبايا مروا بسنجار في طريقهم إلى نصيبين، فقد أقام أهلها المحبون لأهل البيت عليهم السلام فيها مسجداً سموه مزار السيدة زينب عليها السلام، وكذلك مشهداً للإمام علي عليه السلام، وسموا تلاً فيها باسم قنبر خادم الإمام عليه السلام.

فنرى اليوم في سنجار العديد مِن المزارات المنسوبة لأهل البيت عليهم السلام ومن أهمها المزار المنسوب للسيدة زينب الكبرى عليها السلام.

---

(١) معجم البلدان لياقوت الحموي، ج٣ ص ٢٦٢.

[في نَصيبين]

ثمّ سار ركب الرؤوس والسبايا حتى وصلوا نصيبين، وهي قلعة محصنة، وتقابل اليوم القامشلي على الحدود التركية.

قال أبوالحسن الهروي في (مزارات بلاد الشام) ص ٦٥:

مدينة نصيبين بها مشهد الإمام علي عليه السلام، وبه شجرة عنّابة ولها حكاية.

وبها كف علي بن أبي طالب عليه السلام في مسجد باب الروم... وبها مسجد زين العابدين. وبها مشهد الرأس في سوق النشّابين، ويقال إن رأس الحسين عليه السلام عُلّق به لما عبروا بالسبي إلى الشام. وبها مشهد النقطة، يقال إنه مِن دم الرأس هناك،

والله أعلم.

قال أبومخنف: فنزلوا إلى نصيبين وشهروا الرأس والسبايا. فلما رأت زينب عليها السلام رأس أخيها بكت وأنشأت تقول:

ألـم تُشهرونا فـي البرية عنوةً
و والـدنـا أوحـى إلـيـه جليلُ
كفرتم بـرب الـعـرش ثـم نبيّـه
كـأن لم يجئكم في الـزمـان رسول
لَحاكم إلـهُ العرش يا شـرّ أمة
لكم فـي لظى يَـوم المعاد عويل

وقد حدثت في هذه البلدة حوادث جليلة، منها ما حصل مع راهب نصيبين.

فلما أحس العسكر بهجوم مرتقب عليهم، حاولوا دخول دير الراهب ليحتموا به، وباتوا فيه.

قال السيد محمّد مهدي الحائري في (معالي السبطين): ثم ساروا إلى أن وصلوا إلى (نَصيبين) وهي مدينة قرب دجلة، وتقع عَلى أحد روافد نهر الخابور المتوجهة إلى الحسكة.

عن (كامل البهائي): أمر منصور بن إلياس بتزيين البلدة، فزيّنوها بأكثر مِن ألف مرآة. فلما دخلوا أراد الملعون الّذي كان معه رأس الحسين عليه السلام أن يدخل البلد، فلم يطعه فرسه. فبدّله بفرس آخر فلم يطعه، وهكذا... فإذا بالرأس قد سقط إلى الأرض، فأخذه إبراهيم الموصلي فتأمل فيه، فوجده رأس الحسين عليه السلام، فلامهم ووبخهم، فقتله أهل الشام.

ثم جعلوا الرأس خارج البلد، ولم يدخلوا به. ولعل مسقط الرأس الشريف صار مشهداً ومزاراً.

المسير إلى حرّان

[كفَر نوبا ـ عين الوردة]

في كفَرنوبا ثم رأس العين[1]

قال أبومخنف: وأتوا به (كفر نوبا)، وجازوا به إلى (عين الوردة) وهي رأس العين.

[دعوات]

في دَعَوات[2]

قال أبومخنف: وجعلوا يسيرون إلى عين الوردة، وأتوا إلى قريب (دعوات). وكتبوا إلى عاملها أن تلقّانا، فإن معنا رأس الحسين عليه السلام. فلما قرأ الكتاب أمر بضرب البوقات، وخرج يتلقّاهم. فشهروا الرأس ودخلوا مِن باب الأربعين، فنصبوا رأس الحسين عليه السلام في الرحبة،

(١) مخطوطة مصرع الحسين ـ مكتبة الأسد، ص ٤٣

(٢) معالي السبطين، ج٢ ص ٧٨

مِن زوال الشمس إلى العصر، وأهلها طائفة يبكون، وطائفة يضحكون وينادون: هذا رأس الخارجي، خرج عَلى يزيد بن معاوية.

قال: وتلك الرحبة التي نصب فيها رأس الحسين عليه السلام لايجتاز فيها أحد وتقضى حاجته إلى يَوم القيامة.

وباتوا ثملين مِن الخمور إلى الصباح. فلما ارتحلوا بكى زين العابدين عليه السلام وأنشأ يقول:

ليت شعري هل عاقل في الدياجي
بـات مِـن فجعة الـزمـان يناجي
أنـا نجل الإمـــام مـا بـال حقي
ضـائـع بـيـن عـصـبـة الأعـــلاج

قصة صاحب الدير[1]

قال في (الدمعة الساكبة): وفي بعض الكتب القديمة قد روي مرسلاً عن بعض الثقات عن أبي سعيد الشامي، قال: كنت يوماً مع الكفرة اللئام الذين حملوا الرؤوس والسبايا إلى دمشق. فلما وصلوا إلى دير النصارى، وقع بينهم [أي جاءهم خبر] أن نصر الخزاعي قد جمع عسكراً، ويريد أن يهجم عليهم نصف الليل، ويقتل الأبطال ويجدّل الشجعان، ويأخذ الرؤوس والسبايا.

فقال رؤساء العسكر مِن عظم اضطرابهم: نلجأ الليلة إلى الدير، ونجعله كهفاً لنا، لأن الدير كان محكماً لايقدر أن يتسلط عليه العدو. فوقف الشمر وأصحابه عَلى باب الدير، وصاح بأعلى صوته: يا أهل

(١) معالي السبطين، ج٢ ص ٨٢

الدير. فجاءه القسيس الكبير. فلما رأى العسكر قال لهم: مَن أنتم وما تريدون؟.

فقال الشمر: نحن مِن عسكر عُبيد الله بن زياد، ونحن سائرون إلى الشام.

قال القسيس: لأي غرض؟.

قال: كان شخص في العراق قد تباغى وخرج عَلى يزيد بن معاوية وجمع العساكر، فبعث عسكراً عظيماً فقتلوهم، وهذه رؤوسهم، وهذه النسوة سَبيهم.

قال: فلما نظر القسيس إلى رأس الحسين عليه السلام وإذا بالنور ساطع منه إلى عنان السماء، فوقع في قلبه هيبةٌ منه.

فقال القسيس: ديرنا ما يسعكم، بل أدخلوا الرؤوس والسبايا إلى الدير، وأحيطوا بالدير مِن خارج، فإذا دهمكم عدوّ قاتلوه، ولا تكونوا مضطربين عَلى الرؤوس والسبايا. فاستحسنوا كلام القسيس،

وقالوا: هذا هو الرأي. فحطّوا رأس الحسين عليه السلام في صندوق، وقفلوه وأدخلوه إلى الدير، هو والنساء وزين العابدين عليه السلام وجعلوهم في مكان يليق بهم.

القسّيس يشهد نزول نساء الأنبياء لتعزية الحسين عليه السلام

قال: ثم إن صاحب الدير أراد أن يرى الرأس الشريف، وجعل ينظر حول البيت [أي الغرفة] الَّذي فيه الصندوق، وكان له رازونة [أي كوة] فحطّ رأسه فيها، فرأى البيت يشرق نوراً، ورأى أن سقف البيت قد

انشق ونزل مِن السماء تخت عظيم. وإذا بامرأة أحسن مِن الحور جالسة عَلى التخت، وإذا بشخص يصيح: أطرقوا ولا تنظروا. وإذا قد خرج مِن ذلِكَ البيت نساء، وإذا هنّ حواء وسارة وأم إسماعيل وأم يوسف وأم موسى ومريم وآسية عليها السلام ونساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم. قال: فأخرجن الرأس مِن الصندوق، وكل مِن تلك النساء ـ واحدةٌ بعد واحدة ـ يقبّلن الرأس الشريف.

فاطمة الزهراء عليها السلام ترثي ابنها

فلما وقعت النوبة لمولاتنا فاطمة الزهراء عليها السلام غشي عليها، وغشي عَلى صاحب الدير، وعاد لاينظر بالعين، بل يسمع الكلام، وإذا بقائلة تقول: السلام عليك يا قتيل الأم، السلام عليك يا مظلوم الأم، السلام عليك يا شهيد الأم، لا يداخلك همّ ولا غم، وإن الله تَعالَى سيفرّج عني وعنك. يابنيّ مَن ذا الّذي فرّق بين رأسك وجسدك؟.

يابنيّ مَن ذا الّذي قتلك وظلمك؟.

يابنيّ مِن ذا الّذي سبى حريمك؟.

يابنيّ مَن ذا الّذي أيتم أطفالك؟. ثم إنها بكت بكاء شديداً.

صاحب الدير يكلّم الرأس الشريف والرأس يكلمه

فلما سمع الديراني (صاحب الدير) ذلِكَ اندهش ووقع مغشياً عليه. فلما أفاق نزل إلى البيت وكسر الصندوق، واستخرج الرأس وغسّله وحنّطه بالكافور والمسك والزعفران، ووضعه في قِبلته [أي مقابله] وهو

يبكي ويقول:

يا رأسُ مِن رؤوس بني آدم، ويا كريمَ ويا عظيمَ جميعِ مَن في العالم. أظنك مِن الذين مدحهم اللّهُ في التوراة والإنجيل، وأنت الَّذي أعطاك فضل التأويل، لأن خواتين [جمع خاتون، وهي السيدة الجليلة] السادات مِن بني آدم في الدنيا والآخرة يبكين عليك ويندبنك. أنا أريد أن أعرفك باسمك ونعتك.

فنطق الرأس بقدرة الله تَعالَى، وقال: أنا المظلوم أنا المهموم أنا المغموم، أنا الَّذي بسيف العدوان والظلم قُتلت، أنا الَّذي بحرب أهل البغي ظلمت، أنا الَّذي عَلى غير جُرم نُهبت، أنا الَّذي مِن الماء منعت، أنا الَّذي عن الأهل والأوطان بُعدت.

فقال صاحب الدير: بالله عليك أيها الرأس زِدني. فقال: إن كنت تسأل عن حسبي ونسبي: أنا ابن محمّد المصطفى، أنا ابن علي المرتضى، أنا ابن فاطمة الزهراء، أنا ابن خديجة الكبرى، أنا ابن العروة الوثقى. أنا شهيد

كربلا، أنا قتيل كربلا، أنا مظلوم كربلا، أنا عطشان كربلا، أنا ظمآن كربلا، أنا وحيد كربلا، أنا سليب كربلا، أنا الَّذي خذلني الكفرة بأرض كربلا.

القسيس وتلامذته يُسْلِمون عَلى يد الإمام زين العابدين عليه السلام

قال: فلما سمع صاحب الدير مِن رأس الحسين عليه السلام ذلِكَ، جمع تلامذته وحكى لهم الحكاية، وكانوا سبعين رجلاً، فضجّوا بالبكاء والعويل، ورموا العمائم عن رؤوسهم، وشقّوا أزياقهم. وجاؤوا إلى

سيدنا زين العابدينعَلَيْهِ السَّلَامُ وقد قطّعوا الزنّار وكسروا الناقوس، واجتنبوا فعل اليهود والنصارى، وأسلموا عَلى يديه، وقالوا: يابن رسول الله مُرنا أن نَخرج إلى هؤلاء الكفار ونقاتلهم، ونجلي صداء قلوبنا بهم، ونأخذ بثأر سيدنا ومولانا الحسينعَلَيْهِ السَّلَامُ. فقال لهم الإمامعَلَيْهِ السَّلَامُ: لا تفعلوا ذلِكَ، فإنهم عن قريب ينتقم اللّهُ تَعالَى منهم، ويأخذهم أخذَ عزيز مقتدر.

توضيح:

وردت عدة قصص لرهبان وصوامع وأديرة في الطريق؛ منها ما حصل في أول دير مروا به عَلى شط الفرات، ومنها ما حصل لراهب قِنّسرين الَّذي اطّلع مِن صومعته ثم كلّم الرأس وأسلم، ومنها ما حصل في صومعة الراهب قبل وصولهم إلى دمشق بقليل، وقد رويناها بعدة طرق وأشكال. ومنها الرواية الآنفة الذكر وقد وضعناها هنا مسترشدين بالفقرة التالية التي نصّت عَلى أن أهل البيتعَلَيْهِمُ السَّلَامُ أقاموا في دير الراهب قبل أن يساقوا إلى حرّان.

المسير إلى حرّان ثمّ الرقّة فحلب

عن صاحب (المنتخب) أنهم مروا على: عين الوردة ـ حران ـ الرقة ـ حلب...

[في حرّان]

يقول صاحب كتاب (روضة الأحباب) وهو مِن علماء السنة الموثوقين[1]:

إن شخصاً يهودياً اسمه يحيى الحرّاني كان يسكن عَلى رأس تل قريب مِن مدينة حرّان. وسمع يوماً أن أهل البيت عليهم السلام سِيقوا مِن دير الراهب إلى حران، وسمع كذلك أن جماعة مؤلفة مِن نساء وأطفال قد أسروا، ودخلوا حرّان بصحبة رؤوس كثيرة مقطّعة. فخرج يحيى مِن بيته ونزل مِن أعلى التل، وانتظر وصول القافلة بجوار الطريق. وعندما انجلت مقدمة القافلة رأى يحيى رؤوساً محمولة عَلى الرماح، ورأى أهل البيت يساقون وراء الرؤوس كما يساق الكفار بقوة وعنف. وفي تلك اللحظات وقعت عين يحيى عَلى رأس ابن بنت المصطفى صلى الله عليه وآله وكان نور جماله يشع مِن بعيد. وعندما حدّق به شاهدَ شفتيه المباركتين تتحركان، فاقترب مِن الرأس ليسمع ماذا يقول، فسمعه يقول: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾.

وعندما سمع هذه الآية المباركة يتلوها الرأس المقطوع، أخذته الدهشة والذعر والحيرة، وبشكل عفوي اقترب مِن أحد الجنود وسأله عن صاحب الرأس؟.

أجابه: هذا رأس الحسين بن علي عليه السلام.

---

(١) جاء في الموسوعة الإسلامية البريطانية ـ حرف الجيم: كتب المؤرخ الفارسي عطاء الله ابن فضل الله الشيرازي النيسابوري [ت ٩١٧ هـ] فيما بين عامي ٨٨٨ ـ ٩٠٠ هـ سيرة للنبي صلى الله عليه وآله وآل بيته وصحابته عنوانها (روضة الأحباب في سير النبي والآل والأصحاب) مجلدان، وأهداها لمير علي شير. ويمكن الرجوع في شأنه إلى حاجي خليفة في كتابه (كشف الظنون).

سأله عن اسم أمه؟.

أجابه: إنها فاطمة بنت محمّد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

وسأله عن هوية الأسرى الذين معه؟.

أجابه: هؤلاء الأطفال والنساء هم عائلته. عند ذلِكَ وقع يحيى باكياً، وقال: أحمد الله أنه انكشف لي أن في شريعة محمّد، كل مَن يمشي في طريق الضلال تكون عقوبته النار الأبدية. وانطلاقاً مِن هذا المبدأ فإننا نجد أن الأنبياء وأهلهم هم أكثر الناس تحمّلاً لألوان الظلم والاضطهاد والألم والعذاب، وإن هذه البلية العمياء والداهية الدهياء لهي برهان عَلى هذه الحقيقة.

عندئذ نطق يحيى اليهودي بالشهادتين وأسلم لله.

وطلب أن يقدّم لأهل البيت كل ما يملك مِن أدوات وأغراض، فرفض العسكر ذلِكَ ومنعوه، لأنهم خافوا مِن سلطة يزيد. وبما أن يحيى كان محباً للحسين عليه السلام، وبما أن المحبّين عادة لاينظرون إلى الربح والخسارة، فقد شهر سيفه وقاتل العسكر حتى نال الشهادة، ودفن بجوار بوابة حرّان، وسمّي منذ ذلِكَ الحين (يحيى الشهيد) رضوان الله عليه.

ثمّ سار ركب الرؤوس والسبايا مِن نصيبين إلى عين الوردة ثمّ حران، ثمّ نزلوا إلى الرقة، وتابعوا مسيرهم إلى بالس (مسكنة) حتى وصلوا إلى حلب. والظاهر أن حلب الشماء رفضت إدخالهم ومساعدتهم.

مسير السبايا والرؤوس من الرقة إلى حلب

[الرَّقّة]

مِن المقطوع به مرور السبايا عليهم السلام عَلى (الرقة)، وهي بلدة معروفة تقع عَلى الجانب الأيسر لنهر الفرات عند التقائه برافد (البليخ). وفي جنوبها وجنوب النهر يقع جبل (صفّين) الَّذي كانت عنده الموقعة المشهورة. ولم يُذكر مرورهم عليهم السلام عَلى الرقة في أية رواية، مع أن مرورهم بها حتمي.

[دوسَر-بالِس]

مرور الرأس الشريف عَلى دوسر ثم بالس[1]

قال أبومخنف: وأتوا به (دوسر)، وأخذوا به تخت (بالِس) ونزلوا بها. وكتبوا إلى صاحب حلب...

فأما دوسَر فهي (قلعة جَعبر) وتقع عَلى الفرات بين الرقة وبالس.

(١) مخطوطة مصرع الحسين ـ مكتبة الأسد، ص ٤٣

وأما بالِس [وتدعى اليوم مسكنة] ففيها مشهد الطرح، وبها مشهد الحجر الَّذي وضع عليه رأس الحسين عليه السلام عند مرور السبايا بها[1].

[في حلب]

يقول العلامة السيد حسين يوسف مكي في كتابه (تاريخ مشهد الإمام الحسين في حلب) ص ١١ و١٢:

وأما (حلب) فلم تكن مركزاً في ذلِكَ الوقت، وإنما كانت تابعة لـ(قِنِّسرين) التي تقع إلى الجنوب الغربي مِن حلب عَلى بعد ٢٥ كم. وقد كان مبيت (الرؤوس) عند وصولها إلى حلب عَلى جبل يقع غرب حلب، هو جبل الجوشن، سمّي بهذا الاسم نسبة لشَمِر بن ذي الجوشن الَّذي تولى ذبح الحسين عليه السلام واقتياد الرؤوس والسبايا والتشهير بهم في البلاد. وذلك ليبقى هذا الاسم معلناً بفسق الشمر وفجوره وفظاعة أعماله إلى يَوم القيامة.

وأما (السبايا) فقد نزلوا عَلى تلّة على بعد مائتي متر جنوب مكان الرؤوس. وبقي في هذين المكانين قبل الارتحال أثران هامان:

الأول: نقطة من دم الحسين عليه السلام سقطت مِن الرأس الشريف عَلى الحجر الَّذي وضع عليه، بني عليها [مشهد الحسين عليه السلام].

والثاني: قبر السقط (محسن) الَّذي أسقطته إحدى زوجات الحسين عليه السلام أثناء مبيت السبايا، وقد بني عليه [مشهد السقط عليه السلام].

وقد شاء اللّهُ تَعالَى أن يظهر أمر هذين الأثرين للوجود، وأن

---

(١) انظر التعريف ببالس سابقاً.

تكون لتلك الكرامات التي بانت لهذين المشهدين، الأثر في نفس سيف الدولة الحمداني، مما دعاه إلى تشييد مشهد لكل منهما سنة ٣٥١ هـ».

وقد كان هذا المشهد خراباً حتى جدد بناءه العلامة السيد حسين يوسف مكي رحمه الله عام ١٩٦٠م.

توضيح:

في كثير مِن الأحيان عندما كان شمر وصحبه يريدون دخول البلد، فيمنعهم أهلها مِن الدخول ويغلقون أبوابها في وجههم، كانوا يضطرون للمبيت خارج البلد، فيتّخذون نَشزين (تَلَّين) يضعون على الأول الرؤوس، وعلى الثاني السبايا، فيكونون في موقع استراتيجي يحميهم مِن أي هجوم مباغت في الليل أو النهار.

هذا ما حدث عند قدومهم (حلب)، وكذلك عند قدومهم (حماة).

[في جبل الجوشن]

في (القمقام) عن ياقوت الحموي في (معجم البلدان): أن في قرب حلب جبلاً اسمه (جوشن)، وهو جبل مطلّ عَلى حلب في غربيّها وفيه مقابر ومشاهد للشيعة، منها مقبرة ابن شهراشوب صاحب المناقب. وكان في ذلِكَ الجبل معدن الصفر، ومنه يحمل النحاس الأحمر.

وفي قبلي الجبل مشهد يسمى (بمشهد السقط) لأنه لما عبروا بسبي الحسين عليه السلام ونسائه، كانت زوجة الحسين عليه السلام حاملاً بولد

اسمه (محسن) وأسقطت هناك.

والعيال طلبوا مِن الصنّاع في ذلِكَ الجبل خبزاً وماء وبعض الحوائج، فشتموهم ومنعوهم، فدَعَونَ عليهم.

ومن ذلِكَ اليوم فُقد ذلِكَ المعدن، ومَن عمل فيه لايربح.

فدفن السقط هناك، وسمي بمشهد السقط عليه السلام. وأهل حلب يعبّرون عنه بالشيخ محَسِّن، بفتح الحاء وتشديد السين المكسورة.

المسير مِن حلب إلى حماة

قال الإسفراييني في (نور العين):

ثمّ مروا على: قنّسرين ـ مدينة النعمان ـ كفرطاب ـ شيزر ـ سيبور ـ حماة ـ الرستن ـ حمص ـ خندق الطعام ـ جوسِية ـ بعلبك ـ صومعة راهب [وكيف أخذ الراهب الرأس المقدس] ـ دمشق.

[في قِنِّسرين]

لما انصرف ركب الرؤوس والسبايا مِن حلب متوجهاً إلى الجنوب، مرّ بقنسرين، وكانت عامرة بأهلها. فلما بلغهم ذلِكَ أغلقوا الأبواب، وجعلوا يلعنونهم ويرمونهم بالحجارة، ويقولون: يا فَجَرة، يا قتلة أولاد الأنبياء، واللهِ لا دخلتم بلدنا، ولو قُتلنا عن آخرنا.

فنزلوا في صومعة راهب قنسرين، والظاهر أنه كان راهباً موحّداً، ويرى بنور الله.

راهب قنّسرين

في (البحار) عن (الخصائص): لما جاؤوا برأس الحسين عليه السلام ونزلوا منزلاً يقال له (قنّسرين) اطّلع راهب مِن صومعته إلى الرأس، فرأى نوراً ساطعاً يخرج مِن فيه [أي فمه] ويصعد إلى عنان السماء.

يقول العلامة المجلسي معلّقاً: «كأن هذا الراهب كان يرى ملكوت الأشياء برياضته ورهبانيته، فرأى النور الساطع مِن الرأس، ولا يراه سائر الناس».

فأتاهم بعشرة آلاف درهم، وأخذ الرأس وأدخله صومعته. فسمع صوتاً ولم ير شخصاً، قال: طوبى لك، وطوبى لمن عرف حرمته. فرفع الراهب رأسه وقال: يارب بحق عيسى عليه السلام تأمر هذا الرأس بالتكلم معي!. فتكلم الرأس وقال: ياراهب أيَّ شيء تريد؟.

قال: مَن أنت؟.

قال: أنا ابن محمّد المصطفى، وأنا ابن علي المرتضى، وأنا ابن فاطمة الزهراء. أنا المقتول بكربلا، أنا المظلوم، أنا العطشان. وسكت.

فوضع الراهب وجهه عَلى وجهه، فقال: لا أرفع وجهي عن وجهك حتى تقول: أنا شفيعك يَوم القيامة. فتكلم الرأس وقال: ارجع إلى دين جدي محمّد صلى الله عليه وآله وسلم.

فقال الراهب: أشهد أن لا إله إلا اللّهُ، وأشهد أن محمداً رسول الله. فقبل له الشفاعة.

فلما أصبحوا أخذوا منه الرأس والدراهم. فلما بلغوا الوادي، نظروا الدراهم قد صارت حجارة.

البغاة في قنّسرين[1]

قال أبومخنف: وأتوا (قنّسرين) وكانت عامرة بأهلها. فلما بلغهم ذلِكَ أغلقوا الأبواب، وجعلوا يلعنونهم ويرمونهم بالحجارة، ويقولون: يا فَجَرة، يا قتلة أولاد الأنبياء، واللهِ لا دخلتم بلدنا، ولو قُتلنا عن آخرنا. فرحلوا عنهم.

قال: فبكت أم كلثوم، وأنشأت تقول:

كم تنصبون لنا الأقتاب عاريةً
كأننا مِـن بنات الـروم فـي البلدِ
أليس جـدي رسـول الله ويلكمُ
هو الَّـذي دلّكم قصداً إلـى الرَّشَد
يا أمـة السوء لا سُقيا لربعكمُ
إلا العذاب الَّـذي أخنى عَلى لُبَد

[معرة النعمان]

في معرة النعمان[2]

قال أبومخنف: وأتوا إلى (معرّة النعمان) واستقبلوهم وفتحوا لهم الأبواب، وقدّموا لهم الأكل والشرب، وبقوا بقية يومهم.

وفي (أسرار الشهادة) للدربندي: وساروا إلى معرة النعمان، فتلقوهم بالفرح والسرور، وفتحوا لهم الأبواب، وذبحوا الذبائح، وباتوا ليلتهم.

---

(١) مقتل الحسين المنسوب لأبي مخنف، ص ١١٦

(٢)(المصدر السابق)

[كَفر طاب]

ذكر ياقوت الحموي في (معجم البلدان) أن كفرطاب بلدة بين المعرة وبين حلب في البرية، وهو اشتباه. وقد ذكر أبومخنف كما سترى أن السبايا مروا بكفرطاب بعد شيزر، وهو اشتباه أيضا. والصحيح ماذكره أبوالفداء في (تقويم البلدان) مِن أن كفر طاب عَلى الطريق بين المعرة وشيزر، وهي قرية قليلة الماء. وقال العزيزي: بينها وبين شيزر ١٢ ميلاً، وكذلك بينها وبين المعرة[1].

[في كَفر طاب]

قال أبومخنف: وساروا إلى أن وصلوا إلى (كفَر طاب) وكان حصناً صغيراً، فغلّقوا الأبواب عليهم. فتقدم إليهم خَولي فقال: ألستم في طاعتنا فاسقونا الماء. فقالوا: والله لا نسقيكم قطرة واحدة وأنتم منعتم الحسين عليه السلام وأصحابه الماء.

وفي (أسرار الشهادة): فلما أصبحوا رحلوا إلى (كفر طاب)، فأغلقوا الأبواب. فطلب خولي فتحها، فقالوا: إن صاحب خراج بلدنا لم يأذن لنا بفتحها أو ترحلوا. فساروا ولم يدخلوها.

---

(١) في منجد الأعلام: توما كفرطابي، اسقف كفرطاب الماروني [نحو ١٠٨٩م] له كتاب (المقالات) و(الفصول العشرة).

[شِيزَر]

قال أبو مخنف: ورحلوا منها ونزلوا (شِيزر) وكان فيها شيخ كبير، فقال: ياقوم هذا رأس الحسينعليه السلام، فتحالفوا أن لا يجوزوا في بلدهم. فلما عاينوا ذلِكَ منهم لم يدخلوها.

وفي (أسرار الشهادة): فاتصل الخبر بأهل (شيزر)، فاجتمعوا وتحالفوا على أن يمنعوهم الجواز برأس الحسينعليه السلام ولو قُتلوا عن آخرهم، وأغلقوا الأبواب في وجوههم. فألزمهم خَولي، فعند ذلِكَ جرّدوا السيوف وحملوا عليه، فقتلوا مِن أصحابه أربعين رجلاً، وقُتل مِن أهل شيزر تسعة رجال. وطال بينه وبينهم الخطاب.

فقالت أم كلثومعليها السلام: ما يقال لهذه المدينة؟

فقالوا: شيزر. قالت: عذّب اللّهُ شربكم، وأرخص سعركم، ودفع أيدي الظالمين عنكم.

فهي إلى يومنا هذا ما يعرف فيها إلا العدل والرخاء.

[سَيبور]

قتال في (سَيبور):

قال أبومخنف: فرحلوا عنها وأتوا (سَيبور) وهم أيضاً غلّقوا الأبواب عليهم. وكان فيها شيخ كبير وقد شهد عثمان بن عفان، فجمع أهل سيبور المشايخ والشبان، فقال: يا قوم إن الله كره الفتنة، وقد مرّ هذا الرأس في جميع البلدان ولم يعارضه أحد، فدعوه يجوز في بلدكم.

فقال الشبان: واللهِ لا كان ذلِكَ أبداً. ثم عمدوا إلى القنطرة فقطعوها،

فخرجوا عليهم شاكين في السلاح.

فقال لهم خولي: إليكم عنا، فحملوا عليه وعلى أصحابه فقاتلوهم قتالاً شديداً.

فقالت أم كلثوم عليها السلام: ما يقال لهذه المدينة؟.

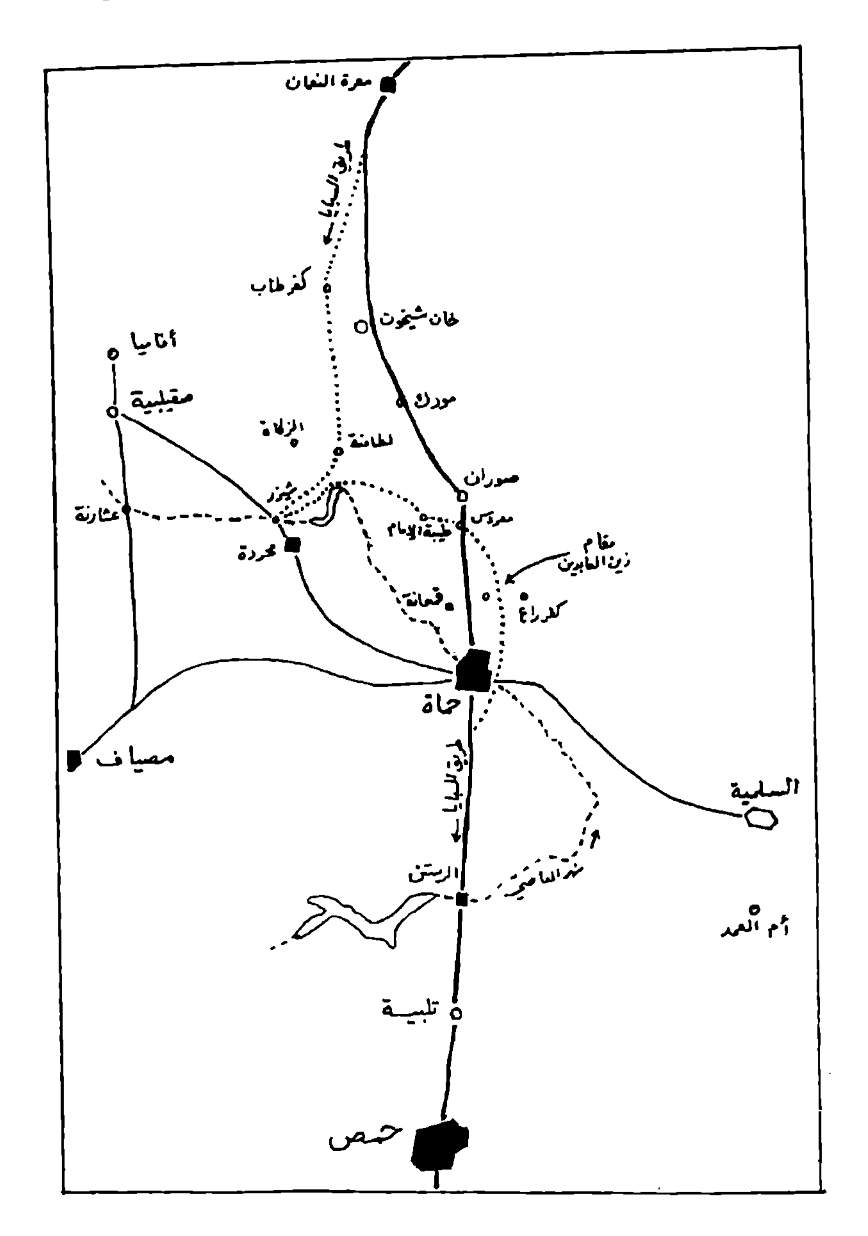
فقالوا: سَيبور، فقالت: أعذب اللّهُ تَعالَى شرابهم وأرخص اللّهُ أسعارهم ورفع أيدي الظلمة عنهم.

قال أبومخنف: فلو أن الدنيا مملوءة ظلماً وجَوراً لَما نالهم إلا قسط وعدل.

لماذا انحازوا عن الطريق العام إلى شيزر؟

الظاهر أن (كفرطاب) قرية تقع في منتصف المسافة بين معرة النعمان وشيزر. والمتتبع للمصور الجغرافي يستغرب متسائلاً: لماذا فارق ركب البغاة بعد المعرة الطريق العام المتجه إلى حماة، وحاد إلى الغرب، ليمرّ بكفرطاب ثمّ شيزر ثمّ سيبور؟. ولعل السبب في ذلِكَ أن البغاة بعد انفصالهم مِن معرة النعمان وكانوا قد تزودوا بالماء مِن حلب، صاروا في منطقة قليلة المياه ليس فيها أنهار ولا ينابيع، فاضطروا أن يقصدوا أقرب نقطة إلى الماء، وهي نهر العاصي المار مِن شيزر. وبعد أن ملؤوا قربهم بالماء وأشربوا خيلهم قفلوا راجعين إلى الطريق العام يقصدون حماة، فمروا بسيبور، ثمّ بـ (طيبة الإمام). وقد اشتهر عن أهل هذه البلدة أنهم كانوا محبين لأهل البيت عليهم السلام، فاحتفوا بالسبايا وأعطوهم الطعام والكساء، فسميت بلدتهم (طيّبة الإمام) نسبة للإمام زين العابدين عليه السلام الذي دعا لهم. ثم مروا قريباً مِن حماة في الجهة الشمالية الغربية منها،

حيث بني (مسجد الحسين) ويطلق عليه اليوم (مسجد الحسنين).



(الشكل ٣): مخطط الطريق مِن معرة النعمان إلى حماة

خبر دُرّة الصدفية مِن حلب[1]

قصة امرأة جريئة مِقدامة جهّزت كتيبة مِن المقاتلين، وخرجت مِن حلب حتى التقت بجيش شمر وخولي في الطريق، وحاولت تخليص رأس الحسين عليه السلام والسبايا مِن الأعداء، فلم تستطع لكثرتهم، فرجعت.

نجد قصتها في (أسرار الشهادة)؛ كما نجد قصتها أيضاً في (مخطوطة مصرع الحسين ـ مكتبة الأسد) ص ٤٤ وما بعدها، عدة صفحات، نكتفي بذكر شيء منها:

جهاد البطلة درّة الصدف

نقل جمع مِن الكتاب الكبير لأبي مخنف قال:

وطلب القوم حلب، وكتبوا إلى صاحب حلب: أن تلقّانا فإنا معنا رأس الحسين خارجي. فلما وصل الكتاب إليه علمَ به عبد الله بن عمر الأنصاري، فعظم ذلِكَ عليه وكثر بكاؤه وتجدّدت أحزانه، لأنه كان في زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يحمل لهم الهدايا، وكان الحسن والحسين عليه السلام لا يفارقانه على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فلما بلغه سمّ الحسن عليه السلام وموته، مثَّلَ في منزله قبراً وجلّله بالحرير والديباج، وكان يندب الحسن عليه السلام ويرثيه ويبكي عليه صباحاً ومساء. فلما بلغه حينئذ قتل الحسين عليه السلام وحمل رأسه إلى يزيد ووصوله إلى حلب، دخل منزله وهو يرعد ويبكي.

فلاقته ابنته درّة الصدف فقالت: ما بك يا أبتاه؟ لا كَبا بكَ الدهر، ولا

---

(١) أسرار الشهادة للدربندي، ج٣ ص ٤٤٥ طبعة كمبيوترية.

نزل بقومك القهر. أخبرني عن حالك. فقال لها: يا بنيّة إن أهل الشقاق والنفاق قتلوا حسينا وسَبَوا حريمه، والقوم سائرون بهم إلى اللعين يزيد. وزاد نحيبه وبكاؤه وجعل يقول:

قلّ العزاء وفاضت العينانِ
وبُليتُ بالأرزاء والأشجانِ
قتلوا الحسين وسيَّروا لنسائه
حرمِ الرسول بسائر الأوطان
منعوه مِن ماء الفرات بكربلا
وعدَتْ عليه عصابة الشيطان
سلبوا العمامة والقميص ورأسُه
قسراً يُعلّى فوق رأس سِنان

فقالت له ابنته: يا أبتاه، لا خير في الحياة بعد قتل الهداة، فواللهِ لأحرّضنّ في خلاص الرأس والأسارى، وآخذ الرأس وأدفنه عندي في داري، وأفتخر به على أهل الأرض إن ساعدني الإمكان.

وخرجت دُرّة الصّدَف وهي تنادي في أطراف حلب وأزقّتها: «قُتل يا ويلكم الإسلام». ثمّ دخلت منزلها فلبست درعاً وتأزّرت بالسواد، وخرجت وخرج معها مِن بنات الأنصار وحِميَر سبعون فتاة بالدروع والمغافر. فتقدمتهنّ فتاة يقال لها نائلة بنت كبير بن سعد الأنصاري، وسرنَ مِن ليلتهنّ. حتى إذا كان عند طلوع الشمس إذ لاحتْ لهنّ الغبرة مِن البعد، ولاحت الأعلام، وضُربت البوقات أمام الرأس. فكمنت درّة الصدف ومَن معها حتى قربَ القوم منهنّ، فسمعن بكاء الصبيان ونوح النساء، فبكت درّة الصدف ومَن معها بكاء شديداً، وقالت: ما رأيكنّ؟. قلنَ: الرأي أن نصبر حتى يقربوا منا وننظر عدة القوم. حتى إذا طلعت

الرايات، وإذا تحتها رجال قد تلثّموا بالعمائم، وجرّدوا السيوف، وشرّعوا الرماح، والبيض تلمع، والدروع تسطع، كلّ منهم يرتجز. فأقبلت درّة الصدف عليهنّ وقالت: الرأي أن نستنجد ببعض قبائل العرب ونلتقي القوم...

ولما صار القوم بين الرستن وحمص داهمتهم دُرّة الصَّدف بجيش جمعته مِن القبائل الموالية لأهل البيتعليهم السلام في تلك الأصقاع، وانضم إليهم حنظلة بن جندلة الخزاعي ومعه قومه مِن شيعة عليعليه السلام. وتقدمت درّة أميرةً عليهم وقاتلت قتال الشجعان. عندها استنجد أتباع شمر بأنصار يزيد مِن كلّ مكان. وتكاثرت الجيوش على حنظلة ودرّة الصدف، ولم يزالوا يقاتلون حتى قُتلت درّة الصدف رضوان الله عليها، وانسحب جيشها إلى الشمال.

المسير إلى حماة

مسجد الحسين عليه السلام قرب حماة[1]

ذكر في (نفس المهموم) عن بعض أرباب المقاتل أنه قال: سافرت إلى الحج فوصلت إلى حماة، فرأيت بين بساتينها مسجداً يسمى مسجد الحسين عليه السلام.

قال: فدخلت المسجد فرأيت في بعض عماراته ستراً مسبلاً مِن جدار، فرفعته ورأيت حجراً منصوباً في الجدار، وكان الحجر مؤرَّباً فيه موضع عنق رأس أثّر فيه، وكان عليه دم منجمد. فسألت بعض خدّام المسجد: ما هذا الحجر والأثر والدم؟.

فقال لي: هذا الحجر موضع رأس الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وضعه القوم الذين ساروا به إلى دمشق.

---

(١) معالي السبطين، ج٢ ص ٧٩

[بلدة اللطامنة]

عند النظر في المصور الجغرافي المفصل لمحافظة حماة، نجد قرية باسم (اللَّطامنة) شمال غرب صوران، أغلب الظن أن ركب السبايا والرؤوس مرّ بها عند رجوعه مِن طيّبة الإمام إلى حماة.

والظاهر أن سبب هذه التسمية أن أهلها عندما مرّ في بلدتهم ركب السبايا ورأوا ذلِكَ المنظر المريع شرعوا يلطمون على صدورهم حزناً على مصيبة أهل البيت عليهم السلام فسميت بلدتهم (اللَّطامنة).

وتعدّ هذه البلدة اليوم سبعة آلاف نسمة.

[في جبل زين العابدين]

لقد حاول عساكر الشمر بعد معرة النعمان أن ينزلوا في عدة بلدات فلم يفلحوا، فقد منعهم أهل شيزر وكفرطاب وسيبور مِن دخول مدنهم والإقامة فيها، وهؤلاء أهل (حماة) يمنعونهم أيضاً، مما اضطرهم لاتخاذ مكان مناسب للمبيت. فاضطروا إلى اللجوء إلى جبلين صغيرين شرق الطريق يبعدان عن حماة بحوالي ١٠ كم، أحدهما قريب جداً مِن الطريق العام هو (جبل زين العابدين) الذي بات فيه السبايا، والآخر أصغر منه وإلى الشرق منه، وهو بجوار قرية (كفر راع).

ولما أقام زين العابدين عليه السلام هناك وصلّى صارت مسجداً مكرماً يزوره المؤمنون ويتبركون به، وسمّي مقام زين العابدين عليه السلام.

قال أبو مخنف[1] ثم ساروا حتى وصلوا (حما)، فغلّقوا الأبواب في

(١) مقتل الحسين المنسوب لأبي مخنف، ص ١١٧

وجوههم، وصعدوا عَلى السور، وقالوا: واللهِ لا تدخلون بلدنا هذا، ولو قُتلنا عن آخرنا. فلما سمعوا ذلِكَ ارتحلوا.

إلى حمص

[الرستن]

وقال أبومخنف[1] ثم رحلوا إلى مدينة (حما) وهم مذعورون، فغلّقوا الأبواب في وجوههم، ومنعوهم مِن الدخول إليها. فأجازوه مِن شرقيّها إلى (الرستن). وكتبوا إلى صاحب حمص...

مطاردة أهل حمص للأوغاد[2]

قال أبومخنف: وساروا إلى حمص، وكتبوا إلى صاحبها: أن معنا رأس الحسين عليه السلام. وكان أميرها خالد بن النشيط. فلما قرأ الكتاب أمر بالأعلام فنشرت، والمدينة فزيّنت. وتداعى الناس مِن كل جانب ومكان. وخرج فتلقّاهم عَلى مسيرة ثلاثة أميال.

وشهروا الرأس، وساروا حتى أتوا باب حمص.

---

(١) مخطوطة مصرع الحسين ـ مكتبة الأسد، ص ٤٤

(٢) مقتل الحسين المنسوب لأبي مخنف، ص ١١٧

فازدحمت الناس بالباب، فرموهم بالحجارة، حتى قُتل ستة وعشرون فارساً. وأغلقوا الباب في وجوههم، وقالوا: يا قوم، أكفرٌ بعد إيمان، وضلال بعد هدى. لا تتركوا رأس ابن بنت نبيّكم يجوز في مدينتكم.

فخرجوا ووقفوا عند كنيسة قسيس نصارى، وهي دار خالد بن النشيط. فتحالفوا أن يقتلوا خولي ويأخذوا منه الرأس، ليكون فخراً لهم إلى يَوم القيامة. فبلغهم ذلِكَ فرحلوا عنهم خائفين، وأتوا بعلبك.

في كنيسة جرجيس الراهب في حمص[1]

نقل عن الشعبي أنه لما أتوا بالسبايا إلى حمص ومنعوهم مِن الدخول، دخلوا بالرأس الشريف مِن باب الرستن، وأتوا به إلى كنيسة جرجيس الراهب، وباتوا هناك. وساروا طالبين حوشبة [لعلها تصحيف: جوسِية]. ثم جاؤوا بعلبك.

---

(١) أسرار الشهادة للدربندي، ص ٤٩٢ طبعة حجرية

المسير من حمص إلى بعلبك

[خندق الطعام]

قال الإسفريني[1] ثم ساروا إلى أن أقبلوا إلى حمص. فكتبوا لحاكمها: تلقّانا فإن معنا رأس خارجي. فلما وصله الكتاب أمر بنصب الأعلام، وخرج ولاقاهم وأكرمهم غاية الإكرام.

ثم ارتحلوا إلى (خندق الطعام) فغلّق أهلُها الأبواب، فارتحلوا إلى (جوسية).

[جوسِيَة]

قال أبومخنف[2] حدّثني مَن حضر ذلِكَ اليوم (بجوسية) أن حاكمها جرّد فيها زهاء أربعة آلاف سيف، وتحالفوا أنهم يقتلون خولي، ويأخذون الرأس ويدفنونه بجوسية، ليكون لهم فخراً وعزاً.

---

(١) نور العين في مشهد الحسين لأبي إسحاق الاسفريني، ص ٨٦

(٢) مخطوطة مصرع الحسين ـ مكتبة الأسد، ص ٤٤

[اللبوة]

قال أبومخنف: فبلغ ذلِكَ خولي، فمالوا عن البلد، وعبروا إلى (اللبوة)، وكتبوا إلى صاحب بعلبك...

[بعلَبَك]

قال أبومخنف[1] وأتوا (بعلبَك). وكتبوا إلى صاحبها أن تلقّانا، إن معنا رأس الحسين. فأمر بالجواري أن يضربن الدفوف، ونشرت الأعلام، وضربت البوقات، وأخذوا بالفرح والسرور، مزيّنين وملطّخين رؤوسهم بالزعفران. واستقبلوا القوم ستة أميال، وسقوهم الماء والفقّاع [أي البيرة] والسويق والسكر، وهم يرقصون ويغنّون ويصفّقون، وباتوا ثَمِلين.

فقالت أم كلثوم عليها السلام: ما يقال لهذا البلد؟.

قالوا: بعلبك. فقالت: أباد اللّهُ كثرتهم وخُضراتهم، ولا أعذب اللّهُ شرابهم، ولا رفع الظلم عنهم.

قال: فلو أن الدنيا مملوءة عدلاً وقسطاً، لَما نالهم إلا ظلم وجور.

أقول: هذا كان حالهم حين كانوا أعداء لأهل البيت عليهم السلام ، أما الآن فهم على العكس مِن ذلِكَ، وهم مِن أكبر الموالين لهم، زادهم اللّهُ كثرة وخضرة.

---

(١) مقتل الحسين المنسوب لأبي مخنف، ص ١١٨

إلى دمشق

[صومعة الراهب]

في صومعة الراهب[1]

قال أبومخنف: وباتوا في بعلبك يأكلون ويشربون الخمور إلى الصباح. ثم ارتحلوا إلى طريق الحي، فأدركهم المساء عند (صومعة راهب) فنزلوا، وأسندوا الرأس إليها، فأنشأ زين العابدين عليه السلام يقول:

هـو الـزمـان فما تفنى عجائبُهُ
عـن الـكـرام ولا تفنى مصائبُهُ
فليت شعري إلى كم ذا تجاذبنا
صـروفـه وإلـى كـم ذا نـجـاذبـه
يسيّرونا عَلى الأقـتـاب عاريةً
وسـائـق العيس يُحمى عنه غاربه

(١) المصدر السابق

كأننا مِـن سبايا الـروم بينهمُ
أو كـلَّ مـا قـالـه الـمـخـتـارُ كاذبه
كـفـرتـمُ بـرسـول الله ويلكمُ
يـا أمـة الـسـوء قـد ضاقت مذاهبه

قال أبومخنف: فلما جنّ الليل دفعوا الرأس إلى جانب الصومعة. فلما عسعس الليل سمع الراهب دوياً كدويّ النحل، فعلم أنه تسبيح الملائكة، واستأنس مِن أنوار ساطعة. فأخرج الراهب رأسه مِن الصومعة، فنظر إلى رأس الحسين عليه السلام وإذا هو يسطع نوراً إلى عنان السماء. ونظر إلى باب قد فُتح مِن السماء والملائكة ينزلون كتائباً كتائباً، ويقولون: السلام عليك يابن رسول الله، السلام عليك يا أبا عبد الله. فجزع الراهب جزعاً شديداً.

فلما أصبحوا همّوا بالرحيل، فأشرف الراهب عليهم، ونادى: مَن هو عميدكم والمقدّم عليكم؟. فقالوا: خَولي بن يزيد. فقال الراهب: وما الَّذي معكم؟. قالوا: رأس خارجي خرج بأرض العراق، قتله عُبيد الله بن زياد. فقال: ما اسمه؟. قالوا: الحسين بن علي بن أبي طالب، وأمه فاطمة الزهراء، وجده محمّد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

فقال الراهب: تبّاً لكم ولِما جئتم في طاعته. لقد صدقت الأخبار في قولها، أنه إذا قُتل هذا الرجل تمطر السماء دماً، ولا يكون هذا إلى بقتل نبي أو وصي نبي.

ثم إنه أدخل رأسه إلى الصومعة وخرّ مغشياً عليه. فلما أفاق قال: صدقت الأخبار، لأنهم قالوا: يُقتل في هذا الوقت نبي أو ابن بنت نبي أو وصي.

ثم قال: أريد أن تدفعوا إليّ هذا الرأس ساعة واحدة وأردّه عليكم. فقال خولي: ما كنت بالذي أكشفه إلا عند يزيد، وآخذ منه الجائزة.

فقال الراهب: وكم جائزتك؟.

فقال: بدرة [أي صُرّة] فيها عشرة آلاف درهم.

فقال الراهب: أنا أعطيك البدرة.

فقال: أَحضرها. فأحضرها الراهب ودفعها إليهم، فدفعوا له الرأس وهو عَلى القناة.

فأخذه الراهب، وجعل يقبّله ويبكي ويقول: يعزّ واللهِ عليّ يا أبا عبد الله أن لا أواسيك بنفسي، وأن لا أكون أول شهيد أستشهد بين يديك. ولكن يا أبا عبد الله إذا لقيت جدك رسول الله ﷺ فأقرئه مني السلام، وأخبره أني عَلى قول: أشهد أن لا إله إلا اللّهُ وحده لاشريك له، وأشهد أن محمداً رسول الله، وأشهد أن علياً ولي الله.

ودفع الرأس إليهم. فجعلوا يقتسمون الدراهم، وإذا هي بأيديهم خزف مكتوب عليها: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾.

فقال خولي لأصحابه: اكتموا هذا الخبر، يا ويلكم عن الخزي بين الناس.

(رواية مشابهة) خبر الرأس وصاحب الدير

فنزلوا بعض المنازل، وفي ذلِكَ المنزل دير فيه راهب. فأخرجوا الرأس عَلى عادتهم، ووضعوه عَلى الرمح، وحرسه الحرس عَلى عادتهم، وأسندوا الرمح إلى الدير. فلما كان في نصف الليل رأى الراهب

نوراً مِن مكان الرأس إلى عنان السماء.

فأشرف عَلى القوم وقال: مَن أنتم؟.

قالوا: نحن أصحاب ابن زياد. قال: وهذا رأس مَن؟.

قالوا: رأس الحسين بن علي بن أبي طالب، ابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قال: نبيّكم؟!.

قالوا: نعم.

قال: بئس القوم أنتم، لو كان للمسيح عليه السلام ولد لأسكنّاه أحداقنا!.

ثم قال: هل لكم في شيء؟.

قالوا: وما هو؟.

قال: عندي عشرة آلاف دينار، تأخذونها وتعطوني الرأس، يكون عندي تمام الليلة، وإذا رحلتم تأخذوه؟.

قالوا: وما يضرّنا!. فناولوه الرأس وناولهم الدنانير. فأخذه الراهب فغسّله وطيّبه، وتركه عَلى فخذه، وقعد يبكي الليل كله.

فلما أسفر الصبح قال: يا رأسُ لا أملك إلا نفسي، وأنا أشهد أن لا إله إلا اللّهُ، وأن جدك محمداً رسول الله، وأُشهد اللهَ أنني مولاك وعبدك.

ثم خرج عن الدير وما فيه، وصار يخدم أهل البيت عليهم السلام.

قال ابن هشام في (السيرة): ثم إنهم أخذوا الرأس وساروا. فلما قربوا مِن دمشق، قال بعضهم لبعض: تعالوا حتى نقسم الدنانير، لايراها يزيد فيأخذها منا. فأخذوا الأكياس وفتحوها، وإذا الدنانير قد تحولت خزفاً،

وعلى أحد جانبي الدينار مكتوب: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ وعلى الجانب الآخر: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾. فرموها في (بَرَداء) وهو نهر بدمشق.

أقول: لعل هذا الراهب أو أحد الرهبان الذين استضافوا رأس الحسين عليه السلام عندهم، كان رساماً، فلما أخذ الرأس ونظّفه وعطّره، أخذ ورقة ورسمه بوضعه الحاضر.

وقد رأيت في متحف الإمام الرضا عليه السلام في مشهد، صورة لرأس الحسين عليه السلام مِن رسم راهب مسيحي، منقولة عن النسخة الأصلية الموجودة في أحد متاحف إيطاليا، وقد كتب تحت الصورة:

«صورة الرأس المبارك لحضرة الحسين بن علي عليه السلام الَّذي استشهد في الحرب سنة ٦١ هـ وكان عمره ٥٧ سنة. وهي منقولة عن صورة رسمها راهب مسيحي في ذلِكَ الوقت، والأصل موجود في متحف إيطاليا».

[الحسينية]

سوق وادي بردى:

تبيَّن مِن الرواية الأخيرة أن ركب البغاة بعد انفصالهم مِن بعلبك مروا على دير للنصارى، وأخذوا مِن الراهب دنانير ذهبية، فما أن وصلوا إلى مكان بعيد حتى وجدوا أن الدنانير قد انقلبت إلى خزف، فرموها في نهر بردى.

هذا يعني أنهم بعد انفصالهم من بعلبك دخلوا وادي الزبداني حتى وصلوا إلى التكية، ثمّ ساروا بمحاذاة نهر بردى فيما يعرف اليوم بسوق

وادي بردى، حتى وصلوا الهامة فدمر فالربوة، وأتوا دمشق مِن جهة الغرب.

يؤكد ذلِكَ وجود قرية اليوم في سوق وادي بردى اسمها (الحسينية).

[حجر قرب دمشق]

في (أسرار الشهادة) قال الدربندي: في موضع قريب مِن دمشق حجر عظيم هو شبيه بالأسد، فإذا كان يَوم عاشوراء يفور مِن موضع عينيه الدم الكثير. قيل: إنه وضع عليه رأس الحسين عليه السلام حين مسير الكفار وجند ابن زياد إلى الشام.

حال يزيد عند وصول البريد بمجيء رأس الحسين عليه السلام[1]

فلما وردوا إلى دمشق جاء البريد إلى يزيد، وهو معصّب الرأس، ويداه ورجلاه في طشت مِن ماء حار، وبين يديه طبيب يعالجه. وعنده جماعة مِن بني أمية يحادثونه. فحين رآه قال له: أَقَرَّ عينيك بورود رأس الحسين. فنظر شزراً، وقال: لا أقرّ اللّهُ عينيك!.

ثم قال للطبيب: أسرع واعمل ما تريد أن تعمل.

قال: فخرج الطبيب عنه، وقد أصلح جميع ما أراد أن يصلحه.

ثم إنه أخذ كتاباً بعثه إليه ابن زياد وقرأه، فلما انتهى إلى آخره عضّ عَلى أنامله حتى كاد أن يقطعها، ثم قال: إنا لله وإنا إليه راجعون. ودفعه إلى مَن كان حاضراً، فلما قرؤوه قال بعضهم لبعض: هذا ما كسبت

---

(١) المنتخب للطريحي ص٤٨٣ ط٢.

أيديكم.

فما كان إلا ساعة، وإذا بالرايات قد أقبلت، ومن تحتها التكبير.

زَحر بن قيس يقصّ عَلى يزيد ماحدث في كربلاء[1]

وسبق زَحر بن قيس برأس الحسين عليه السلام إلى دمشق، حتى دخل عَلى يزيد فسلّم عليه، ودفع إليه كتاب عُبيد الله بن زياد. فأخذ يزيد الكتاب ووضعه بين يديه.

روى عبد الله بن ربيعة الحميري قال: إني لعند يزيد بن معاوية بدمشق، إذ أقبل زَحْر بن قيس حتى دخل عليه. فقال له يزيد: ويلك ما وراءك وما عندك؟. فقال زَحر: أبشر يا أمير المؤمنين بفتح الله عليك وبنصره إياك؛ فإنه ورد علينا الحسين بن علي في اثنين وثمانين رجلاً مِن إخوته وأهل بيته وشيعته، فسرنا إليهم وسألناهم أن يستسلموا أو ينزلوا عَلى حكم الأمير عُبيد الله بن زياد، فأبوا علينا، فاختاروا القتال عَلى الاستسلام، فعدَونا عليهم مِن شروق الشمس إلى أن أضحى النهار، فأحطنا بهم مِن كل ناحية. حتى إذا أخذتِ السيوف مآخذها مِن هام الرجال، جعلوا يهربون إلى غير وَزَر [أي ملجأ] ويلوذون منا بالآكام والحفر، كما يلوذ الحمام مِن الصقر. فوالله يا أمير المؤمنين ما كان إلا كجَزر جَزور، أو كإغفاءة القائل [أي النائم بعد الظهر] حتى أتينا عَلى آخرهم. فهذه رؤوسهم، وهاتيك أجسادهم بالعراء مجرّدة، وثيابهم بالدماء مزمّلة، وخدودهم بالتراب معفّرة. تصهرهم الشمس وتسفي عليهم الريح. زوّارهم الرخم والعقبان، والذئب والضبعان.

---

(١) مقتل الحسين للخوارزمي ج٢ ص٥٦ والارشاد للمفيد ص٢٤٥.

فأطرق يزيد ساعة، ثم رفع رأسه وبكى. وقال: واللهِ يا هذا لقد كنتُ أرضى مِن طاعتكم بدون قتل الحسين. أما لو أني صاحبه لعفوت عنه، ولكن قبّح اللّـهُ ابن مرجانة [يقصد عُبيد الله بن زياد].

تعليق:

كان يزيد في كل أجوبته يحاول رفع التهمة عنه وإلقاءها على ابن زياد. وقد رددنا على ذلك فيما بعد.

الفصل الثالث

الرؤوس والسبايا في دمشق

ورود الرؤوس والسبايا على دمشق

قال الإسفراييني[1] ثم كتب (خَولي) إلى يزيد كتاباً يقول فيه: نهنّئ أمير المؤمنين ونعلمه أن معنا رأس عدوك الحسين وحريمه وأطفاله، ونحن قريب مِن دمشق، فاخرجْ لنا وتلقَّنا.

ثم طوى الكتاب وأرسله مع رسول مِن عنده. فلم يزل سائراً إلى أن دخل دمشق، وسلّم الكتاب ليزيد، فقرأه وفهم معناه.

فأمر بتجهيز العساكر فجهزوا، ثم أمرهم أن يخرجوا لملاقاتهم. فخرجوا مِن باب (جيرون) وباب (توما) وهم عشرون ألفاً، ومعهم الرايات منشورة، وألسنتهم بالتهليل والتكبير مشهورة. ولم يزالوا حتى لاقوا القوم، وأتوا بهم إلى دمشق.

---

(١) نور العين في مشهد الحسين لأبي اسحق الإسفراييني، ص ٨٧

استقبال الرؤوس والسبايا خارج دمشق

ولما بلغوا (أي السبايا) ما دون دمشق بأربعة فراسخ، استقبلهم أهل الشام، وهم ينثرون النِّثار[1] فرحاً وسروراً، حتى بلغوا بهم قريب البلد، فوقفوهم عن الدخول ثلاثة أيام وحبسوهم هناك، حتى تتوفر زينة الشام؛ وتزويقها بالحلي والحلل والحرير والديباج، والفضة والذهب وأنواع الجواهر، عَلى صفةَ لم يرَ الراؤون مثلها، لا قبلَ ذلِكَ اليوم ولا بعده.

ثم خرجت الرجال والنساء والأصاغر والأكابر والوزراء والأمراء، واليهود والمجوس والنصارى وسائر الملل إلى التفرّج، ومعهم الطبول والدفوف والبوقات والمزامير، وسائر آلات اللهو والطرب. وقد كحلوا العيون وخضبوا الأيدي، ولبسوا أفخر الملابس وتزينوا أحسن الزينة. ولم ير الراؤون أشدّ احتفالاً ولا أكثر اجتماعاً منه، حتى كأن الناس كلهم قد حُشروا جميعاً في صعيد دمشق.

خبر العجوز أم هجّام

عن أبي مِخنف، قال سهل: ورأيت روشناً عالياً [الرَّوشَن: هو الرف أو الشرفة] فيه خمس نسوة ومعهن عجوز محدودبة الظهر. فلما صارت بإزاء رأس الحسين عليه السلام وثبت العجوز وأخذت حجراً وضربت به ثنايا الحسين عليه السلام.

فلما رأى علي بن الحسين عليه السلام ذلِكَ دعا عليها، وقال: اللهم عجّل بهلاكها وهلاك مَن معها. فما استتم دعاءه حتى سقط الروشن، فسقطن

(١) النِّثار: ما يُنثر في حفلات السرور مِن حلوى أو نقود .

بأجمعهن، فهلكنَ وهلك تحته خلق كثير.

(وفي رواية أخرى) أن الملعونة اسمها (أم هجّام)، فلما رأت رأس الحسين عليه السلام وهو عَلى رمح طويل، وشيبته مخضوبة بالدماء، قالت: لمن هذا الرأس المتقدم، وما هذه الرؤوس التي خلفه؟. فقالوا لها: هذا رأس الحسين وهذه رؤوس أصحابه. ففرحت فرحاً عظيماً، وقالت: ناولوني حجراً لأضرب به رأس الحسين، فإن أباه قتل أبي وبَعلي [أي زوجي]. فناولوها حجراً فضربت به وجه الحسين عليه السلام.

وقيل: ضربت ثنايا الحسين عليه السلام فأدمته، وسال الدم عَلى شيبته.

وقال الفاضل الدربندي: لما قرب السبايا مِن دمشق مرّوا بقصر عال، وكانت عجوز جالسة فيه يقال لها أم هجّام، ومعها وصائفها وجواريها. فلما رأت رأس الإمام المظلوم عليه السلام وهو عَلى قناة طويلة وشيبه مخضوب بالدماء، قالت العجوز: ما هذا الرأس المتقدم، وما هذه الرؤوس المشالة عَلى الرماح؟. فقيل لها: إن هذا رأس الحسين عليه السلام، وهذه رؤوس إخوته وأولاده وعترته. ففرحت فرحاً عظيماً، فقالت لواحدة مِن وصائفها: ناوليني حجراً لأضرب به وجه الحسين. فأتتها فضربت به رأس الحسين عليه السلام، فسال الدم عَلى وجهه وشيبه.

فالتفتت إليه أم كلثوم، فرأت الدم الجديد سائلاً عَلى وجهه ولحيته، فلطمت وجهها ونادت: واغوثاه وامصيبتاه وامحمداه واعلياه وافاطمتاه واحسناه واحسيناه. ثم غشي عليها.

فقالت زينب عليها السلام: مَن فعل هذا بوجه أخي ونور بصري؟. فقيل لها: هذه العجوز الملعونة. فقالت: اللهم أهجم عليها قصرها، وأحرقها بنار الدنيا قبل نار الآخرة.

قال: فما استتم كلامها إلا وقد هجم عليها قصرها، وأضرمت النار فيه، فماتت واحترقت. وهكذا كلّ مَن كان معها في القصر.

فقالت زينب عليها السلام: اللّهُ أكبر مِن دعوة ما أسرع إجابتها.

مسيرة الرؤوس والسبايا خارج سور دمشق

بقاء السبايا خارج دمشق ثلاثة أيام

عن (كامل البهائي): أوقفوا أهل البيتعليهم السلام عَلى باب الشام ثلاثة أيام، حتى يزيّنوا البلد. فزيّنوها بكل حلي وزينة ومرآة كانت فيها، فصارت بحيث لم تر عين مثلها.

ثم استقبلهم مِن أهل الشام زهاء خمسمائة ألف [نصف مليون] مِن الرجال والنساء مع الدفوف. وخرج أمراء الناس مع الطبول والصنوج والبوقات. وكان فيهم ألوف مِن الرجال والشبان والنسوان يرقصون ويضربون بالدفّ والصنج والطنبور.

وقد تزيّن جميع أهل الشام بأنواع الثياب والكحل والخضاب. وكان خارجُ البلدة مِن كثرة الخلائق كعرصة المحشر، يموج بعضها في بعض.

أم كلثوم عليها السلام تطلب مِن شَمِر تقديم الرؤوس على السبايا

ولما قربوا مِن دمشق دنت أم كلثوم مِن شمر، فقالت له: لي إليك حاجة!. فقال: ما حاجتك؟. قالت: إذا دخلتَ بنا البلد، فاحملنا في درب قليل النظّارة، وتقدّمْ إليهم أن يُخرجوا هذه الرؤوس مِن بين المحامل وينحّونا عنها، فقد خزينا مِن كثرة النظر إلينا، ونحن في هذه الحال. فأمر في جواب سؤالها أن تجعل الرؤوس عَلى الرماح في أوساط المحامل بغياً منه وكفراً، وسلك بهم [طريقاً] بين النظارة عَلى تلك الصفة، حتى أتى بهم باب دمشق. فوقفوا عَلى درج باب المسجد الجامع حيث يقام السبي.

مسيرة الرؤوس والسبايا خارج دمشق

كان دخول الرؤوس والسبايا معاً إلى دمشق مِن باب توما، في الأول مِن شهر صفر سنة ٦١ هـ. وسوف أشرح هذه المسيرة بالتفصيل فيما يلي:

الَّذي أتصوره أن موكب الرؤوس والسبايا جاء مِن غرب دمشق، لمجيئهم مِن طريق لبنان، أي مِن طريق بعلبك ـ سرغايا ـ التكية ـ سوق وادي بردى ـ الهامة ـ دمر ـ دمشق، حيث ساروا أخيراً بمحاذاة نهر بردى، الذي ألقى فيه (خولي) النقود التي أخذها مِن الراهب حين باتوا في صومعته كما تذكر الرواية.

وصدرت الأوامر مِن يزيد بعدم إدخالهم دمشق، بل انتظارهم خارجها ثلاثة أيام ليتسنى لهم تزيين دمشق لاستقبالهم بموكب مهيب. وكان المكان الوحيد الخالي والمناسب لإنزالهم تلك الفترة هو المنطقة الجنوبية مِن دمشق خارج السور، التي تدعى اليوم مقبرة باب الصغير،

إذ كانت فارغة مِن الناس والعمران، وهي مِن حيث الأصل اتخذت مقبرة للمسلمين لأنها مليئة بالأحجار والحصى وغير صالحة للزراعة.

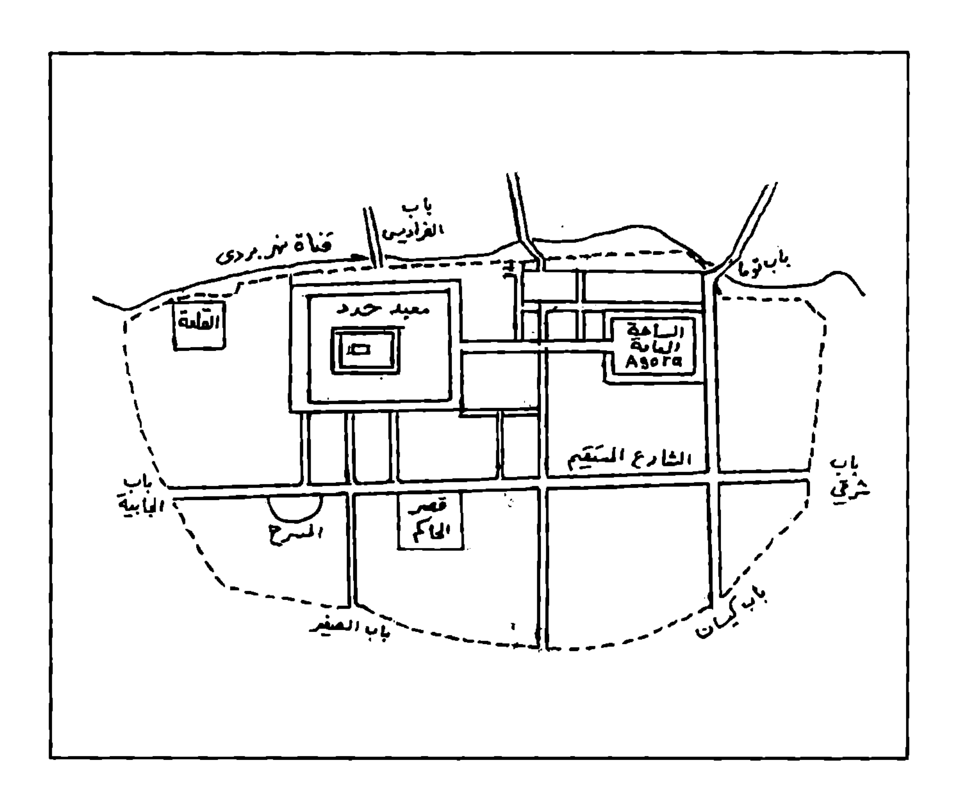
فجاؤوا بالسبايا والرؤوس إلى باب الجابية خارج السور، ثم عبروا بهم بمحاذاة السور في طريق آهل بالسكان، هو شارع البدوي اليوم، حيث صار الناس الذين يتفرجون عليهم يسبّونهم ويبصقون عليهم، فدعت عليهم زينب عليها السلام أن لا تُستر بيوتهم، فصارت بيوتهم مراكز للفحشاء. وهذا الطريق هو المعبّر عنه في الروايات، أن شمر أدخلهم مِن طريق كثير النظّارة. حتى وصلوا إلى مقبرة باب الصغير. فنزل السبايا هناك، حيث أقام زين العابدين عليه السلام وزينب وأم كلثوم وسكينة وجميع السبايا ثلاثة أيام. ولايبعد أن الأمكنة التي تدعى اليوم بمقامات أهل البيت عليهم السلام في (الستّات) هي مكان قيامهم وصلاتهم ومبيتهم، فهي مقامات لهم وليست مراقدهم وقبورهم.

وبعد ثلاثة أيام جاء الأمر مِن يزيد بإدخالهم إلى دمشق، فأكملوا بهم المسيرة حول دمشق القديمة بمحاذاة السور إلى جهة الشرق، إلى باب كيسان ثم باب شرقي، حتى وصلوا باب توما، حيث كان الناس في انتظارهم.

وكان الجيش الأموي والوزراء والأعيان قد أقاموا مراسم الزينة والفرح داخل دمشق، وخاصة مِن باب توما إلى باب جيرون الداخلي، وهو الباب الداخلي الَّذي يؤدي بالقادم مِن الشرق إلى منطقة قصور الملك، مثل دار الخضراء وقصر يزيد، وإلى المسجد الجامع. وكان الجيش قد اصطف عَلى جانبي هذا الطريق يضرب البوقات ويهتف بأهازيج النصر.

وأدرج فيما يلي مخطط مدينة دمشق القديمة في العهد اليوناني، اقتبسته مِن مجلة (الحوليات العربية السورية) عدد خاص عن مدينة

دمشق، عام ١٩٨٥، ص ١٥٤.



ويظهر فيه العنصران الأساسيان في المدينة، وهما المعبد في الغرب والساحة العامة في الشرق، وبينهما طريق النوفرة

لماذا أدخلوهم مِن باب توما؟

والسؤال الذي يطرح نفسه: لماذا يُدخلون الرؤوس والسبايا مِن باب توما، ولم يدخلوهم مِن باب آخر، ودمشق القديمة لها في ذلِكَ الوقت سبعة أبواب، وهي الأبواب التي بناها الرومان على عدد الكواكب السبعة، وهي:

١. باب كيسان: يرمز إلى زحل

٢. باب شرقي: يرمز إلى الشمس

٣. باب توما: يرمز إلى الزهرة

٤. باب الصغير: يرمز إلى المشتري

٥. باب الجابية: يرمز إلى المريخ

٦. باب الفراديس: يرمز إلى عطارد

٧. باب الجِنيق: يرمز إلى القمر.

لمحة عن تخطيط دمشق القديمة

كان تخطيط دمشق القديمة منذ العهد اليوناني على طراز المدن اليونانية، حيث تحوي المدينة على ركنين أساسيين هما: المعبد، والساحة الكبرى التي يسمونها آغورا (*Agora*). فأما المعبد فكان في مكان المسجد الجامع اليوم، وأما الساحة الكبرى فكانت إلى الشرق منه، ويصل بينهما طريق هو طريق النوفرة.

وكان للمعبد أربعة أبواب مِن الجهات الأربع، ولكل باب دهليز مغطى، ينتهي بباب داخلي. وأهم هذه الممرات وأطولها الدهليز الشرقي الذي يسمى (سويقة جيرون) وينتهي مِن الشرق بباب ضخم اسمه «باب جيرون». ولهذا الباب بابان صغيران: فرخ شمالي وفرخ جنوبي، كان الناس يمرون منهما، وقد انطمر الفرخان بعد أن علت الأرض حوالي ٤،٥ متراً عما كانت عليه في العهد الروماني، ولم يبق مفتوحاً منهما فوق الأرض أكثر مِن شبر.

وحين بنى الملك الآرامي المعبد (وهو معبد حَدَد، إله الصاعقة)

جعل إلى شرقه قصراً وإلى غربه قصراً لولديه وهما: (جيرون) و(بَريد)، فسمّي القصران باسمهما وكذلك بابا السويقتين، فقيل: باب جيرون وباب البريد.

ولما تمّ الفتح الإسلامي لدمشق، أخذ المسلمون الثلث الشرقي مِن المعبد فجعلوه مسجداً وسمّوه مسجد الصحابة س بينما كان المسيحيون قد اتخذوا مِن الثلث الغربي كنيسة سمّوها كنيسة يوحنا المعمدان س. وأعطى معاوية قصر جيرون لابنه الوحيد المدلل يزيد، فصار يسمى قصر يزيد س وهو ملاصق للمسجد مِن جهة الشرق، إلى يمين الصاعد على درج النوفرة إلى المسجد.

وبما أن الاحتفال الكبير بإدخال الرؤوس والسبايا سيقام حتماً في الساحة الكبرى، التي تؤدي إلى المسجد وإلى القصور الملكية [قصر يزيد وقصر معاوية (الخضراء)] فكان لابدّ مِن إدخال الرؤوس والسبايا مِن باب توما، الذي هو أقرب باب مِن تلك الساحة.

يَوم دخول الرؤوس والسبايا إلى دمشق[1]

في (نفَس المهموم): قال الكفعمي وشيخنا البهائي والمحدّث الكاشاني:في أول يَوم مِن صفر أُدخل رأس الحسين عليه السلام إلى دمشق الشام[2] وهو عيد عند بني أمية، وهو يَوم تتجدد فيه الأحزان عندنا.

---

(١) معالي السبطين للمازندراني، ج٢ ص ٨٣

(٢) يقول السيد عبد الرزاق المقرّم في حاشية ص ٤٤٧ مِن مقتله: نصّ عليه (كامل البهائي) و(الآثار الباقية)للبيروني و (المصباح)للكفعمي، ص ٢٦٩ و (تقويم الحسنين)للفيض، ص ١٥.
وبناء علی مافي (تاريخ الطبري)مِن حبسهم في السجن إلى أن يأتي البريد مِن الشام بخبرهم، يبعد وصولهم إلى الشام في أول صفر، فإن المسافة بعيدة تستدعي زمناً طويلاً، اللهم إلا أن

مسيرة الرؤوس والسبايا داخل دمشق

عيد بعاصمة الخلافة الأموية

قال سهل بن سعد الشهرزوري[1]:

وخرجت إلى بيت المقدس حتى توسطت الشام، فإذا أنا بمدينة مطّردة الأنهار كثيرة الأشجار، قد علّقوا الستور والحجب والديباج، وهم فرحون مستبشرون، وعندهم نساء يلعبن بالدفوف والطبول.

فقلت في نفسي: لعل لأهل الشام عيداً لا نعرفه نحن!.

فرأيت قوماً يتحدثون، فقلت: يا هؤلاء، ألكم بالشام عيد لا نعرفه نحن؟.

قالوا: ياشيخ نراك غريباً.

فقلت: أنا سهل ابن سعد، قد رأيت رسول الله ﷺ وحملت حديثه. فقالوا: يا سهل ما أعجبك [أن] السماء لا تمطر دماً، والأرض لا تخسف

يكون البريد مِن طريق (الطير الزاجل).

(١) مقتل الخوارزمي، ج٢ ص٦

بأهلها؟!.

قلت: ولم ذاك؟.

فقالوا: هذا رأس الحسين ثمرة رسول الله ﷺ يهدى مِن أرض العراق إلى الشام؛ وسيأتي الآن!.

قلت: واعجباه أيهدى رأس الحسين عليه السلام والناس يفرحون!.

فمِن أي باب يدخل؟.

وفي (المنتخب) للطريحي، ص ٢٨٩:

فقالوا: الرأس يدخل مِن هذا الباب. فوقفت هناك، وكلما تقدموا بالرأس كان أشدّ لفرحهم وارتفعت أصواتهم.

وإذا برأس الحسين عليه السلام والنور يسطع مِن فيه كنور رسول الله ﷺ.

فلطمتُ عَلى وجهي وقطعت أطماري وعلا بكائي ونحيبي،

وقلت: واحزناه للأبدان السليبة النازحة عن الأوطان، المدفونة بلا أكفان. واحزناه عَلى الخدّ التريب، والشيب الخضيب. يا رسول الله ليت عينك ترى رأس الحسين عليه السلام في دمشق يطاف به في الأسواق، وبناتك مشهورات عَلى النياق، مشقّقات الذيول والأزياق[1]، يَنظر إليهم شرار الفسّاق!.

أين علي بن أبي طالب عليه السلام يراكم عَلى هذا الحال...

---

(١) الأزياق: جمع زيق، وهو ما يكفّ به جيب القميص.

مسيرة الرؤوس والسبايا داخل دمشق

وهكذا أُدخل الرؤوس والسبايا مِن باب توما، حتى وصلوا إلى باب جيرون الداخلي، حيث كان يزيد في قصره عَلى منظرة منهم، فأنشد أشعاره المشهورة التي يذكر فيها (جيرون). فأوقفوهم هناك ساعة، ثم داروا بهم حتى أوقفوهم عند باب الفراديس ساعة، ثم أحضروهم عند باب الساعات وظلوا هناك ساعة.

وبعد أن مرّوا مِن باب الساعات جرّوهم حتى أوقفوهم عَلى درج المسجد الجامع (درج النوفرة)بجانب قصر يزيد، حيث يقام السبي عادة، ليتاح للناس أن يتفرجوا عليهم، وهم مربوطون بالحبال، وفي عنق زين العابدين عليه السلام الجامعة، وهي حديدة ذات قفل تربط يديه إلى عنقه. وظلوا هناك ثلاث ساعات حتى جاء الأمر بإدخالهم عَلى مجلس يزيد، الَّذي كان قد جمع وزراءه وقوّاده وأعيان البلد في قصره الملاصق للمسجد الجامع مِن جهة الشرق.

وبعد إدخال الرؤوس ثم السبايا عَلى يزيد في اليوم الأول، اقتيد السبايا مِن مجلسه بعد حلّ الأغلال والقيود إلى (خربة)واقعة شمالي قصر يزيد، عند باب الفراديس، حيث مرقد السيدة رقية بنت الحسين عليه السلام اليوم. وكان في الخربة مسجد مهدوم، فوُضعوا فيه في غرفة لاتحمي مِن حرّ ولا قرّ، وقد سقط نصف سقفها.

المحطة الأولى: باب جيرون الداخلي

وكان الرؤوس والسبايا كلما وصلوا إلى باب مِن الأبواب الرئيسية أوقفوهم عنده ساعة.

والساعة في عُرف اللغة لا تعني ساعة بمفهومنا الحالي، بل تعني فترة وجيزة.

فكانت أول محطة لهم بعد اجتيازهم طريق النوفرة عند باب جيرون الداخلي، الَّذي يؤدي إلى سويقة جيرون مستقيماً، ثمّ إلى المسجد.

وهنا عند هذا الباب حدثت حادثة مؤلمة كان لها أثرها فيما بعد.

مسجد السَّقط

تذكر إحدى الروايات أن موكب الرؤوس والسبايا عند إدخالهم إلى دمشق، لما وصلوا بهم إلى باب جيرون الداخلي، سقط رأس الحسين عليه السلام مِن أعلى الرمح، لعله مِن كثرة الزحام.

وكان الَّذي يحمله قد دخل مِن الباب الكبير لباب جيرون، ووقف إلى اليمين بمحاذاة الفرخ الشمالي للباب، وهناك مال الرمح الَّذي يحمله فسقط الرأس الشريف. وتكريماً للمكان الَّذي تشرّف بسقوط الرأس الشريف عليه، أقيم مسجد فيما بعد، سمّي مسجد السَّقْط.

وكان يُدخل إليه مِن البوابة الصغيرة الشمالية لباب جيرون.

وكان هذا المسجد قائماً إلى مدة قريبة (١٩٤٨). وعندما أرادت البلدية الاعتناء بالأبواب، أزالت المسجد وحولته إلى حديقة فيها محول كهرباء. وهذه الأرض تضجّ مِن عمل بني الإنسان، إذ كيف يتحول مسجد إلى أرض خراب، وهل يرضى أحدنا أن يصبح بيته خراباً، فكيف ببيت الله؟!.

مشاهدة يزيد لقدوم الرؤوس والسبايا وهو عَلى منظرة جيرون[1]

وكان يزيد جالساً في منظرة عَلى جيرون. ولما رأى السبايا والرؤوس عَلى أطراف الرماح، وقد أشرفوا عَلى ثنيّة جيرون، نَعَب غراب، فأنشأ يزيد يقول:

لما بدت تلك الحمول وأشرقت
تلك الـرؤوس عَلى ربـى جيرونِ
نَعَب الغراب فقلت: قلْ أو لاتقل
فقد اقتضيت مِـن الـرسـول ديوني

ومن هنا حكم ابن الجوزي والقاضي أبو يعلى والتفتازاني والسيوطي بكفره ولعنه[2].

ونعيب الغراب: هو صوت صياحه، وهو نذير شؤم.

استقبال يزيد للسبايا والرؤوس[3]

وفي (جواهر المطالب) لأبي البركات شمس الدين محمّد الباغندي، كما في نسخة مخطوطة في المكتبة الرضوية بمشهد: قال ابن القفطي في تاريخه:

---

(١) مقتل الحسين للمقرّم، ص ٤٤٧

(٢) روح المعاني للآلوسي، ج٧٦ ص ٧٣، تفسير آية ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ قال: أراد بقوله (فقد اقتضيت مِن الرسول ديوني) أنه قتل بما قتله رسول الله ﷺ يوم بدر، كجده عتبة وخاله وغيرهما، وهذا كفر صريح. ومثله تمثّله بقول ابن الزِّبَعرى قبل إسلامه: (ليت أشياخي ببدر شهدوا ...) الأبيات.

(٣) أعيان الشيعة للسيد الأمين، ج٤ ص ٢٩٨

إن السبي لما ورد عَلى يزيد خرج لتلقّيه، فلقي الأطفال والنساء مِن ذرية علي والحسن والحسين عليه السلام، والرؤوس عَلى أسنة الرماح، وقد أشرفوا عَلى ثنيّة العقاب. فلما رآهم أنشد:

لما بدت تلك الحمول وأشرفت

تلك الرؤوس عَلى ربى جيرونِ

نَعَب الغراب فقلت: قلْ أو لاتقل

فلقد قضيت مِن الرسول ديوني

يعني يزيد بذلك أنه قتل الحسين عليه السلام بمن قتله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يَوم بدر، مثل عتبة جده ومَن مضى مِن أسلافه. وقائل مثل هذا بريء مِن الإسلام ولاشك في كفره.

ثم قال ابن القفطي: وكيف لا، وهو اللاعب بالنرد، المتصيّد بالفهد، والتارك للصلوات، والمدمن للخمر، والقاتل لأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، المصرّح في شعره بالكفر الصريح.

المحطة الثانية والثالثة: باب الفراديس وباب الساعات

نلاحظ أن السور مِن الجهة الشمالية لدمشق القديمة يتألف مِن ثلاثة أسوار متقاربة، نعدها مِن الجنوب إلى الشمال: السور العمّوري ـ السور الآرامي ـ السور الروماني. وينشأ عن ذلِكَ وجود ثلاثة أبواب متتالية باسم (باب الفراديس) هي: باب الفراديس العموري ـ باب الفراديس الآرامي ـ باب الفراديس الروماني (والإسلامي). وتسمى المنطقة بين السورين الآرامي والروماني: جادة بين السورين.

استمرارية الأبواب في باب الفراديس

تمددت أسوار دمشق القديمة منذ تأسيسها في كلّ الاتجاهات، لا سيما مِن جهة الشرق. أما مِن جهة الشمال فكان تمددها محدوداً لوجود نهر بردى.

لذلك نجد مِن الشمال ثلاثة أسوار متوالية متقاربة، توافق العهد العموري ثمّ الآرامي ثمّ الروماني، وهو السور الحالي، الذي يقع إلى جنوبه السور الآرامي ثمّ العموري.

ويقع مرقد السيدة رقية بنت الحسين عليه السلام بين السورين الأخيرين.

وبما أن لكل سور باب، فإننا نجد لدمشق ثلاثة أبواب متوالية مِن الشمال، كلها تسمى باب الفراديس، وهي مِن الجنوب إلى الشمال: باب الفراديس العموري - باب الفراديس الآرامي - باب الفراديس الروماني. والمقصود في الروايات بباب الفراديس هو الروماني، وكان مهدماً. أما باب الساعات فهو في توقعي باب الفراديس العموري، وهو غير موجود اليوم.

يقول الإسفراييني[1] «ثمّ دخلوا بالرأس مِن باب جيرون، وداروا بها إلى باب الفراديس... ثمّ ازدحم الناس حتى خرجوا مِن باب الساعات... ثمّ أتوا حتى وقفوا بهم على باب القصر».

---

(١) نور العين في مشهد الحسين عليه السلام للإسفراييني، ص ٨٩.

دخول الرؤوس والسبايا مِن باب الساعات[1]

في (مقتل الخوارزمي) قال سهل بن سعد: فمن أي باب يدخل؟.

فأشاروا إلى باب يقال له (باب الساعات) فسرت نحو الباب.

فبينما أنا هنالك، إذ جاءت الرايات يتلو بعضها بعضاً.

وإذا أنا بفارس بيده رمح منزوع السنان، وعليه رأس مِن أشبه الناس وجهاً برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وإذا بنسوة مِن ورائه عَلى جمل بغير وطاء.

فدنوت مِن إحداهن فقلت لها: يا جارية مَن أنت؟.

فقالت: سكينة بنت الحسين عليه السلام.

فقلت لها: ألك حاجة إليّ؟ فأنا سهل بن سعد، ممن رأى جدك وسمع حديثه.

قالت: يا سهل قلْ لصاحب الرأس أن يتقدم بالرأس أمامنا، حتى يشتغل الناس بالنظر إليه فلا ينظرون إلينا، فنحن حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قال: فدنوت مِن صاحب الرأس وقلت له: هل لك أن تقضي حاجتي وتأخذ أربعمائة دينار؟.

قال: وما هي؟.

قلت: تُقَدّم الرأس أمام الحرم. ففعل ذلِكَ ودفعت له ما وعدته.

---

(١) مقتل الخوارزمي، ج٢ ص٦٠

دخول الرايات وحملة الرؤوس[1]

قال في (الدمعة الساكبة): وفي رواية الشعبي عَلى مانقل عنه:

ثم أشرفت تسع عشرة راية حمراء، وأشرفت السبايا مهتكات بلا وطاء ولا غطاء. ثم أقبل رأس العباس بن علي عليه السلام يحمله ثعلبة بن مرة الكعبي، وهو بيده عَلى رمح طويل...

وفي (أسرار الشهادة) للفاضل الدربندي، ص ٤٩٦:

ثم أقبل مِن بعده رأس جعفر بن علي عليه السلام يحمله نمير بن أبي جوشن الضبابي، وأقبل مِن بعده رأس محمّد بن علي عليه السلام، ثم أقبل رأس أبي بكر بن علي عليه السلام يحمله أنيس بن الحرث البعجي، وأقبل مِن بعده رأس علي بن الحسين عليه السلام يحمله مرة بن قيس الهمداني، وأقبل مِن بعده رأس عون بن علي عليه السلام يحمله جابر السعدي، وأقبل مِن بعده رأس القاسم بن الحسن عليه السلام يحمله محمّد ابن الأشعث الكندي، وأقبل مِن بعده رأس يحيى بن علي عليه السلام يحمله عمير بن شجاع الكندي، وأقبل مِن بعده رأس عبد الله بن عقيل عليه السلام يحمله قيس بن أبي مرة الخزاعي، ثم أقبلت مِن بعده بقية الرؤوس.

ثم أقبل رأس الحسين بن علي عليه السلام وهو أشبه الخلق برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحمله حواشن بن خولي بن يزيد الأصبحي وغيره.

---

(١) معالي السبطين للمازندراني، ج٢ ص ٨٥

وصف رأس الحسين عليه السلام[1]

عن (كامل البهائي) قال سهل بن سعد:

رأيت الرؤوس عَلى الرماح، ويقدمهم رأس العباس بن علي عليه السلام، نظرت إليه كأنه يضحك. ورأس الإمام الحسين عليه السلام كان وراء الرؤوس أمام المخدَّرات. وللرأس الشريف مهابة عظيمة، ويشرق منه النور، بلحية مدوّرة، قد خالطها الشيب، وقد خضبت بالوَسِمة [نوع مِن الصباغ النباتي]، أدعج العينين، أزَجّ الحاجبين، واضح الجبين، أقنى الأنف [أي في قصبة أنفه ارتفاع]، متبسماً إلى السماء، شاخصاً ببصره إلى نحو الأفق، والريح تلعب بلحيته الشريفة يميناً وشمالاً، كأنه أمير المؤمنين عليه السلام.

وعن أبي مخنف: والرأس الشريف عَلى رمح بيد شَمِر بن ذي الجوشن.

الرأس الشريف يتكلم

تعددت الروايات في تكلّم رأس الحسين عليه السلام في عدة مواقف وأماكن، منها الكوفة ودمشق وغيرهما. عدا عما جرى بين الرأس الشريف وبعض الرهبان مِن مكالمات ومحاورات، كان مِن نتيجتها إسلامهم وهدايتهم. وقد ذكرنا ماجرى في الكوفة مِن تلاوة الرأس الشريف لمقطع مِن سورة الكهف ولبعض الآيات الأخرى.

والآن نذكر ماحصل في دمشق عند باب الفراديس وغيره.

---

(١) معالي السبطين للمازندراني، ج٢ ص ٨٤

الرأس الشريف يتكلم في دمشق(1)

في (القمقام) نقلاً عن مناقب ابن شهراشوب: سمعوا مِن الرأس الشريف يرفع صوته في دمشق الشام ويقول: «لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

وفي (الناسخ) عن منهال بن عمرو، قال: لما أُدخل الرأس الشريف إلى دمشق الشام، رأيت رجلاً يتلو القرآن أمام الرأس، ويتلو سورة الكهف، فلما وصل إلى هذه الآية: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾، أشهد واللهِ لقد سمعت الرأس المبارك قال بلسان طلق ذلق: أعجبُ مِن أصحاب الكهف قتلي وحملي.

تكلم الرأس الشريف عند باب الفراديس(2)

قال أبو الحسن العسقلاني بإسناده، قال الأعمش: قلت لمسلمة بن كُهيل: اللهَ إنك سمعتَه منه؟.

قال: اللهَ إني سمعت منه في باب الفراديس في دمشق، لا مُثِّل ولا شُبّه لي، وهو [أي رأس الحسين عليه السلام] يقول: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾(3).

---

(1) معالي السبطين للمازندراني، ج2 ص 84

(2) فرائد السمطين، ج2 ص 169

(3) «سورة البقرة 137»

النصارى في دمشق يحتشمون لأهل البيت عليهم السلام أكثر مِن أدعياء الإسلام[1]

في (الدمعة الساكبة) قال سهل: وكان معي رقيق نصراني، يريد بيت المقدس، وهو متقلد بسيف تحت ثيابه، فكشف اللّهُ تَعالَى عن بصره، فسمع رأس الحسين عليه السلام يقرأ القرآن ويقول: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَـٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾، فأدركته السعادة، فقال: أشهد أن لا إلهَ إلا اللّهُ، وحده لاشريك له، وأن محمداً عبده ورسوله.

ثم انتضى سيفه وحمل به عَلى القوم، وهو يبكي. فجعل يضرب فيهم، فقتل منهم جماعة كثيرة، فتكاثروا عليه فقتلوه، رحمه اللّهُ.

فقالت أم كلثوم عليها السلام: ما هذه الصيحة؟. فحكيت لها الحكاية. فقالت: واعجباه، النصارى يحتشمون لدين الإسلام، وأمة محمّد الذين يزعمون أنهم عَلى دين محمّد صلى الله عليه وآله يقتلون أولاده ويسْبون حريمه! ولكن العاقبة للمتقين.

المحطة الرابعة: درج المسجد الجامع

ثمّ ساقوا ركب السبايا حتى أوقفوهم على درج المسجد، عند باب جيرون للمسجد، وقد زالت الشمس. والسبايا مربوطون بالحبال، وفي عنق زين العابدين الجامعة مِن الحديد. وتُركوا هناك بهيئتهم المزرية ليتفرج عليهم الناس، ريثما يأتي الإذن لهم بالدخول على يزيد في قصره.

---

(١) العيون العبرى للميانجي، ص ٥٦

وكان على يمين الدرج باب لقصر يزيد تُرى معالمه اليوم في الحائط، وقد سُدّ بعد إنشاء مشهد رأس الحسين عليه السلام، والباب يقابل مِن الداخل محراب مشهد زين العابدين عليه السلام.

ويقال إن السبايا عندما مروا على النوفرة في سويقة جيرون والماء يتصبب منها، طلبوا شرب الماء لهم ولأطفالهم، فمنعوهم منه لأنهم أسرى.

الشيخ المغرّر به[1]

في (تاريخ مختصر الدول) لابن العبري، ص ١٩٠: فأمر يزيد نساء الحسين وبناته عليهن السلام فأُقمن بدرج المسجد، حيث توقف الأسارى، لينظر الناس إليهم.

وإذا شيخ أقبل، فدنا مِن نساء الحسين عليه السلام وعياله، وقال: الحمد لله الَّذي قتلكم وأهلككم وأراح العباد (البلاد) من رجالكم، وأمكن أمير المؤمنين منكم.

يقول السيد عبد الرزاق المقرم: ههنا أفاض الإمام السجّاد عليه السلام مِن لطفه عَلى هذا المسكين المغترّ بتلك التمويهات، لتقريبه مِن الحق وإرشاده إلى السبيل. وهكذا أهل البيت عليهم السلام تشرق أنوارهم عَلى مَن يعلمون صفاء قلبه وطهارة طينته واستعداده للهداية».

فقال له علي بن الحسين عليه السلام: ياشيخ هل قرأت القرآن؟.

قال: نعم.

---

(١) مقتل الخوارزمي، ج٢ ص٦١؛ ولواعج الأشجان للسيد الأمين، ص ١٩٢؛ ومقتل المقرّم ص ٤٤٨

قال: فهل قرأت هذه الآية: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾؟.

قال الشيخ: قرأتها؛ قال عليه السلام: فنحن القربى. ياشيخ فهل قرأت في بني إسرائيل:

﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ﴾؟. فقال: قد قرأت ذلِكَ؛ فقال عليه السلام: فنحن القربى. ياشيخ فهل قرأت هذه الآية: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾؟.

قال: نعم؛ فقال عليه السلام: فنحن القربى. ياشيخ ولكن هل قرأت هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرًا﴾؟.

قال: قد قرأت ذلِكَ؛ فقال عليه السلام: فنحن أهل البيت الذين اختصّنا اللّهُ بآية الطهارة ياشيخ.

فبقي الشيخ ساكتاً ساعة، نادماً عَلى ما تكلم به، وقال: بالله إنكم هم؟!.

فقال علي بن الحسين عليه السلام: تالله إنا لنحن هم مِن غير شك، وحقِّ جدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنا لنحن هم!. فبكى الشيخ ورمى عمامته، ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم إني أتوب إليك مِن بغض هؤلاء، وإني أبرأ إليك مِن عدوّ محمّد وآل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم مِن الجن والإنس.

ثم قال: هل مِن توبة؟ فقال له عليه السلام: نعم، إن تبتَ تاب اللّهُ عليك وأنت معنا. فقال: أنا تائب.

فبلغ يزيد بن معاوية حديث الشيخ، فأمر به فقتل.

تزيين دار يزيد ونصب السرير له[1]

ولما أدخلوا الرؤوس والسبايا دمشق الشام، أمر يزيد فزيّنت داره بأنواع الزينة، ونصب ليزيد سرير مرصّع، ونصب أطرافَ سريره كراسي مِن الذهب والفضة. وجلس يزيد في سريره، وعلى رأسه تاج مكلل بالدرّ والياقوت، وحوله أربعمائة نفر مِن الأمراء والأعيان والسفراء، وسفراء الملوك مِن النصارى وغيرهم، وحوله كثير مِن مشايخ قريش.

لؤم مُحَفِّر بن ثعلبة الأنصاري[2]

ورفع محفّر بن ثعلبة الأنصاري صوته منادياً عَلى باب يزيد: جئنا برأس أحمق الناس وألأمهم!. فقال يزيد: ما ولدت أم محفِر ألأم وأحمق منه، ولكنه [أي الحسين] قاطع ظالم.

وفي (مقتل الخوارزمي) ج٢ ص٥٨: قال ابن محفِّز: يا أمير المؤمنين، جئناك برؤوس هؤلاء الكفرة اللئام!. فقال يزيد: ما ولدت أم محفّز أكفر وألأم وأذمّ.

وفي رواية (لواعج الأشجان) ص ١٩١: فلما انتهوا إلى باب يزيد رفع محفّر بن ثعلبة صوته فقال: هذا محفِّر بن ثعلبة أتى أمير المؤمنين باللئام الفجرة. فأجابه علي بن الحسين عليه السلام: ما ولدت أم محفّر أشرّ وألأم.

(١) وسيلة الدارين في أنصار الحسين للزنجاني، ص ٣٨٣

(٢) كامل ابن الأثير، ج٣ ص ٤٠٢

إدخال الرؤوس الشريفة على يزيد

إدخال حملة الرؤوس عَلى يزيد[1]

فخرج حُجّاب يزيد وأدخلوا الذين معهم الرؤوس. فلما دخلوا عَلى يزيد قالوا: بعزّةِ الأمير قتلنا أهل بيت أبي تراب واستأصلناهم.

وفي (نفَس المهموم): رُمي الرأس بين يدي يزيد.

موقف مروان بن الحكم وأخيه عبد الرحمن مِن أعمال يزيد[2]

قال أبومخنف: ثم أتوا بالرأس إلى باب الساعات، فوقفوا هناك ثلاث ساعات، يطلبون الإذن مِن يزيد.

فبينما هم كذلك، إذ خرج مروان بن الحكم. فلما نظر إلى رأس الحسين عليه السلام صار ينظر إلى أعطافه جذلاً طرباً. ثم خرج أخوه عبد الرحمن، فلما نظر إلى الرأس بكى، ثم قال: أما أنتم فقد حُجبتم

(١) معالي السبطين للمازندراني، ج٢ ص ٨٩

(٢) المنتخب للطريحي، ص ٤٨٤ ط٢

عن شفاعة جده رسول الله ﷺ، واللهِ لاجامعتكم عَلى أمر أبداً.

ثم قال: بالعزيز عليّ يا أبا عبد الله ما نزل بك، ثم أنشأ يقول:

سُمَيّةُ أمسى نسلها عدد الحصى
وبنت رسـول الله ليس لها نسلُ!
إمامٌ غريبُ الطفّ أدنـى[1] برأسه
مِن ابن زياد وهو في العالم الـرّذلِ

حامل الرأس يشرح ليزيد ماحدث في كربلاء[2]

قال أبومخنف: وأقبلوا بالرأس إلى باب الساعات، وأوقفوه هناك ثلاث ساعات. ثم أتوا به إلى يزيد بن معاوية، وكان مروان جالساً إلى جنبه. فسألهم: كيف فعلتم به؟. فقالوا: جاءنا في ثمانية عشر مِن أهل بيته ونيّف وخمسين مِن أنصاره، فسألناهم أن ينزلوا عَلى حكم الأمير أو القتال، فاختاروا القتال. فقتلناهم عن آخرهم، وهذه رؤوسهم، والسبايا عَلى المطايا.

وفي (مقتل الخوارزمي) ج٢ ص ٥٦: فأطرق يزيد ساعة ثم رفع رأسه وبكى، وقال: واللهِ يا هذا لقد كنت أرضى مِن طاعتكم بدون قتل الحسين. أما واللهِ لو صار إليّ لعفوت عنه. ولكن قبّح اللّهُ ابن مرجانة (يقصد ابن زياد).

فجعل مروان بن الحكم يهزّ أعطافه، وأنشد يقول:

---

(١) أدنى: أكثر دنواً. أي كيف يكون إمام قُتل في طف كربلاء، غريباً، أدنى مِن ابن زياد الوضيع حسباً ونسباً؟!.

(٢) أسرار الشهادة للدربندي، ص ٤٩٨

يــا حــبّــذا بَــرْدك فــي الـيـديـنِ
ولــونــك الأحــمــر فــي الـخـدّيـنِ
شفيتُ نفسي مِـن دم الحسين
أخـــذتُ ثـــأري وقـضـيـت دَيـنـي

وفي (مقدمة مرآة العقول للمجلسي) للسيد مرتضى العسكري، ج٢ ص ٣٠٤:

روى الطبري وغيره قال: لما وضعت الرؤوس بين يدي يزيد؛ رأس الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه، قال يزيد:

يفلّقن هـامـاً مِـن رجـال أعـزّة
علينا، وهـم كـانـوا أعـقَّ وأظلما

فقال يحيى بن الحكم أخو مروان، وكان في المجلس:

لَهامٌ بجنب الطفّ أدنـى قرابة
مِن ابن زياد العبد ذي الحسب الوغلِ[1]
سُمَيّةُ أمسى نسلُها عددَ الحصى
وبنت رسـول الله ليس لها نسلُ[2]

فضرب يزيد في صدر يحيى، وقال: اسكت.

(وفي رواية): أنه أسرّ إليه، وقال: سبحان الله أفي هذا الموضع ما يسعك السكوت!.

وفي (مقتل الخوارزمي) ج٢ ص ٥٧:

فقال يزيد: نعم!.

---

(١) الوغل: المدعي نسباً كاذباً.

(٢) في البيت الثاني إقواء، وهو مِن عيوب الشعر. والإقواء: كسر القافية وضمّها.

فلعن اللّهُ ابن مرجانة إذ أقدم عَلى قتل مثل الحسين بن فاطمة. أما واللهِ لو كنت أنا صاحبه لما سألني خصلة إلا أعطيته إياها، ولدفعت عنه الحتف بكل ما استطعت، ولو بهلاك بعض ولدي. ولكن إذا قضى اللّهُ أمراً لم يكن له مردّ.

وروي أن يزيد نظر إلى عبد الرحمن، وقال: سبحان الله، أفي هذا الموضع تقول ذلِكَ، أما يسعك السكوت!.

وفي (العقد الفريد) لابن عبد ربه، ج٤ ص ٣٠٨: لما وضع الرأس بين يدي يزيد تمثّل بقول حصين بن الجاحم المزني:

نفلّق هاماً مِن رجال أعزّة

علينا، وهم كانوا أعقَّ وأظلما

فقال له علي بن الحسين عليه السلام وكان في السبي: كتاب الله أولى بك مِن الشعر، يقول اللّهُ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾.

فغضب يزيد، وجعل يعبث بلحيته. ثم قال: غير هذا مِن كتاب الله أولى بك وبأبيك، قال الله: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾.

استنكار هند بنت عبد الله لأعمال زوجها يزيد[1]

قال أبومخنف: فسمعتْه هند بنت عبد الله زوجة يزيد، وكان مشغوفاً بها.

(١) مقتل أبي مِخنَف، ص ١٢٥

قال: فدعت برداء فتردّت به، وتقنّعت ووقفت مِن وراء الستر، وقالت ليزيد: هل معك أحد؟.

قال: أجل. فأمر مَن كان عنده بالانصراف.

وقال: اُدخلي، فدخلت.

قال: فنظرت إلى رأس الحسين عليه السلام فصرخت، وقالت: ما هذا الّذي معك؟.

فقال: رأس الحسين بن علي.

قال: فبكت وقالت: يعزّ واللهِ عَلى فاطمة أن ترى رأس ولدها بين يديك.

لقد فعلت فعلاً استوجبت به اللعن مِن الله ورسوله.

(وفي رواية المنتخب، ص ٤٨٥): «ويحك، فعلت فعلة استوجبتَ بها النار يَوم القيامة».

واللهِ ما أنا لك بزوجة ولا أنت لي ببعل. فقال لها: ما أنت وفاطمة؟!.

فقالت: بأبيها وبعلها وبنيها هدانا اللّهُ وألبسنا هذا القميص. ويلك يا يزيد، بأي وجه تلقى الله ورسوله؟!.

فقال لها: يا هند دعي هذا الكلام.

(وفي رواية): «ارتدعي يا هند مِن كلامك هذا، والله ما أُخبرت بذلك ولا أمرت به». فخرجت باكية وتركته.

وفي (معالي السبطين) للمازندراني، ج٢ ص ١٧٥:

فقامت [هند] وحسرت رأسها وشقّت الثياب وهتكت الستر،

وخرجت حافية إلى يزيد وهو في مجلس عام، وقالت: يا يزيد أنت أمرت برأس الحسين عليه السلام يشال عَلى الرمح عند باب الدار؟. أرأس ابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله مصلوب عَلى فِناء داري؟!.

شمر يطلب الجائزة مِن يـزيد[1]

ثم دخل عليه الشمر وجعل يقول:

اِمــلأ ركــابــي فـضـة أو ذهبا
إنــي قـتـلـت الـسـيّـد الـمـهـذّبـا
قتلت خـيـر الـنـاس أمـاً وأبـا
وأكـــرم الـنــاس جـمـيـعـاً حسبا
سيد أهــل الحرمين والــورى
ومَـــن عَــلـى الخلق مـعـاً منتصبا
طعنته بـالـرمـح حـتـى انقلبا
ضـربـتـه بـالـسـيـف ضـربـاً عجبا

قال: فنظر إليه يزيد شزراً، وقال له: أملأَ اللّهُ ركابك ناراً وحطبا، إذا علمتَ أنه خير الناس أماً وأباً، فلِم قتلته؟!.

قال شمر: أطلب بذلك الجائزة مِن عندك.

قال: فلكزه يزيد بزُبال سيفه، وقال: لا جائزة لك عندي، فولّى هارباً ﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾[2].

---

(١) أسرار الشهادة للدربندي، ٤٩٨

(٢) «سورة الحج ١١»

إدخال السبايا عَلى يزيد في مجلس عام

علي بن الحسين عليه السلام أول مَن دخل[1]

قيل: إن أول مَن دخل شَمِر بن ذي الجوشن بعلي بن الحسين عليه السلام، مغلولة يداه إلى عنقه.

فقال له يزيد: مَن أنت يا غلام؟.

قال: أنا علي بن الحسين. فأمر برفع الغل عنه.

إدخال آل الرسول صلى الله عليه وآله إلى مجلس يزيد[2]

روى الطبري قال:

جلس يزيد بن معاوية، ودعا أشراف أهل الشام، فأجلسهم حوله. ثم دعا بعلي بن الحسين عليه السلام وصبيان الحسين ونسائه، فأدخلوا عليه، والناس ينظرون.

(١) مقتل الخوارزمي، ج٢ ص ٦٢

(٢) مقدمة مرآة العقول، ج٢ ص ٣٠٤

وروى سبط ابن الجوزي في (تذكرة الخواص) ص ١٤٩ وغيره:

أن الصبيان والصبيات مِن بنات رسول الله ﷺ كانوا موثّقين في الحبال.

عدد الذكور الذين أُدخلوا عَلى يزيد[1]

قال: وذكروا أن أبا معشر قال: حدثني محمّد بن الحسين بن علي، قال: دخلنا عَلى يزيد، ونحن اثنا عشر غلاماً، مغلّلين في الحديد وعلينا قميص. فقال يزيد: أخلصتم أنفسكم بعبيد أهل العراق؟.

وما علمتُ بخروج أبي عبد الله حين خرج، ولا بقتله حين قُتل!.

كيف أُدخل السبايا عَلى يزيد وهم مربوطون بالحبال[2]

قال الإمام الباقر عليه السلام: أتى بنا يزيد بن معاوية بعدما قُتل الحسين ابن علي عليه السلام ونحن اثنا عشر غلاماً، وكان أكبرنا يومئذ علي بن الحسين عليه السلام، فأدخلنا عليه، وكان كل واحد منا مغلولة يده إلى عنقه.

وفي (الأنوار النعمانية): أدخلوهن [أي السبايا] وهن مربقات بحبل طويل، وزحر ابن قيس يجرّهن.

وفي (المنتخب) قال علي بن الحسين عليه السلام: لما وفدنا عَلى يزيد، أتونا بحبل وربقونا مثل الأغنام. وكان الحبل بعنقي وعنق أم كلثوم، وبكتف زينب وسكينة والبنات عليهن السلام. وساقونا؛ وكلما قصّرنا عن

---

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة، ص ٥

(٢) معالي السبطين للمازندراني، ج٢ ص ٩٢

المشي ضربونا، حتى أوقفونا بين يدي يزيد، وهو عَلى سرير مملكته.

مَن الَّذي غلب؟ يزيد أم الحسين عليه السلام؟[1]

قال المفيد: فلما انتهوا إلى باب يزيد، استقبلهم إبراهيم بن طلحة بن عبيد الله، وقال: يا علي بن الحسين، مَن غلب؟. وهو يغطي وجهه.

فقال له علي بن الحسين عليه السلام: إذا أردت أن تعلم مَن غلب، ودخل وقت الصلاة، فأَذِّنْ وأقِم (تعرف مَن غلب) .

نساء يزيد يولولن عند دخول السبايا[2]

وفي خبر عن (الأمالي): ثم أدخل نساء الحسين عليه السلام عَلى يزيد بن معاوية، فصاحت نساء آل يزيد وبنات معاوية وأهله، وولولن وأقمن المآتم، ووضع رأس الحسين عليه السلام بين يديه.

وقال السيد ابن طاووس: ثم أدخل ثَقَل الحسين عليه السلام ونساؤه ومَن تخلّف مِن أهله عَلى يزيد، وهم مقرّنون في الحبال، وزين العابدين عليه السلام مغلول. فلما وقفوا بين يديه وهم عَلى تلك الحال، قال له علي بن الحسين عليه السلام: أنشدك الله يا يزيد، ما ظنّك برسول الله صلى الله عليه وآله لو رآنا عَلى هذه الصفة؟.

(فلم يبقَ في القوم أحد إلا وبكى).

---

(١) المصدر السابق، ص ٩٤

(٢) أسرار الشهادة للدربندي، ص ٥٠٠

فأمر يـزيد بالحبال فقطّعت (وأمر بفكّ الغُلّ عن زين العابدين). ثم وُضع رأس الحسين عليه السلام بين يديه، وأجلس النساء خلفه لئلا ينظرن إليه.

إدخال الرأس المطهّر

إعداد الرأس الشريف

قال سهل بن سعد: فدخلتُ مع مَن دخل لأنظر مايصنع يزيد. فأمر بحطّ الرأس عن الرمح، وأن يوضع في طشت ذهب، ويغطى بمنديل ديبقي [أي منسوج مِن الشعر المضفور]، ويُدخَل به عليه.

تسريح شعر الرأس الشريف ولحيته[1]

عن (مستدرك الوسائل) للنوري، عن زهرة بل الرياض، قال:

وضعوا الرأس بين يديه بعدما غسّلوه، وسرّحوا لحيته وشعره، وجعلوه في طشت.

وفي (أخبار الدول) للقرماني، ص ١٠٨ قال:

فلما وضع الرأس بين يدي يزيد، بعدما غسّلوه وسرّحوا لحيته

(١) معالي السبطين للمازندراني، ج٢ ص ٩٣

وشعره، وجعلوه في طشت مِن ذهب؛ فجعل يزيد ينكت ثناياه بقضيب في يده.

يزيد يبدي اشمئزازه مِن رائحة رأس الحسين عليه السلام[1]

ثم جيء برأس الحسين عليه السلام فوضع بين يدي يزيد، فأمر الغلام فرفع الثوب الَّذي كان عليه. فحين رآه غطّى وجهه بكمته كأنه شمّ رائحة، وقال: الحمد لله الَّذي كفانا المؤن بغير مؤنة ﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُ﴾.

رائحة المسك تفوح مِن الرأس الشريف[2]

قالت (دبا) حاضنة يزيد: دنوت مِن رأس الإمام الحسين عليه السلام حين شمّ يزيد منه رائحة لم تعجبه، فإذا تفوح منه رائحة مِن روح الجنة كالمسك الأذفر، بل أطيب.

وفي (سفينة البحار) ج١ ص ٤٩٢:

روي: أنه لما أُدخل بالرأس الشريف عَلى يزيد، كان للرأس طِيب قد فاح عَلى كل طيب.

---

(١) الإتحاف بحب الأشراف للشبراوي، ص ٥٦

(٢) (المصدر السابق)

يـزيد يطلب إحضار الرأس الشريف بين يديه[1]

يقول الطريحي: ثم إن يـزيد بعث يطلب الرأس، فلما أوتي به إليه، وضعه في طشت مِن ذهب، وجعل ينكث ثناياه بقضيب كان عنده، وهو يقول: رحمك اللّهُ يا حسين، لقد كنت حَسن المضحك. ثم أنشأ:

نفلّق هـامـاً مِـن رجـال أعـزّة
علينا، وهـم كـانـوا أعـقّ وأظلما

ويقول السيد الأمين في (اللواعج) ص ١٩٥:

ثم وُضع رأس الحسين عليه السلام بين يدي يـزيد، وأجلس النساء خلفه لئلا ينظرن إليـه.

ويقول السيد المقرّم في مقتله، ص ٤٥٥:

ودعا يـزيد برأس الحسين عليه السلام ووضعه أمامه في طست مِن ذهب، وكان النساء خلفه. فقامت سكينة وفاطمة تتطاولان النظر إليه، ويزيد يستره عنهما، فلما رأينه صرخن بالبكاء.

---

(١) المنتخب للطريحي، ص ٤٨٤ ط٢

الرؤوس والسبايا يمثلون أمام يزيد

ثمّ أمر يزيد بإدخال الرؤوس والسبايا إلى قصره، فدخلوا مِن الباب المسدود المجاور لباب جيرون. ووُضع رأس الحسين عليه السلام بعد توضيبه على طبق مِن ذهب، وقُدِّم إلى يزيد، فجعل يقرعه وبنكته بقضيبه الخيزران على فمه وثناياه، ويقول: يوم بيوم بدر.

ثمّ تمثّل بقول ابن الزِّبَعرَى المشرك:

لعبت هاشمُ بالملك فلا
خبرٌ جاء ولا وحيٌ نزلْ

يفصح بذلك عن كفره وخروجه عن الإسلام.

وكفكرة عن حال السبايا عند إدخالهم على يزيد، نذكر ما قاله الإمام الباقر عليه السلام وكان معهم صغيراً، قال: أتى بنا يزيد بن معاوية بعدما قُتل الحسين بن علي عليه السلام ونحن اثنا عشر غلاماً، وكان أكبرنا يومئذ علي بن الحسين عليه السلام، فأدخلنا عليه، وكان كل واحد منا مغلولة يده إلى عنقه.

وفي (منتخب الطريحي):

قال علي بن الحسين عليه السلام: لما وفدنا على يزيد، أتونا بحبل وربقونا مثل الأغنام؛ وكان الحبل بعنقي وعنق أم كلثوم، وبكتف زينب وسكينة والبنات عليهن السلام. وساقونا، وكلما قصّرنا عن المشي ضربونا، حتى أوقفونا بين يدي يزيد، وهو على سرير مملكته.

ويقول السيد عبد العزيز المقرّم[1]

ودعا يزيد برأس الحسين عليه السلام ووضعه أمامه في طست مِن ذهب، وكان النساء خلفه.

فقامت سكينة وفاطمة بنتا الحسين عليه السلام تتطاولان النظر إليه، ويزيد يستره عنهما. فلما رأينه صرخن بالبكاء.

استنكار أبي برزة الأسلمي

ويقول القرماني[2]

فجعل يزيد ينكث ثناياه بقضيب في يده. فقال له أبو برزة الأسلمي (وهو صحابي): أتنكث بقضيبك في ثغر الحسين عليه السلام!. والذي لا إله إلا هو، لقد رأيت شفتي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على هاتين الشفتين يقبّلهما. أما إنك يا يزيد تجيء يوم القيامة، وابن زياد شفيعك، ويجيء هذا (أي الحسين) ومحمد شفيعه.

فغضب يزيد وأمر بإخراجه مِن المجلس، فأُخرج سحباً.

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام أو حديث كربلاء، ط٢ ص ٤٥٥.

(٢) أخبار الدول للقرماني، ص ١٠٩.

الأشعار التي تمثّل بها يزيد[1]

ثم كشف يزيد عن ثنايا رأس الحسين عليه السلام بقضيبه ونكثه به، وأنشد قول الحصين بن الحمام المرّي:

أبى قومنا أن ينصفونا فأنصفت
قواضبُ في أيماننا تقطر الدِّما

صبرنا وكان الصبر منا عزيمة
وأسيافنا يقطعن كفاً ومعصما

نفلّق هاماً مِن أناس أعزّة
علينا، وهم كانوا أعقّ وأظلما

فقال له بعض جلسائه: ارفع قضيبك، فوالله ما أحصي ما رأيت شفتي محمّد صلى الله عليه وآله وسلم في مكان قضيبك يقبّله.

يزيد يتمثل بأشعار عبد الله بن الزبعرى المشرك[2]

(المصدر السابق؛ والمنتخب للطريحي ص ٤٨٤)

فسكت يزيد، وإذا بغراب ينعق ويصيح مِن أعلى القصر، فأنشأ يزيد يقول:

يا غراب البَين ما شئت فقُلْ
إنما تندب أمراً قد فُعِلْ

---

(١) مقتل الخوارزمي، ج٢ ص ٥٨

(٢) قصيدة قالها عبد الله بن الزبعرى في نيّف وعشرين بيتاً بعد وقعة أحد، وقد كان مشركاً. وقيل إنه أسلم بعد فتح مكة واعتذر مِن النبي صلى الله عليه وآله، فقبل النبي توبته.

كـل مُـلـك ونـعـيـم زائـلْ

وبـنـات الـدهـر[1] يـلـعـبنَ بكلّ

لـيـت أشـيـاخـي بـبـدر شـهـدوا

جَـزَع الـخـزرج مِـن وقـع الأسَـل[2]

لأهَـلـّوا واسـتـهـلّـوا فـرحـاً

ثـم قـالـوا: يـا يـزيـدُ لا تُـشَـل

قـد قتلنا الـقَـرم مِـن ساداتهم

وعـدلـنـاه بـبـدر فـاعـتـدل

وأخـذنـا مِـن عـلـي ثـارنـا

وقـتـلـنـا الـفـارس الـلـيـث البطل

لستُ مِن خِندف[3] إن لم أنتقم

مِـن بـنـي أحـمـد مـا كـان فعل

لـعـبـتْ هـاشـمُ بـالـمـلـك فلا

خـبـرٌ جـاء ولا وحـيٌ نـزل

---

(١) بنات الدهر: حوادثه.

(٢) الأسَل: الرماح.

(٣) خِندف: في الأصل لقب ليلى بنت عمران، سمّيت به القبيلة. وإنما لقّبت خِندف لأنها كانت تتبختر في مشيها. وخندف زوجة إلياس بن مُضرام أحد أجداد قريش. وقد افتخر يزيد بأنه مِن خِندف في الشعر الّذي قاله، فقالت له زينب عليها السلام في مجلسه: لا تذكر خِندف التي بينك وبينها ثلاثة عشر أباً، بل اذكر جدتك القريبة وأفعالها، وهي هند آكلة الأكباد أم معاوية (سفينة البحار، ج١ ص٥٨٠).

يزيد مع الإمام السجّاد عليه السلام

ردّ الإمام زين العابدين عليه السلام على أشعار يزيد[1]

قال هشام بن محمّد: لما أنشد يزيد الأبيات، قال له علي بن الحسين عليه السلام: بل ما قال اللّهُ أولى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾[2].

وفي (الإمامة والسياسة) لابن قتيبة، ص ٥: (قال) فغضب يزيد، وجعل يعبث بلحيته، وقال: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾[3].

وكان علي بن الحسين عليه السلام والنساء موثقين في الحبال، فناداه علي عليه السلام: يا يزيد، ما ظنّك برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو رآنا موثّقين في الحبال، عرايا عَلى أقتاب الجمال؟. فلم يبقَ في القوم إلا مَن بكى.

---

(١) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي، ص ٢٧٢ ط٢ نجف

(٢) سورة الحديد ٢٢.

(٣) سورة الشورى ٣٠

يزيد يهمّ بقتل زين العابدين عليه السلام[1]

في تفسير علي بن إبراهيم، قال الإمام الصادق عليه السلام: لما أُدخل رأس الحسين بن علي عليه السلام عَلى يزيد، وأدخل عليه علي بن الحسين عليه السلام وبنات أمير المؤمنين عليه السلام، كان علي بن الحسين عليه السلام مقيّداً مغلولاً. فقال يزيد: يا علي بن الحسين، الحمد لله الَّذي قتل أباك!. فقال علي بن الحسين عليه السلام: لعن اللّهُ مَن قتل أبي.

قال: فغضب يزيد وأمر بضرب عنقه. فقال علي بن الحسين عليه السلام: فإذا قتلتني، فبنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مَن يردّهن إلى منازلهن، وليس لهنّ مَحْرَم غيري؟ فقال يزيد: أنت ترُدّهن إلى منازلهن.

ثم دعا بمبرد، فأقبل يبرد (الجامعة) مِن عنقه بيده. ثم قال له: يا علي ابن الحسين، أتدري ما الَّذي أريد بذلك؟. قال: بلى، تريد أن لايكون لأحد عليّ مِنّة غيرك. فقال يزيد: هذا واللهِ ما أردت.

مجادلة زين العابدين عليه السلام مع يزيد في آية مِن القرآن[2]

ثم قال يزيد: يا علي بن الحسين ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾. فقال علي بن الحسين عليه السلام: كلا، ما هذه فينا نزلت، إنما نزلت فينا: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٢٢﴾ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ﴾[3].

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٥ ص ١٦٨ ط٣

(٢) المصدر السابق.

(٣) سورة الحديد ٢٢ و٢٣.

فنحن الذين لا نأسى عَلى ما فاتنا، ولا نفرح بما آتانا منها.

وفي رواية الشعبي: ثم أمر أن يُدخل عليه بعلي بن الحسين عليه السلام، فأدخل والنسوة مِن خلفه. فقال يزيد: مَن أنت يا غلام؟. فقال له: يا يزيد أنت أعرف الناس بي، أنا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام. قال يزيد: أليس قد قُتل علي بن الحسين؟. قال: ذاك أخي علي الأوسط. قال يزيد: وإلى القتل آتي بك يا علي. ثم أمر بقتله، فأُخرج. فصاحت زينب عليها السلام: إلى أين يراد بك؟. فقال عليه السلام: إلى القتل. فصاحت أم كلثوم وزينب: وحسبك يا يزيد مِن دمائنا. نناشدك الله إن قتلته فاقتلنا (معه). فأمر بردّه.

ثم قال: يا علي، أراد أبوك أن يدعى بأمير المؤمنين، فقطع اللّهُ شأفته، ومنحني أعناقكم؛ فأخذت أموالكم، وقتلت رجالكم، وسبيت نساءكم، وأبطلت أحدوثتكم. فقال علي بن الحسين عليه السلام: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾. فرفع يزيد رأسه إليه ولم يضرب عنقه، فأُخرج مِن بين يديه. فصاحت به أم كلثوم: إلى أين يا حبيبي؟. فقال لها: إلى السيف يا عمة.

فصاحت: وا غوثاه بالله عزّ وجلّ، وا بقية مَن لا يبقى (مِن) سلالة نبي الهدى، يا بقية ابن علي المرتضى.

قال: فضجّ الناس بالبكاء. فقال رجل مِن القوم: يا يزيد رُدَّ الغلام، وإلا فأنت مقتول. فردّه.

مجادلة بين يزيد وزين العابدين عليه السلام[1]

فتقدم علي بن الحسين عليه السلام حتى وقف بين يدي يزيد وقال:

لا تطمعوا أن تهينونا ونكرمكم
وأن نكفَّ الأذى عنكم وتؤذونا
فاللهُ يعلم أنا لا نحبّكمُ
ولا نلومكمُ إن لم تحبّونا

فقال يزيد: صدقت!. ولكن أراد أبوك وجدك أن يكونا أميرين، فالحمد لله الَّذي قتلهما وسفك دماءهما.

ثم قال يزيد: (ايه) يا علي، إن أباك قطع رحمي، وجهل حقي، ونازعني سلطاني؛ فصنع اللّهُ به ما قد رأيت.

فقال علي بن الحسين عليه السلام:

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ﴾.

فقال يزيد لابنه خالد: أُردْ عليه يابني!. فلم يدرِ خالد ماذا يردّ.

فقال يزيد:

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾.

فقال علي عليه السلام: هذا في حق مَن ظَلم، لا في حق مَن ظُلم.

ثم قال عليه السلام: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا﴾، فسكت يزيد.

فقال علي بن الحسين عليه السلام: يابن معاوية وهند وصخر، لم تزل النبوة والإمرة لآبائي وأجدادي مِن قبل أن تولد. ولقد كان جدي علي

---

(1) مقتل الحسين للخوارزمي، ج٢ ص ٦٣

بن أبي طالبعليه السلام في يَوم بدر وأحد والأحزاب، في يده راية رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم، وأبوك وجدك في أيديهما رايات الكفار. ثم جعل علي بن الحسينعليه السلام يقول:

مـاذا تقولون إذ قال النبي لكم:

مـــاذا فعلتم وأنــتــم آخــر الأمــمِ

بعترتي وبأهلي بعد مفتقدي

منهم أسـارى ومنهم ضُـرِّجـوا بدم

وقال ابن نما: فقال علي بن الحسينعليه السلام: فقلت وأنا مغلول: أتأذن لي في الكلام؟. فقال يزيد: قلْ ولا تقل هُجراً. فقالعليه السلام: لقد وقفتُ موقفاً لا ينبغي لمثلي أن يقول الهجر. ما ظنك برسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم لو رآني في الغل؟. فقال لمن حوله: خلّوه.

خطبة زينبعليها السلام أمام الطاغية

ولما سمعت زينبعليها السلام تمثّل يزيد بأبيات المشرك ابن الزِّبَعرى، تهيأت للخصام، وخطبت خطبتها في مجلس يزيد، تصبّ عليه شآبيب الغضب واللعنات، وتفضحه أمام الأعيان والشخصيات، وتبيّن أن نصره لم يكن إلا سراباً، وأن المنتصر الحقيقي هو الحسينعليه السلام، لأنه فضّل الموت مع الحق، على الحياة مع الضلال.

خطبة العقيلة زينب عليها السلام في مجلس يـزيد في دمشق[1]

ولما سمعت زينب عليها السلام يزيد يتمثّل بأبيات ابن الزبعرى المتقدمة، قامت وخطبت خطبتها المشهورة، تُعَرّف الملأ فظاعة أعمال يزيد وتبيّن لهم أهداف أخيها الحسين عليه السلام مِن نهضته واستشهاده.

قالت: الحمد لله رب العالمين، وصلى اللّهُ عَلى رسوله وآله أجمعين. صدق اللّهُ سبحانه حيث يقول: ﴿ثُمَّ كَانَ عَـٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾[2].

أظننت يا يزيد حيث أخذتَ علينا أقطار الأرض وآفاق السماء، فأصبحنا نُساق كما تُساق الأُسارى، أنّ بنا عَلى الله هواناً، وبك عليه كرامة، وأن ذلِكَ لعِظَم خطرك عنده؟!. فشمختَ بأنفك، ونظرت في عِطفك[3]، تضرب أصدَرَيكَ فرَحاً، وتنفض مِذورَيك مرَحاً، جذلان مسروراً، حين رأيت الدنيا لك مستوسِقة، والأمورَ مُتّسِقة، وحين صفا لك مُلكنا وسلطاننا؟!. فمهلاً مهلاً، [لا تطِش جهلاً]، أنسيت قول الله تَعالَى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[4].

أمن العدل يابن الطلقاء، تخديرك حرائرك وإماءك، وسوقك بنات رسول الله سبايا، على ظهور المطايا؛ قد هتكت ستورهن، وأُبديت

(١) مقتل الحسين للمقرّم، ص ٤٦٢

(٢) سورة الروم ١٠.

(٣) شمخ الرجل بأنفه: تكبّر. وعِطفا الرجل: جانباه، والنظر في العِطف: كناية عن الخيلاء.

(٤) سورة آل عمران ١٧٨.

وجوههن، تحدو بهنّ الأعداء مِن بلد إلى بلد، ويستشرفهنّ أهل المناهل والمعاقل[1]، ويتصفّح وجوههن القريبُ والبعيد، والدني والشريف، ليس معهن مِن حماتهن حميّ، ولا مِن رجالهن وليّ!. وكيف تُرتجى مراقبةُ ابنِ مَن لفظ فوهُ أكباد الأزكياء، ونبت لحمه مِن دماء الشهداء. وكيف يُستبطأ في بغضنا ـ أهلَ البيت ـ مَن نظر إلينا بالشَّنَف والشنآن، والإحَن[2] والأضغان؟!.

ثم تقول غير متأثّم ولا مستعظم:

لأهـــلّـــوا واســتــهــلّــوا فــرحــاً

ثــم قــالــوا: يــا يـــزيـدُ لا تُــشَــلْ

منحنياً عَلى ثنايا أبي عبد الله سيد شباب أهل الجنة، تنكتها بمِخصرتك[3]. وكيف لاتقول ذلِكَ، وقد نكأتَ القرحة، واستأصلت الشأفة[4]، بإراقتك دماء ذرية محمّد ﷺ، ونجوم الأرض مِن آل عبد المطلب. وتهتف بأشياخك، زعمت أنك تناديهم، فلَتردَنَّ وشيكاً مَوردهم، ولَتَوَدَّنّ أنك شُللت وبكمت، ولم تكن قلت ما قلت، وفعلت ما فعلت.

اللهم خُذ لنا بحقنا، وانتقم ممن ظلمنا، وأحلل غضبك بمن سفك دماءنا، وقتل حماتنا.

فوالله [يا يزيد] ما فريتَ إلا جلدك، ولا حززتَ إلا لحمك. ولَتردنّ

---

(١) يحدو بهن: أي يسوقهنّ سوقاً شديداً. واستشرف الشيءَ: رفع بصره ينظر إليه.

(٢) الشَّنَف: البغض والتنكر. والإحَن: جمع إحنة، وهي الحقد.

(٣) المِخصرة: كل ما اختصر الإنسان بيده فأمسكه، مِن عصا ونحوها.

(٤) نكأتَ القرحة: قشرتها. والشأفة: قرحة تخرج في أسفل القدم، فتكوى فتذهب، وإذا قُطعت مات صاحبها. واستأصل اللهُ شأفته: أذهبه كما تذهب تلك القرحة، أو معناه: أزاله مِن أصله.

على رسول الله ﷺ بما تحمّلت مِن سفك دماء ذريته، وانتهكت مِن حرمته، في عترته ولُحمته. حيث يجمع اللّهُ تعالى شملهم، ويلمّ شَعَثهم، ويأخذ بحقهم ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[1].

وحسبك بالله حاكماً، وبمحمد ﷺ خصيماً، وبجبرائيل ظهيراً. وسيعلم مَن سوّل لك ومكّنَك مِن رقاب المُسْلِمين، ﴿بِئْسَ لِلظَّـٰلِمِينَ بَدَلًا﴾، وأيّكم شرٌ مكاناً وأضعف جنداً.

ولئن جرّت عليّ الدواهي مخاطبتك[2]، إني لأستصغر قدرك، وأستعظم تقريعك، وأستكثر توبيخك. ولكن العيون عبرى، والصدور حَرّى.

ألا فالعجب كل العجب، لقتل حزب الله النجباء، بحزب الشيطان الطلقاء. فهذه الأيدي تنطف[3] مِن دمائنا، والأفواه تتحلّب مِن لحومنا، وتلك الجثث الطواهر الزواكي تنتابها العواسل، وتعفّرها أمهاتُ الفراعل[4]. ولئن اتخذتنا مغنماً، لتجدنّنا وشيكاً مغرما، حين لا تجد إلا ما قدّمت يداك، وما ربك بظلاّم للعبيد، وإلى الله المشتكى وعليه المعوّل.

فكِد كيدك، واسعَ سعيك، وناصبْ جهدك، فوالله لاتمحو ذكرنا، ولا تميت وحينا، ولا تدرك أمدنا، ولايرحض عنك عارُها. وهل رأيك

---

(١) آل عمران ١٦٩.

(٢) ولئن جرّت عليّ الدواهي مخاطبتك، يحتمل في [مخاطبتك] وجهان: الرفع أو النصب.

(٣) تنطف: تقطر.

(٤) العواسل: جمع عسّال، وهو الذئب. والفراعل: جمع فُرعل، وهو ولد الضبع.

(وفي رواية) تعفوها: أي تدرسها وتزيلها.

إلا فَنَد[1]، وأيامك إلا عدد، وجمعك إلا بَدَد، يَوم ينادي المنادي: ألا لعنة الله عَلى الظالمين.

والحمد لله رب العالَمينَ، الَّذي ختم لأوّلنا بالسعادة والمغفرة، ولآخرنا بالشهادة والرحمة. ونسأل الله أن يكمل لهم الثواب، ويوجب لهم المزيد، ويحسن علينا الخلافة. إنه رحيم ودود، وهو حسبنا ونعم الوكيل».

فقال يزيد مجيباً لها:

يا صيحةً تُحمد مِن صوائحِ
ما أهون النوح عَلى النوائحِ

الشامي مع فاطمة بنت الحسين عليها السلام

رجل أزرق أحمر مِن أهل الشام يطلب فاطمة بنت الحسين عليها السلام جاريةً له[2]:

فقام رجل مِن أهل الشام أحمر أزرق، ونظر إلى وصيفة مِن بنات أهل البيت عليهم السلام، فقال ليزيد: يا أمير المؤمنين، هبْ لي هذه!.

فقالت زينب عليها السلام: لا والله، ولا كرامة لك ولا له، إلا أن يخرج مِن دين الله. فأعادها الأزرق، فقال له يزيد: كفَّ.

---

(١) الفَنَد: الكذب وضعف الرأي.

(٢) تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني، ص ٣٥٣

زينب عليها السلام تشكك بإسلام يـزيد[1]

وذكر هشام بن محمّد: أنه لما دخلت النساء عَلى يـزيد، نظر رجل مِن أهل الشام أحمر، إلى فاطمة بنت الحسين عليه السلام وكانت وضيئة [أي جميلة].

فقال ليزيد: يا أمير المؤمنين، هبْ لي هذه الجارية، فإنهن لنا حلال.

قالت فاطمة: فارتعدتُ وظننت أن ذلِكَ جائز عندهم، فأخذت بثياب عمتي زينب، وقلت: ياعمتاه، أُوتمتُ وأُستخدم؟!.

وكانت عمتي تعلم أن ذلِكَ لايكون.

فقالت عمتي: لا حباً ولا كرامة لهذا الفاسق.

وقالت للشامي: كذبت واللهِ ولؤمت، واللهِ ما ذاك لك ولا له.

فغضب يـزيد وقال: كذبتِ، إن ذلِكَ لي، ولو شئتُ أن أفعل لفعلت.
قالت زينب عليها السلام: كلا، ماجعل اللّهُ لك ذلِكَ إلا أن تـخرج عن ملتنا وتدين بغيرها.

وفي (تذكرة الخواص) لسبط ابن الجوزي، ص ٢٧٥ ط٢ نجف:

صَلِّ إلى غير قبلتنا، ودِنْ بغير ملّتنا، وافعل ما شئت.

فاستطار يـزيد غضباً، وقال: إياي تستقبلين بهذا؟. إنما خرج مِن الدين أبوك وأخوك.

قالت زينب عليها السلام: بدين الله ودين أبي ودين جدي اهتديت أنت

---

(١) لواعج الأشجان للسـيد الأمين، ص ٢٠٣

وجدك وأبوك إن كنت مسلماً!.

قال: كذبت يا عدوة الله. قالت: أنت أمير تشتم ظالماً، وتقهر بسلطانك!.

قال: فوالله لكأنه استحيا فسكت.

ثم عاد الشامي فقال: يا أمير المؤمنين هب لي هذه الجارية.

فقال له يزيد: أُعزب، وهبَ اللّهُ لك حتفاً قاضياً.

وفي (مقتل الخوارزمي) ج٢ ص ٦٢:

ويلك لا تقل ذلِكَ، فهذه بنت علي وفاطمة، وهم أهل بيت لم يزالوا مبغضين لنا منذ كانوا.

الشامي يعاتب يزيد[١]

وفي بعض الكتب: قالت أم كلثوم للشامي الَّذي طلبها جارية له: اسكتْ يا لكع الرجال. قطع اللّهُ لسانك، وأعمى عينيك، وأيبس يديك، وجعل النار مثواك. إن أولاد الأنبياء لايكونون خَدَمة لأولاد الأدعياء.

وفي رواية السيد ابن طاووس، فقال الشامي: مَن هذه الجارية؟.

فقال يزيد: هذه فاطمة بنت الحسين، وتلك زينب بنت علي بن أبي طالب.

فقال الشامي: الحسين بن فاطمة وعلي بن أبي طالب؟.

قال: نعم.

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٥ ص ١٣٧ ط٣

فقال الشامي: لعنك اللّهُ يا يزيد، تقتل عترة نبيك وتسبي ذريته!.

واللهِ ما توهمت إلا أنهم (مِن) سبي الروم.

فقال يزيد: والله لألحقنك بهم. ثم أمر به فضربت عنقه.

صلب الرأس المقدس[1]

ثم أخرج الرأس مِن المجلس، وصُلب عَلى باب القصر ثلاثة أيام[2].

وأمر يزيد بالرؤوس أن تصلب عَلى أبواب البلد والجامع الأموي، فقعلوا بها ذلِكَ[3].

صلب رأس الحسين عليه السلام عَلى منارة جامع دمشق[4]

في (كامل البهائي): أمر يزيد برأس الحسين عليه السلام وسائر الرؤوس مِن أهل بيته وأصحابه أن تصلب علىأبواب البلد. وأفجع الفجائع هو أنه أمر بأن يصلب رأس الحسين عليه السلام عَلى منارة جامع دمشق أربعين يوماً، وسائر الرؤوس عَلى أبواب المساجد وأبواب البلد، ويوماً عَلى باب دار يزيد.

وقبل أن يصلب رأس الحسين عليه السلام بيّته يزيد في قصره أول ليلة. وكانت زوجته هند تحبّ أهل البيت عليهم السلام، فحين استيقظت ليلاً رأت

(١) مقتل الحسين للمقرّم، ص ٤٥٨

(٢) الخطط المقريزية، ج٢ ص ٢٨٩؛ والإتحاف بحب الأشراف، ص ٢٣؛ ومقتل الخوارزمي، ج٢ ص ٧٥؛ والبداية لابن كثير، ج٨ ص ٢٠٤؛ وسير أعلام النبلاء للذهبي، ج٣ ص ٢١٦.

(٣) نفس المهموم للشيخ عباس القمي، ص ٢٤٧.

(٤) معالي السبطين للمازندراني، ج٢ ص ١٠٧

الأنوار تتصاعد مِن غرفة في القصر إلى عنان السماء، فلما اقتربت مِن النافذة رأت النور ينبعث مِن الرأس الشريف، فأيقظت يزيد، وتوعّدته بالفراق، إن هو لم يخرج الرأس مِن القصر. فأخرجه وصلبه على باب المسجد ثلاثة أيام.

خالد بن معدان يختفي في الشام(١)

عن العاصمي... سمعت أبا الحسن علي بن محمّد الأديب يذكر بإسناد له، أن رأس الحسين بن علي عليه السلام لما صلب بالشام، اخفى خالد بن معدان (وهو مِن أفضل التابعين) شخصَه مِن أصحابه.

فطلبوه شهراً فوجدوه، فسألوه عن عزلته، فقال لهم: أما ترون ما نزل بنا؟.

ثم أنشدهم:

جاؤوا برأسك يابن بنت محمّد
متزمّلاً بدمائه تزميلا
قتلوك عطشاناً ولم يترقّبوا
في قتلك التنزيل والتأويلا
وكأنما بك يابن بنت محمّد
قتلوا جهاراً عامدين رسولا
ويكبّرون بأن قُتلت وإنما
قتلوا بك التكبير والتهليلا

---

(١) مقتل الخوارزمي ج٢ ص ١٢٥ ط نجف

حبس السبايا في الخربة

أما السبايا فقد أمر بهم يزيد أن يوضعوا في خِربة قريبة مِن قصره، فوضعوهم في مسجد مهدم يكاد يسقط، مبني على السور الآرامي مِن الداخل، وهو اليوم مسجد ومرقد السيدة رُقيّة بنت الحسين عليه السلام.

يقول الفاضل الدربندي[1] هناك روايات كثيرة في هذا الشأن:

في (بصائر الدرجات) للصفار عن أحمد بن محمّد، عن الأهوازي والبرقي مرفوعاً، قال: سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول: لما أتي بعلي بن الحسين عليه السلام ومَن معه إلى يزيد بن معاوية، جعلوهم في بيت.

فقال بعضهم: إنما جُعلنا في هذا البيت ليقع علينا فيقتلنا، فتراطن الحرس [أي تكلموا بلغة الرطانة] فقالوا: انظروا إلى هؤلاء يخافون أن يقع عليهم البيت، وإنما يُخرجون غداً فيقتلون!.

قال علي بن الحسين عليه السلام: لم يكن فينا أحد يحسن الرطانة غيري. والرطانة عند أهل المدينة هي اللغة الرومية.

---

(١) أسرار الشهادة للدربندي، ص ٥٠٨

ومن جملة ذلِكَ ما رواه الصدوق في (الأمالي) عن ماجيلويه عن عمه عن نصر بن مزاحم عن لوط بن يحيى [أبومِخنف] عن الحرث بن كعب، عن فاطمة بنت علي عليه السلام قالت: ثم إن يزيد أمر بنساء الحسين عليه السلام فحبسن مع علي بن الحسين عليه السلام في محبس لا يكنّهم مِن حرّ ولا قَرّ، حتى تقشّرت وجوههم. ولم يرفع ببيت المقدس حجر عن وجه الأرض إلا وجد تحته دم عبيط (أي جديد).

وكانت مدة إقامة السبايا في هذا المكان أسبوعاً أو أكثر.

مدة إقامة السبايا في الخربة

يقول السيد عبد الحسين الكليدار آل طعمة في (بغية النبلاء في تاريخ كربلاء) ص ١٥:

لم نقف عَلى مدة إقامة السبايا في الشام، إلا أنه قد ورد أنهم أقاموا شهراً في موضع لا يكنّهم مِن حرّ ولا برد[1].

ويقول الفاضل الدربندي في (أسرار الشهادة) ص ٥٠٨:

إن سياق الروايات يعطي كثرة المدة وامتدادها. فإن فرضناها أقل مِن شهر، فلا يجوز أن نفرضها أقل مِن عشرين أو خمسة عشر يوماً.

علاقة زينب عليها السلام بمسجد الأقصاب

أثناء إقامة السبايا مع الإمام زين العابدين عليه السلام في الخربة، والتي يرى بعضهم أنها أسبوع والبعض شهر، كان يسمح لزينب أن تخرج مع

(١) البحار، ج٢١ ص٢٠٣

الإمام السجاد عليه السلام من هذا الموضع وتتجول في دمشق وغوطتها، وذلك للترفيه عن الإمام المريض وإعطائه فرصة للنقاهة. ويصدق ذلك لقاء الإمام السجاد عليه السلام مع مكحول ومع المنهال بن عمرو في أحد شوارع دمشق.

وأثناء تتبعي للأمكنة الجغرافية وجدت ثلاثة معطيات إذا أمكن الربط فيما بينها وصلنا إلى حقيقة هامة. والمعطيات هي:

١. **خربة الشام**: أقام السبايا في هذه الخربة داخل السور عند باب الفراديس، وهي بناء أو مسجد قديم يكاد ينهدم، وضع يزيد فيه السبايا بعد أن أحضرهم إلى مجلسه أول مرة. ولا نرى أنهم أقاموا في هذا المكان أقل من شهر كما تقول بعض الروايات.

٢. **مسجد الأقصاب**: ويقع قريباً من المكان السابق إلى جهة الشرق في شارع الملك فيصل حالياً. والمسجد مجاور للسور من الخارج، وفيه قبر كبير ذو شأن، مكتوب على جداره من الخارج أسماء حجر ن عدي وأصحابه الستة وهم: صيفي بن فسيل الشيباني، وقبيصة بن ضبيعة العبسي، وكدام بن حيان العنزي، ومحرز بن شهاب السعدي، وشريك بن شداد الحضرمي، وهمام بن حجر.

وقد ذكرنا في كتابنا (الشهيد حجر بن عدي الكندي) أن الشهداء السبعة قتلهم معاوية في مرج عذراء شرق دمشق، حيث دفنت رؤوسهم هناك.

أما أجسادهم فقد سيقت إلى دمشق حيث سحلت في شوارع دمشق، حتى تعرت ن اللحم ولم يبق منها إلا القصبات، فدفنت في مسجد الأقصاب.

فوجود القبر في هذا المسجد والأسماء المثبتة، وتسمية المسجد باسم (الأقصاب) يدل حتماً على أن المدفون في ذلك القبر الكبير هو قصبات الشهداء السبعة بعد سلحهم.

هذا ويدعى هذا المسجد أيضاً (مسجد السادات) تمشياً مع عرف أهل الشام، فهم يطلقون على كل صحابي كحجر بن عدي اسم السادات. كما يدعى هذا المسجد أيضاً (مسجد السادات الزينبية) مما يبين وجود صلة بينه وبين زينب العقيلة عليها السلام.

٣. **منطقة الزينبية**: وهي المنطقة الواقعة إلى غرب الشارع الذي يصل ساحة بلال بساحة العباسيين، وتمتد غقراً إلى ساحة التحرير.

النتيجة:

يمكن الربط بين المواقع الثلاثة السابقة بأن نقول:

إن زينب عليها السلام التي كانت بطلة كربلاء، والتي تقاسمت مع أخيها الحسين عليه السلام أعباء نهضته المباركة، كانت حتماً على اطلاع تام بكل ما يجري من أحداث هامة في العالم الإسلامي في ذلك الوقت، ومن أشهرها قتل معاوية لحجر ابن عدي وأصحابه في مرج عذراء، بعد أن أعطاهم معاوية الأمان ثم غدر بهم.

وكان ذنبهم الوحيد أنهم رفضوا سب الإمام علي عليه السلام والبراءة منه. حدث ذلك قبل موقعة كربلاء بعشر سنين، فكان أول ثورة ضد الظلم وعلى طريق الولاء، مبشراً بنهضة كربلاء.

فلا يبعد عندما علمت زينب عليها السلام بمسجد الأقصاب القريب جداً من الخربة أن تكون كل يوم تأخذ زين العابدين عليه السلام وتذهب إلى هذا المسجد، لزيارة الشهداء والصلاة فيه. ومن هنا نعلل لماذا سمي هذا

المسجد (مسجد الأقصاب الزينبية).

ومن جهة أخرى فكانت زينب عليها السلام تأخذ السبايا والأطفال وتذهب بهم مع زين العابدين عليه السلام إلى البقاع الخضراء شمال وشرق باب الفراديس، فسمي ذلك الطريق باسم (شارع الزينبية).

هذا وقد ذكر لي المهندس السيد محمد رضا مرتضى أحد متوليي مقام السيد زينب عليها السلام أنه كانت هناك نبعة ماء قرب ساحة العباسيين على طريق شارع حلب، قبل كازية (ديوانه) ببنايتين، وقد شربت زينب من تلك النبعة.

خبر الطفلة رُقيّة بنت الحسين عليه السلام

كان للإمام الحسين عليه السلام بنتان مِن زوجته أم إسحق بنت طلحة بن عبيد الله؛ هما فاطمة الكبيرة، ورقية الصغيرة. وكانتا مع السبايا، وكان عمْر رقية نحو ٤ سنوات.

وقد اشتهرت السيدة رُقيّة برؤياها التي رأتها أثناء مبيت السبايا في الخربة عند باب الفراديس بدمشق، وبطريقة وفاتها المأساوية، التي تتقطّع لها الأكباد.

كانت رقية أصغر بنت مع السبايا، ومن عادة البنت أنها تحبّ أباها، ولا تستطيع أن تفارقه ساعة. وكانت رقية كلما طلبت أباها قالوا لها: إن أباك مسافر وسيرجع.

رؤيا رقية عليها السلام ووفاتها

وفي ليلة مِن الليالي كانت رقية تنام في الخربة حين رأت مناماً مزعجاً، فانتبهت تصيح وتقول: اِئتوني بوالدي وقرة عيني، فإني رأيته الساعةَ في المنام بصورة محزنة. وكلما حاولوا إسكاتها ازدادت حزناً وعويلاً. فعظم ذلِكَ على أهل البيت عليهم السلام، فضجوا بالبكاء وجدّدوا الأحزان، ولطموا الخدود، وقام الصياح.

فانتبه يزيد مِن نومه، وقال: ما الخبر؟. قالوا: إن بنتاً صغيرة للحسين رأت أباها بنومها، فانتبهت وهي تطلبه وتبكي وتصيح.

فلما سمع يزيد ذلِكَ قال: خذوا رأس أبيها، وحطّوه بين يديها، لتنظر إليه وتتسلى به!. فجاؤوا بالرأس الشريف إليها على طبق مغطى بمنديل ديبقي، ووضعوه بين يديها. فقالت: ما هذا؟. إني طلبت أبي ولم أطلب الطعام!. فقالوا: إن هناك أباك. فرفعت المنديل ورأت رأساً، فقالت: ما هذا الرأس؟. قالوا لها: إنه رأس أبيك. فرفعته مِن الطشت وضمّته إلى صدرها، وظلّت تبكي وتندب يُتمها. ثمّ وضعت فمها على فمه الشريف، وبكت بكاء شديداً، حتى غشي عليها، فلما حركوها وجدوها قد فارقت الحياة.

فلما رأى أهل البيت عليهم السلام ماجرى، ارتفعت أصواتهم بالبكا، وتجدد الحزن والعزا، ومَن سمع مِن أهل الشام بكاءهم بكى. فلم يُرَ في ذلِكَ اليوم إلا باكٍ وباكية.

ثمّ إنهم دفنوا جثمانها المقدس بعد تغسيلها وتكفينها، في نفس المكان، الّذي صار فيما بعد مسجداً ومشهداً ومزاراً لبَضعة الحسين عليه السلام، يؤمّه المؤمنون مِن كل مكان.

ومن هوان الدنيا أن تُلقى مجموعة سبايا أهل البيت عليهم السلام في دار مهملة بين السورين العموري والآرامي، أَطلق عليها المؤرخون اسم (الخَرِبة)، حيث كان فيها مسجد خرب يكاد أن يسقط، فوضعهم يزيد هناك في غرفة نصف سقفها قد انهدم ونصفه يكاد ينهار، لا تحمي مِن حرّ ولا مِن قرّ، حتى تقشّرت جلودهم ووجوههم مِن برد الليل وحرّ النهار. وكأنهم أثناء إقامتهم في هذه البقعة كاللؤلؤة بين الصدفين.

وكان في جملة السبايا الإمام العليل زين العابدين عليه السلام وعمته زينب العقيلة عليها السلام وأخته الصغرى رقية، التي رأت فيه رؤيا كانت سبب وفاتها، فدفنت هناك. ولما توفيت رقية عليها السلام ودفنت هناك، أصبح مرقدها نوراً بين بابين، وباباً بين سورين:

إنــــه بــــاب حِــطــــَّــةٍ

فــادخــلــوا الــبــاب سُــجَّــدا

ثمّ قيّض اللّهُ طائفة مِن المؤمنين عملوا على توسعة المقام، حتى صار على أحسن ما يرام، يؤمّه الناس مِن كل مكان على مدى الليالي والأيام.

مجالس الشراب

وكان يزيد بين الفينة والفينة، يحضر السبايا إلى مجلسه ليتشفّى منهم، ويشفي بقايا حقده وبغضه وكرهه لأهل بيت النّبيﷺ. وفي هذه المجالس حدثت أحداث هامة؛ مثل حضور رأس الجالوت (وهو سيد اليهود)، وحضور جاثليق النصارى، وحضور رسول ملك الروم. وكان لا يتورع عن شرب الفقاع واللعب بالشطرنج أمام رأس الحسينعليه السلام نشوةً بالنصر[1].

يزيد يشرب الفُقّاع عَلى رأس الحسين عليه السلام

عن (أمالي الصدوق) قال الإمام الرضاعليه السلام: أول مَن اتُّخِذ له الفُقّاع [وهي البيرة] في الإسلام بالشام، يزيد بن معاوية. فأُحضر وهو عَلى المائدة، وقد نصبها عَلى رأس الحسينعليه السلام، فجعل يشربه ويسقي أصحابه، ويقول: اشربوا فهذا شراب مبارك، ومِن بركته أنّا أول ما تناولناه ورأس الحسين عدونا بين أيدينا، ومائدتنا منصوبة عليه. ونحن نأكل ونفوسنا ساكنة وقلوبنا مطمئنة.

(١) للاطلاع على تفاصيل أكثر، راجع كتابنا (موسوعة كربلاء) الجزء ٢ ص ٦٣٦.

يزيد يلعب الشطرنج عَلى رأس الحسين عليه السلام استبشاراً بنصره[1]

وفي (أمالي الصدوق) عن الفضل بن شاذان، قال: سمعت الإمام الرضا عليه السلام يقول: لما حمل رأس الحسين عليه السلام إلى الشام، أمر يزيد فوضع، ونصبت عليه مائدة. فأقبل هو وأصحابه يأكلون ويشربون الفُقّاع. فلما فرغوا أمر بالرأس فوضع في طشت تحت سريره، وبسط عليه رقعة الشطرنج، وجلس يزيد يلعب بالشطرنج، ويذكر الحسين وأباه وجده صلى الله عليه وآله ويستهزئ بذكرهم، فمتى قمّر صاحبَه [أي غلبه بالقمار] تناول الفقاع فشربه ثلاث مرات، ثم صبّ فضلته مما يلي الطشت مِن الأرض.

ثم يقول الإمام الرضا عليه السلام: فمن كان مِن شيعتنا فليتورع من شرب الفقّاع واللعب بالشطرنج. ومن نظر إلى الفقاع أو إلى الشطرنج فليذكر الحسين عليه السلام، وليلعن يزيد وآل يزيد، يمحُ اللّهُ عزّ وجلّ بذلك ذنوبه ولو كانت كعدد النجوم.

---

(١) معالي السبطين للمازندراني، ج٢ ص ٩٢

اليهود والنصارى يستنكرون أعمال يزيد

سؤال رأس الجالوت ليزيد عن صاحب الرأس؟[1]

ودخل عَلى يزيد رأس اليهود (واسمه رأس الجالوت) فرأى الرأس بين يديه، فقال: ما هذا الرأس؟.

فقال: رأس خارجي. قال: ومَن هو؟. قال: الحسين. قال: ابن مَن؟.

قال: ابن علي.

قال: ومَن أمه؟.

قال: فاطمة.

قال: ومَن فاطمة؟.

قال: بنت محمّد!.

قال: نبيكم؟.

قال: نعم.

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٥ ص ١٨٧ ط٣

قال: لا جزاكم اللّهُ خيراً. بالأمس كان نبيكم، واليوم قتلتم ابن بنته؟!.

ويحك إن بيني وبين داود النبي نيّفاً وثلاثين أباً، فإذا رأتني اليهود كفّرت إليّ [أي عظّمتني بالخضوع والانحناء إلي].

ثم مال إلى الطست وقبّل الرأس، وقال: أشهد ألا إله إلا اللّهُ، وأن جدك محمداً رسول الله، وخرج. فأمر يزيد بقتله.

قصة جاثليق النصارى[1]

بعد أن يذكر أبومخنف قصة رأس الجالوت، وأن يزيد أمر بقتله، يقول: فبينما هو كذلك، إذ دخل عليه جاثليق النصارى، وكان شيخاً كبيراً. فنظر إلى رأس الحسين عليه السلام وقال: ما هذا أيها الخليفة؟.

فقال: هذا رأس الحسين بن علي بن أبي طالب، وأمه فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قال: فبما استوجب القتل؟.

قال: لأن أهل العراق دعَوه ليجلس عَلى الخلافة، فقتله عاملي عُبيد الله بن زياد، وبعث إليّ برأسه.

فقال له جاثليق: اِعلم أني كنت الساعة في البِيعة [وهي معبد النصارى]، وإذا قد سمعت رجفة شديدة، فنظرت وإذا بغلام شاب كأن الشمس في وجهه، وقد نزل مِن السماء ومعه رجال، فقلت لبعضهم: مَن هذا؟. فقال لي: هذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والملائكة مِن حوله يعزّونه عَلى ولده

(١) أسرار الشهادة للدربندي، ص ٥١١

الحسين عليه السلام.

ثم قال ليزيد: ارفع الرأس مِن بين يديك ياويلك، وإلا أهلكك اللّهُ.

فقال له يزيد: جئتنا بأحلامك الكاذبة!. يا غلمان أخرجوه، فجعلوا يسحبونه. ثم أمر بضربه فأوجعوه ضرباً.

فنادى: يا أبا عبد الله، اِشهد لي عند جدك، فأنا أشهد أن لا إله إلا اللّهُ، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. فغضب يزيد، فقال: اسلبوه روحه.

فقال: يا يزيد إن شئت تضرب، وإن شئت لم تضرب، فهذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واقف بإزائي وبيده قميص مِن نور وتاج مِن نور، وهو يقول لي: ليس بيني وبين أن أتوّجك بهذا التاج، وألبسك هذا القميص، إلا أن تخرج مِن الدنيا، ثم أنت رفيقي في الجنة. ثم قضى نحبه.

خبر رسول ملك الروم[1]

روي عن الإمام زين العابدين عليه السلام قال:

لما أتي برأس الحسين عليه السلام إلى يزيد، كان يتخذ مجالس الشراب، ويأتي برأس الحسين عليه السلام ويضعه بين يديه، ويشرب عليه.

فحضر ذات يَوم في مجلسه رسول ملك الروم، وكان مِن أشراف الروم وعظمائهم.

فقال: يا ملك العرب، هذا رأس مَن؟.

---

(١) اللهوف لابن طاووس، ص ٧٩، والمنتخب للطريحي، ص ٣٤٧ ط٢

قال له يزيد: مالك بذلك حاجة.

فقال: إني إذا رجعت إلى مَلِكنا يسألني عن كل شيء رأيته، فأحببت أن أخبره بقصة هذا الرأس وصاحبه، حتى يشاركك في الفرح والسرور.

فقال له يزيد: هذا رأس الحسين بن علي بن أبي طالب.

قال: ومَن أمه؟.

فقال: فاطمة الزهراء بنت محمّد المصطفى!.

فقال النصراني: أما تراني إذا حقّقت النظر إليه يقشعر جسمي، وأسمعه يقرأ آيات مِن كتابكم!. أُفٍّ لك ولدينك، ديني خير مِن دينك. اِعلم أن أبي مِن حوافد [جمع حفيد] داود عليه السلام وبيني وبينه آباء كثيرة، والنصارى يعظّمونني ويأخذون مِن تراب أقدامي، تبركاً فيّ؛ وأنتم تقتلون ابن بنت نبيكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وما بينكم وبينه إلا أم واحدة. فأي دين دينكم؟. فكأنكم لم تصدّقوا نبيّكم حتى فعلتم به هكذا.

حديث كنيسة الحافر

ثم قال ليزيد: هل سمعت حديث كنيسة الحافر؟

فقال له: قل حتى أسمع.

فقال: اِعلم أن بين عُمان والصين بحر مسيرة سنة، ليس فيه عمران إلا بلدة واحدة وسط الماء، طولها ثمانون فرسخاً في ثمانين فرسخاً، ما عَلى وجه الأرض بلدة أكبر منها، ومنها يحمل الكافور والياقوت، وأشجارهم العود والعنبر، وهي في أيدي النصارى، لا مُلك لأحد الملوك فيها سواهم. وفي تلك البلدة كنائس كثيرة، لكن أعظمها كنيسة

الحافر. في محرابها حُقةً مِن ذهب، معلّق بها حافر، يزعمون أنه حافر حمار كان يركبه عيسى عليه السلام. وقد زيّنوا حول الحقّة بالذهب والجواهر، والديباج والأبريسم، يقصدها في كل عام عالَم مِن النصارى، يطوفون حولها ويقبّلونها، ويرفعون حوائجهم إلى الله تَعالَى ببركتها؛ هذا شأنهم بحافر حمار يزعمون أنه حمار كان يركبه عيسى عليه السلام نبيهم، وأنتم تقتلون ابن بنت نبيّكم!. فلا بارك اللّهُ تَعالَى فيكم ولا في دينكم.

وفي (المفيد في ذكرى السبط الشهيد) للسيد عبد الحسين إبراهيم العاملي، ص١٥٧:

فاحتار يزيد في أمره، وماذا يردّ عَلى النصراني!.

فقال في جوابه جهلاً وعناداً: لولا أن بلغني عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه مَن قتل ذمياً كان خصمه يَوم القيامة، لقتلتك لأجل تعرّضك بهذا الكلام.

فقال النصراني: واعجباً لجهلك يا يزيد، أيكون رسول الله خصم مَن قتل ذمّياً، ولا يكون خصم مَن قتل أولاده وأحفاده؟!.

فاغتاظ يزيد وقال: اقتلوا هذا النصراني لكي لا يفضحنا في بلاده.

إسلام الرجل النصراني

فلما أحسّ النصراني بذلك، قال له: أتريد أن تقتلني؟.

قال: نعم، لابدّ مِن قتلك. فخرّ ساجداً إلى الأرض شكراً لله تَعالَى، وقال: اِعلم أني رأيت البارحة نبيكم في المنام، وهو يقول: يا نصراني، أنت مِن أهل الجنة. فعجبت مِن كلامه غاية العجب.

ووثب إلى رأس الحسين عليه السلام، وضمّه إلى صدره، وجعل يقبّله

ويبكي، ونادى: السلام عليك يا أبا عبد الله الحسين ورحمة الله وبركاته، اِشهدْ لي عند ربك وجدك وأبيك وأمك وأخيك، بأني: أشهد أن لا إله إلا اللّـهُ، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً رسول الله، وأن علياً وليّ الله.

فغاروا عليه بالسيوف وقطّعوه، رحمه اللّـهُ تَعالَى.

قصة المنهال بن عمرو[1]

روى السيد نعمة الله الجزائري في (الأنوار النعمانية) عن منهال بن عمرو الدمشقي، قال:

كنت أتمشّى في أسواق دمشق، وإذا أنا بعلي بن الحسين عليه السلام يمشي ويتوكأ عَلى عصا في يده، ورجلاه كأنهما قصبتان، والدم يجري مِن ساقيه، والصفرة قد غلبت عليه.

قال منهال: فخنقتني العبرة، فاعترضته وقلت له: كيف أصبحت يابن رسول الله؟.

قال: يا منهال وكيف يصبح مَن كان أسيراً ليزيد بن معاوية!.

يا منهال واللهِ منذ قُتل أبي، نساؤنا ما شبعت بطونُهنّ، ولا كسيت رؤوسهن، صائمات النهار ونائحات الليل. يا منهال أصبحنا مثل بني إسرائيل في آل فرعون، يُذَبّحون أبناءهم ويستحيون نساءهم، فالحاكم بيننا وبينهم اللّـهُ، يَوم فصل القضاء. يا منهال أصبحت العرب تفتخر عَلى العجم بأن محمداً منهم، وتفتخر قريش عَلى العرب بأن محمداً منها، وإنا عترة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم أصبحنا مقتولين مذبوحين، مأسورين مشرّدين،

(١) معالي السبطين للمازندراني، ج٢ ص ١٦٧

شاسعين عن الأمصار، كأننا أولاد تُرك وكابل. هذا صباحنا أهل البيت، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ثم قال عليه السلام: يامنهال، الحبس الَّذي نحن فيه ليس له سقف. يامنهال لقد تقشّرت وجوهنا مِن حرارة الشمس، والشمس تصهرنا، ولا نرى الهواء [أي لا نخرج إلى الهواء]، فأفرّ منه سويعة لضعف بدني، وأرجع إلى عماتي وأخواتي خشيةً عَلى النساء.

زين العابدين عليه السلام في مسجد دمشق

إحضار زين العابدين إلى المسجد الجامع يوم الجمعة

وجاء يوم الجمعة فأمر يزيد في صحن المسجد بمنبر وخطيب، وأحضر زين العابدين عليه السلام. وأمر الخاطب أن يذم الحسين وأباه عليهما السلام. فلما فعل صاح به علي بن الحسين عليه السلام: ويلك أيها الخاطب، اشتريت مرضاة المخلوق بسخط الخالق، فتبوّأ مقعدك مِن النار.

ثم قال الإمام زين العابدين عليه السلام ليزيد: أتأذن لي أن أرقى هذه الأعواد، فأتكلم بكلام، فيه لله تَعالَى رضى، ولهؤلاء الجالسين أجر وثواب؟. فأبى يزيد.

فقال خالد بن يزيد: ائذن له، فشفّع الناس فيه فلم يقبل شفاعتهم. فقال ابنه معاوية وهو صغير السن: يا أبتاه ما قدر أن يأتي به، ائذن له حتى يخطب.

فقال يزيد: أنتم مِن أمر هؤلاء في شك. إنهم ورثوا العلم والفصاحة،

وأخاف أن يحصل مِن خطبته فتنة علينا.

فقال الناس: يا أمير المؤمنين ائذن له ليصعد، فلعلنا نسمع منه شَيْئاً.

فقال لهم: إنْ صعد المنبر هذا لم ينزل إلا بفضيحتي وفضيحة آل أبي سفيان.

فقالوا: وما قدر مايحسن هذا؟.

فقال: إنه مِن أهل بيت ورثوا العلم والفصاحة، وزُقّوا العلم زَقّاً..

ولم يزالوا به حتى أذن له بالصعود.

والظاهر أن مكان هذه الخطبة هو تحت القبة الموجودة في صحن المسجد الجامع اليوم مِن جهة الشرق، وتسمى قبّة زين العابدين.

خطبة الإمام زين العابدين عليه السلام (في المسجد الجامع)

فصعد عليه السلام المنبر وخطب خطبة أبكى منها العيون، وأوجل منها القلوب، فقال فيها:

الحمد لله الَّذي لا بداية له، والدائم الَّذي لا نفاد له، والأول الَّذي لا أوّل لأوّليته، والآخر الَّذي لا آخر لآخريّته، والباقي بعد فناء الخلق. قدّر الليالي والأيام، وقسّم فيما بينهم الأقسام، فتبارك اللّهُ الملك العلاّم.

إلى أن قال:

أيها الناس، أُعطينا ستاً وفُضّلنا بسبع: أعطينا العلم والحلم والسماحة والفصاحة والشجاعة، والمحبة في قلوب المؤمنين. وفُضّلنا بأن منا النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم المختار، ومنا الصدّيق [يقصد علياً عليه السلام] ومنا الطيار، ومنا أسد الله وأسد رسوله [يقصد الحمزة]، ومنا سيدة نساء

العالَمين فاطمة البتول، ومنا سبطا هذه الأمة وسيدا شباب أهل الجنة؛ فمن عرفني فقد عرفني، ومَن لم يعرفني أنبأته بحسبي ونسبي:

أيها الناس، أنا ابن مكة ومِنى، أنا ابن زمزم والصفا، أنا ابن مَن حمل الزكاة (الركن) بأطراف الردا، أنا ابن خير مَن ائتزر وارتدى، أنا ابن خير مَن انتعل واحتفى، أنا ابن خير مَن طاف وسعى، أنا ابن خير مَن حجّ ولبّى، أنا ابن مَن حُمل عَلى البُراق في الهوا، أنا ابن مَن أُسري به مِن المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، أنا ابن مَن بلغ به جبرائيل إلى سدرة المنتهى، أنا ابن مَن دنى فتدلّى فكان (مِن ربه) قاب قوسين أو أدنى، أنا ابن مَن صلّى بملائكة السماء مثنى مثنى، أنا ابن مَن أوحى إليه الجليل ما أوحى، أنا ابن محمّد المصطفى، أنا ابن علي المرتضى، أنا ابن مَن ضرب خراطيم الخلق حتى قالوا: لا إله إلا الله. أنا ابن مَن ضرب بين يدي رسول الله بسيفين، وطعن برمحين، وهاجر الهجرتين، وبايع البيعتين، وصلّى القبلتين، وقاتل ببدر وحنين، ولم يكفر بالله طرفة عين. أنا ابن صالح المؤمنين، ووارث النبيين، وقامع الملحدين، ويعسوب المُسْلِمين، ونور المجاهدين، وزين العابدين، وتاج البكّائين، وأصبر الصابرين، وأفضل القائمين، مِن آل طه ويس، رسول رب العالَمينَ. أنا ابن المؤيد بجبرائيل، المنصور بميكائيل. أنا ابن المحامي عن حرم المُسْلِمين، وقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين، والمجاهد أعداءه الناصبين، وأفخر مَن مشى مِن قريش أجمعين، وأول مَن أجاب واستجاب لله ولرسوله مِن المؤمنين، وأول السابقين، وقاصم المعتدين، ومبير المشركين، وسهم مِن مرامي الله عَلى المنافقين، ولسان حكمة العابدين. وناصر دين الله، وولي أمر الله، وبستان حكمة الله، وعَيبة علم الله. سَمحٌ

سخيّ بهي، بهلول[1] زكي أبطحي، رضي مرضي. مقدام هُمام، صابر صوّام، مهذّب قوّام، شجاع قمقام. قاطع الأصلاب، ومفرّق الأحزاب. أربطهم جَنانا[2]، وأطلقهم عِنانا، وأجرأهم لساناً. وأمضاهم عزيمة، وأشدّهم شكيمة[3]. أسد باسل، وغيث هاطل. يطحنهم في الحروب ـ إذا ازدلفت الأسنة، وقربت الأعنّة ـ طحنَ الرحى، ويذروهم فيها ذروَ الريح الهشيم. ليث الحجاز، وصاحب الإعجاز. وكبش العراق، الإمام بالنص والاستحقاق. مكي مدني، أبطحي تهامي، حنيفيّ عَقَبي، بدري أُحُدي، هجري مهاجري. مِن العرب سيدها، ومن الوغى ليثها. وارث المشعرين، وأبو السبطين، الحسن والحسين عليهما السلام مظهر العجائب، ومفرّق الكتائب، والشهاب الثاقب، والنور العاقب، أسد الله الغالب، مطلوب كل طالب، غالب كل غالب، ذاك جدي علي بن أبي طالب عليه السلام.

ثم قال عليه السلام: أنا ابن فاطمة الزهراء، أنا ابن سيدة النساء، أنا ابن الطهر البتول، أنا ابن بَضعة الرسول. أنا ابن خديجة الكبرى، أنا ابن المقتول ظلما، أنا ابن محزوز الرأس مِن القفا، أنا ابن العطشان حتى قضى، أنا ابن طريح كربلاء، أنا ابن مسلوب العمامة والرداء، أنا ابن مَن بكت عليه ملائكة السماء، أنا ابن مَن ناحت عليه الجن في الأرض والطير في الهواء، أنا ابن مَن رأسه عَلى السنان يُهدى، أنا ابن مَن حرمُه مِن العراق إلى الشام تُسبى.

---

(١) البُهلول مِن الرجال: الضحّاك.

(٢) ربط الجنان: كناية عن ملازمة الشريعة وترك المحارم.

(٣) شديد الشكيمة: شديد النفس، أبيّ.

فلم يزل يقول: أنا أنا، حتى ضجّ الناس بالبكاء والنحيب، وخشي يـزيد أن تكون فتنة. فأمر المؤذن أن يؤذّن، فقطع عليه الكلام.

فلما قال المؤذن: اللّـهُ أكبر اللّـهُ أكبر!.

قال علي بن الحسين عليه السلام: كبّرتَ كبيراً لايقاس، ولا يدرك بالحواس. لا شيء أكبر مِن الله. فلما قال المؤذن: أشهد أن لا إله إلا اللّـهُ!.

قال علي عليه السلام: شهد بها شعري وبشري، ولحمي ودمي، ومخي وعظمي.

فلما قال المؤذن: أشهد أن محمداً رسول الله!. التفت علي مِن فوق المنبر إلى يـزيد وقال: يا يـزيد، محمّد هذا جدي أم جدك؟

فإن زعمت أنه جدك فقد كذبت وكفرت، وإن قلت إنه جدي، فلمَ قتلت عترته؟.

ولِمَ قتلت أبي وسبيت نساءه؟. فلم يردَّ جواباً.

قال: ولما فرغ المؤذن مِن الأذان والإقامة، فتقدم يـزيد وصلى صلاة الظهر.

ولما علم أهل الشام حقيقة ما حصل، وأن المقتول هو الحسين بن علي عليه السلام وليس خارجياً، وأن السبايا هم أهل بيت النّبي صلى الله عليه وآله وسلم وليس مِن الترك أو الديلم؛ نقموا على يزيد ومقتوه، فبدأ يرفع مسؤولية قتل الحسين عن نفسه، ويقول: أنا لم آمر عبيد الله بن زياد بقتل الحسين، ولكنه هو قتله لعنه اللّـهُ.

مكحول يسأل زين العابدين عليه السلام كيف أمسيت؟[1]

فنزل علي بن الحسين عليه السلام مِن عَلى المنبر، فأخذ ناحية باب المسجد، فلقيه مكحول صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (وفي رواية: المنهال بن عمرو الضبابي) فقال له: كيف أمسيت يابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟. قال: أمسينا بينكم مثل بني إسرائيل في آل فرعون ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾

وفي (مناقب آل أبي طالب) لابن شهراشوب، ج٤ ص ١٦٨:

وأمست العرب تفتخر عَلى العجم بأن محمداً منها، وأمست قريش تفتخر عَلى العرب بأن محمداً منها، وأمسى آل محمّد مقهورين مخذولين. فإلى الله نشكو كثرة عدونا، وتفرّق ذات بيننا، وتظاهر الأعداء علينا.

الإفراج عن السبايا

ولكي يمتصّ نقمة الناس، ويزيح عن نفسه جريمة قتل الحسين عليه السلام أمر بنقل السبايا مِن الخربة، وأن يوضعوا في دار على حدة مع زين العابدين عليه السلام في قصره. فخرجن حتى دخلن دار يزيد، فاستقبلتْهن هند ونساء بني سفيان، يبكين معهن وينحن على الحسين عليه السلام؛ فأقاموا العزاء عليه سبعة أيام، وامتدّ ذلِكَ إلى بيوت الشام.

(١) بحار الأنوار، ج٤٥ ص ١٦٢ ط٣

يزيد يستشير أهل الشام ماذا يفعل بالسبايا؟[1]

ثم استشار يزيد أهل الشام فيما يصنع بالسبايا، فقال: يا أهل الشام ما ترون في هؤلاء؟. فقال رجل مِن أهل الشام: لا تتخذنّ مِن كلب سوءٍ جَرواً!.

فقال له النعمان بن بشير [الأنصاري]: يا أمير المؤمنين، اِصنع بهم ماكان يصنع بهم رسول الله صلى الله عليه وآله لو رآهم بهذه الحال.

وفي (مقتل الخوارزمي) ج٢ ص ٦٦: ثم استشار أهل الشام ماذا يصنع بهم؟. فقالوا له: لا تتخذ مِن كلب سوءٍ جَرواً!. فقال النعمان بن بشير: انظر ماكان يصنعه بهم رسول الله صلى الله عليه وآله فاصنعه.

فقالت فاطمة بنت الحسين عليه السلام: يا يزيد، بنات رسول الله صلى الله عليه وآله !.

قال: فبكى يزيد حتى كادت نفسه تفيض، وبكى أهل الشام حتى علت أصواتهم. ثم قال: خلّوا عنهم، واذهبوا بهم إلى الحمّام واغسلوهم، واضربوا عليهم القباب، ففعلوا. وأمال عليهم المطبخ وكساهم، وأخرج لهم الجوائز الكثيرة مِن الأموال والكسوة.

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة للدينوري، ج٢ ص ٨

نزول السبايا في دار جديدة

إعداد دار جديدة لإقامة السبايا

وفي (الإرشاد) للشيخ للمفيد: ثم أمر يزيد بالنسوة أن ينزلن في دار عَلى حدة، ومعهن علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، فأفرد لهم داراً تتصل بدار يزيد؛ فأقاموا أياماً.

دخول السبايا عَلى نساء يزيد في داره

قال: فخرجن حتى دخلن دار يزيد، فلم يبقَ مِن آل معاوية بن أبي سفيان امرأة إلا استقبلتهن، تبكي وتنوح عَلى الحسين عليه السلام. وأقاموا عليه المناحة ثلاثة أيام.

السبايا يطلبن النواحة عَلى الحسين عليه السلام سبعة أيام[1]

فقلن: نحب أن ننوح عَلى الحسين عليه السلام. قال: فأمر يزيد، فأفسحوا لهن داراً، وهيؤوا لهن كل شيء يحتاج إليه. (وفي رواية: ثم أُخلتْ لهن الحجر والبيوت في دمشق). وجعلن ينُحن عَلى الحسين عليه السلام، فلم يبقَ في دمشق قرشية إلا لبست السواد، وجعلن يبكين عَلى الحسين عليه السلام سبعة أيام.

(انتهت رواية أبي مخنف، ويوافق ذلِكَ ماورد في البحار) .

وفي مخطوطة (مصرع الحسين) ـ مكتبة الأسد، ص ٦٣:

قال السبايا: فنحبّ أن ننوح عَلى الحسين عليه السلام ونندبه.

قال أبومخنف: فأخلى لهم يزيد داراً تعرف بدار الأحزم... وأقاموا عليه النوح أسبوعاً.

إقامة المأتم عَلى الحسين عليه السلام سبعة أيام

وفي (القمقام): ثم أرسلت زينب عليها السلام إلى يزيد تسأله الإذن أن يقمن المآتم عَلى الحسين عليه السلام فأجاز ذلِكَ. وأنزلهن في دار الحجّارة؛ فأقمن المآتم هناك سبعة أيام، ويجتمع عندهن في كل يَوم جماعة كبيرة لا تحصى مِن النساء.

---

(١) أسرار الشهادة للدربندي، ص ٥٢٣

إنزال يزيد لزين العابدين عليه السلام في داره الخاصة[1]

ورد في (المناقب): ثم إن يزيد أنزلهم في داره الخاصة، فما كان يتغدّى ولا يتعشّى حتى يُحضر معه علي بن الحسين عليه السلام.

معاملة هند لسبايا أهل البيت عليهم السلام[2]

ونُقل عن رئيس شرطة يزيد، وهو حميد بن حريث، وهو أول شرطي تولى هذه الوظيفة بدمشق، أنه لما حضر رأس الحسين عليه السلام مع زين العابدين عليه السلام والسبايا مِن آل البيت الكرام إلى دمشق، بين يدي يزيد، قالت له زوجته هند، وكانت جارية لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: لقد أحدثت أمراً عظيماً في الإسلام، رُدَّهُم إلى المدينة المنورة، وأكرم منزلتهم وأحسن رعايتهم، وهي التي قامت بخدمتهم مدة إقامتهم بدمشق.

ونقل بعضهم أن قبر (هند) هذه، في محلة القيمرية مِن أحياء دمشق.

إقامة هند للسبلان في شوارع دمشق

أما هند بنت عبد الله بن كريز زوجة يزيد، فقد طلبت مِن السبايا أن يسردوا لها كيف استشهد الحسين عليه السلام ومَن معه في كربلاء، فلما علمت أنهم توفوا جميعاً عطاشى ظماء، أمرت بأن يُجعل في دمشق

(١) أسرار الشهادة للدربندي، ص ٥٢٤

(٢) منتخبات التواريخ لدمشق لمحمد أديب آل تقي الحصني، ج١ ص ٨٨

في رأس كل شارع وطريق سبيلاً لشرب الماء للمارة، وظلت هذه العادة متّبعة في دمشق إلى يومنا هذا، كرمز للخير والعطاء.

لماذا سمّى الحسين عليه السلام عدةً مِن أولاده باسم علي؟[1]

في كتاب (النسب) عن يحيى بن الحسن، قال يزيد لعلي بن الحسين عليه السلام: واعجباً لأبيك سمّى علياً وعلياً.!.. فقال عليه السلام: إن أبي أحبَّ أباه فسمّى باسمه مراراً.

مبارزة عمرو بن الحسن عليه السلام وخالد بن يزيد[2]

قال المجلسي في (البحار): ودعا يزيد يوماً بعلي بن الحسين عليه السلام ومعه عمرو بن الحسن عليه السلام وكان صغيراً، يقال إن عمره إحدى عشرة سنة. فقال له يزيد: أتصارع هذا، يعني ابنه خالد؟. فقال له عمرو: لا.

وفي (تاريخ الطبري) «قال: وما تصنع بمصارعتي إياه؟». ولكن أعطني سكيناً وأعطه سكيناً، ثم أقاتله!.

قال يزيد: شِنشِنة أعرفها مِن أخزم. وهل تلد الحية إلا حيـة!.

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٥ ص ١٧٥ ط٣

(٢) بحار الأنوار، ج٤٥ ص ١٤٣ ط٣

خبر السُّبحة[1]

قال العلامة المجلسي: روي أنه لما حُمل علي بن الحسين عليه السلام إلى يزيد، همّ بضرب عنقه. فأوقفه بين يديه، وهو يكلمه ليستنطقه بكلمة يوجب بها قتله، وعلي بن الحسين عليه السلام يجيبه حيثما (حسبما) يكلمه، وفي يده عليه السلام سُبحة صغيرة يديرها بأصابعه وهو يتكلم. فقال له يزيد: أنا أكلمك وأنت تجيبني وتدير أصابعك بسُبحة في يدك!. فكيف يجوز ذلِكَ؟.

فقال عليه السلام: حدّثني أبي عن جدي، أنه كان إذا صلى الغداة [أي صلاة الصبح] وانفتل، لايتكلم حتى يأخذ سُبحة بين يديه، فيقول: اللهم إني أصبحت أسبّحك وأحمدك وأهلّلك وأُكبّرك وأمجّدك، بعدد ما أدير به سُبحتي. ويأخذ السبحة في يده ويديرها، وهو يتكلم بما يريد مِن أن يتكلم بالتسبيح. وذكر أن ذلِكَ محتسب له، وهو حِرز له إلى أن يأوي إلى فراشه. فإذا أوى إلى فراشه قال مثل ذلِكَ القول، ووضع السُّبحة تحت رأسه، فهي محسوبة له مِن الوقت إلى الوقت. ففعلتُ هذا اقتداءً بجدّي.

فقال يزيد: مرة بعد أخرى، لست أكلّم أحداً منكم إلا ويجيبني بما يفوز به. وعفا عنه (ووصله، وأمر بإطلاقه).

مصلّى زين العابدين عليه السلام

وكان زين العابدين عليه السلام يصلي في القصر، فأصبح ذلِكَ المكان مباركاً، وهو مشهد زين العابدين عليه السلام. وأما المكان الَّذي بات فيه رأس الحسين عليه السلام فصار يعرف بمشهد رأس الحسين عليه السلام. وإذا أضفنا إلى

(1) بحار الأنوار، ج٤٥ ص ٢٠٠

هذين الموقعين مشهد الإمام علي عليه السلام، وهو أحد المشاهد الأربعة التابعة للمسجد، حصلنا على ثلاثة مساجد ومشاهد متجاورة، سنصفها للقارئ فيما يلي:

مشهد رأس الحسين عليه السلام

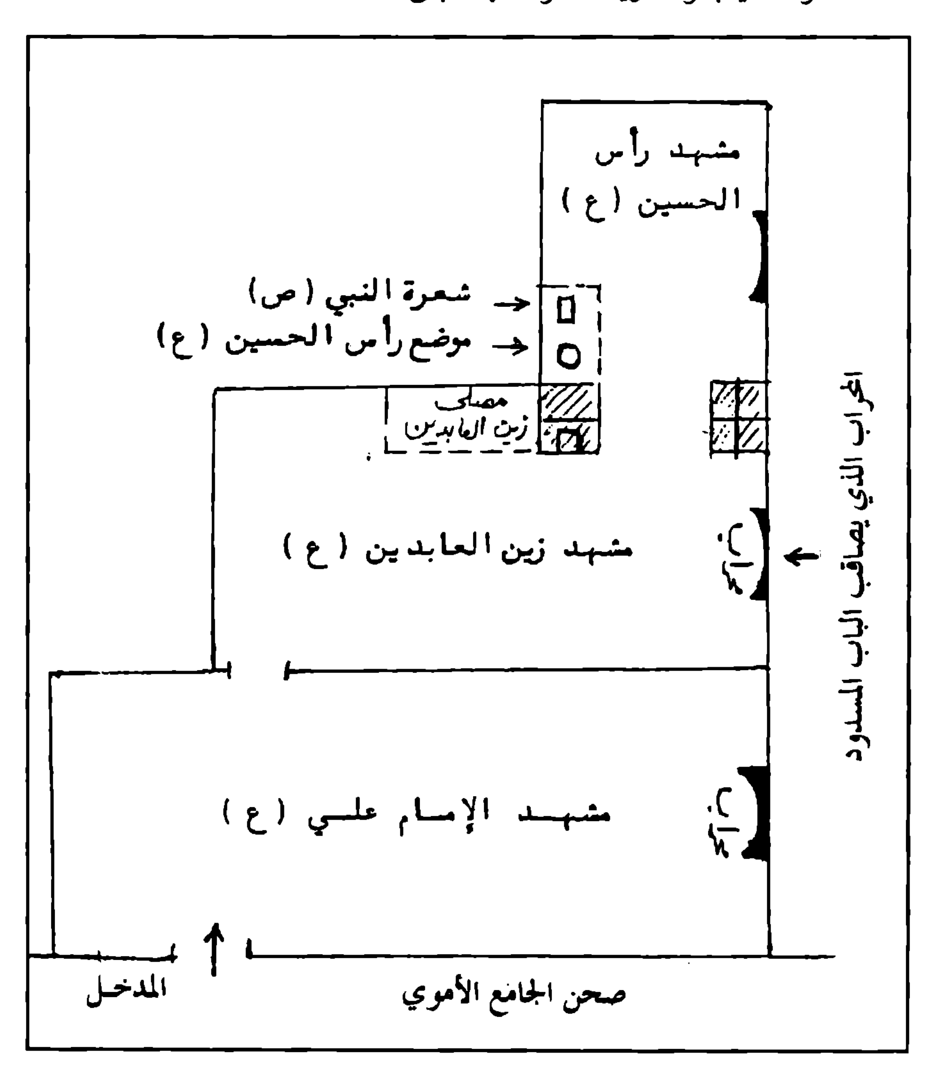
إذا دخلنا إلى المسجد الجامع مِن باب جيرون، إلى صحن المسجد، ثمّ انعطفنا إلى اليمين، نجد مشهد رأس الحسين عليه السلام. وفي هذا الموقع ثلاثة مشاهد كما هو مبين في (الشكل ٥) .

يدخل الزائر إلى المشهد الأول وهو عبارة عن غرفة طويلة وسقفها عال، وهي مشهد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وفي صدرها محراب لطيف، وفيها قفص حديدي معلق بالسقف عَلى شكل ثريا، رأيته ثمّ أزيل.

ثم ندخل إلى المشهد الثاني، وهو عبارة عن غرفة أصغر مِن الأولى وسقفها أوطأ، وهي مشهد الإمام زين العابدين عليه السلام، ولها محراب خاص يساقب مِن الخارج الباب المسدود. ويجد الزائر في الجدار الشرقي لهذه الغرفة المكان الَّذي كان يصلي فيه الإمام زين العابدين عليه السلام في الفترة الأخيرة مِن إقامته في دمشق، حين قرّبه يزيد ونقله مع السبايا مِن الخربة إلى قصره، خوفاً مِن نقمة الناس عليه، ليوهم الجمهور أنه يحب أهل البيت عليهم السلام وأنه بريء مِن قتل الحسين عليه السلام. وهو عبارة عن قفص زجاجي فيه محراب صغير، وعلى جداره لوحات قرآنية.

وبجوار هذا القفص في الحائط كوة عميقة عُطّرت بالمسك والعنبر وكسيت بالقاشاني، تؤدي إلى الموضع الَّذي تشرَّف بوضع الرأس المطهر

فيه، وذلك بناء عَلى الحقيقة المنقولة بأن رأس الحسين عليه السلام كان يتضوع عطراً في كل مكان وضع فيه. ويتسابق الزوار لإدخال رؤوسهم في هذه الكوة، ليقبّلوها ويتنسموا منها عبق الجنة.



(الشكل ٥): مخطط مشهد رأس الحسين عليه السلام وتوابعه

ثم ندخل إلى الغرفة الثالثة شبه المربعة، حيث يقع إلى يسار الداخل إليها القفص الخاص برأس الحسين عليه السلام، وتدعى مشهد رأس

الحسين عليه السلام. وقد وضع في القفص، وإلى اليسار كرة مجلّلة بثوب أخضر، للدلالة عَلى مكان وضع الرأس الشريف، وإلى اليمين صندوق مجلل يقال إن فيه شعرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد كسيت جدران هذه الغرفة المضيئة بلوحات مِن الرخام الأبيض، نقشت عليها أسماء الأئمة الاثني عشر عليهم السلام. ولهذه الغرفة محراب خاص، وضعت بجانبه لوحة لزيارة أهل البيت ورأس الحسين عليه السلام.

وقد كان هذا القفص إلى عهد قريب عادياً مِن الخشب، حتى أهدى إخواننا الشيعة الإسماعيليون البُهرة الذين مركزهم في الهند (بومباي) قفصاً فضياً مذهباً لهذا المقام الجليل، فزاد المكان رونقاً وبهاء، وروعة وسناء.

وكم يعجب المرء مِن قدرة الله تَعالَى، كيف أن هذا القصر الَّذي كان قصراً ليزيد، قد زال ذكر صاحبه منه وأصبح ملعوناً عَلى كل لسان، حتى مِن أهل الشام، بينما يصير مقراً ومشهداً لتعظيم الحسين عليه السلام، تذكره الأجيال وتزوره في كل عصر وزمان.

وفي تصوري أن الفاطميين قد اعتنوا بهذا المشهد اعتناء خاصاً، وذلك حين حكموا دمشق في القرن الرابع الهجري.

الفصل الرابع

مسيرة أهل البيت عليهم السلام
مِن دمشق إلى المدينة

رجوع السبايا إلى المدينة

وبعد مضي نحو شهر أو أكثر على إقامة السبايا في دمشق، خيّرهنّ يزيد بين الإقامة والسفر، فقررن السفر والرجوع إلى المدينة المنورة. فبعث معهم النعمان بن بشير الأنصاري ليوصلهم إلى هناك، وعرض عليهم بعض الهدايا فردّوها عليه.

ازدياد النقمة على يزيد

نتيجة الضغوط المختلفة عَلى يزيد، مِن داخل البيت الأموي وخارجه، ومن أعيان المُسْلِمين وغير المُسْلِمين، ونتيجة لمقت عامة المُسْلِمين له؛ اضطر إلى تغيير سياسته، فأظهر أمام الناس أنه يكرّم السبايا، فأنزلهم منزلاً حسناً بعد أن مكثوا وقتاً في الخربة، ثم أسبغ عليهم الجواهر والحلل، كي يوهم الناس أنه بريء مِن الجرائم الفاشيّة التي ارتكبها، ظناً منه أن ذلِكَ ينطلي عَلى المُسْلِمين، فتخفّ نقمتهم عليه، ويقلّ مقتُهم له.

ولما استشار يزيد حاشيته وأهل الشام ماذا يفعل بالسبايا؟

أشاروا عليه جميعاً بتسييرهم إلى بلدهم في المدينة المنورة؛ منهم مَن أشار عليه بذلك حباً وشفقة عَلى أهل البيت عليهم السلام، مثل النعمان بن بشير الأنصاري، ومنهم مَن أشار عليه بذلك تشفّياً وحَنقاً، مثل مروان بن الحكم.. فقرر يزيد ترحيلهم إلى المدينة، مظهراً المحبة والوداعة لهم، والإكرام والتفضل عليهم. حتى قالت سكينة عليها السلام: «ما رأيت كافراً بالله خيراً مِن يزيد!».

فهو كان يمارس شخصيتين متناقضتين: إحداهما حقيقية، تنفّذ خطة رهيبة شيطانية لمحو الدين وأهله؛ والأخرى ظاهرية، تجعل منه حَمَلاً وديعاً وقديساً طاهراً، بعد أن وصل إلى حلمه الكبير، وحصل عَلى أمله الوحيد، وهو قتل ممثل الإسلام، والتفرد بالسلطة والأحكام.

وسنرى في الإتجاه الأول، كيف أنه تابع تسيير الرأس الشريف إلى مصر، وفي قولٍ إلى المدينة أيضاً، ثم أرجعه إلى دمشق، مؤكداً بذلك حقيقته الممعنة في الضلال، بعد أن شكر عُبيد الله بن زياد وقرّبه إليه، عوضاً عن عزله ومحاكمته ومعاقبته عَلى ما اقترفت يداه. ولم يُتِمّ المرحلة الأولى مِن مخططه الخبيث، وهي قتل عترة الرسول صلى الله عليه وآله، حتى جهّز جيوشه لسبي المدينة المنورة واستحلالها، ثم هدمِ الكعبة وإحراقها عَلى مَن فيها.

يزيد يحاول التنصّل مما فعل[1]

يقول محمّد مهدي المازندراني: اختلف في كيفية حمل السبايا.

ففي (العقد الفريد): وحَمل أهل الشام بنات رسول الله صلى الله عليه وآله سبايا

(1) معالي السبطين للمازندراني، ج٢ ص ٧١

عَلى أحقاب الإبل. فلما أدخلت عَلى يزيد، قالت ابنة الحسين عليه السلام: يا يزيد، أبنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سبايا !؟.

قال: بل حرائر كرام. ادخلي عَلى بنات عمك تجديهنّ قد فعلن ما فعلتِ.

قالت فاطمة [الصغرى بنت الحسين]: فدخلت إليهن، فما وجدت فيهن سفيانية إلا متلدّمة تبكي [التدمت المرأة: ضربت صدرها ووجهها].

وفي (مقتل الحسين)للخوارزمي، ج٢ ص ٦٢ قال:

عن فاطمة بنت الحسين عليه السلام أنها قالت: لما أُدخلنا عَلى يزيد، ساءه ما رأى مِن سوء حالنا، وظهر ذلِكَ في وجهه. فقال: لعن اللّهُ ابن مرجانة [أي عُبيد الله بن زياد] وابن سميّة [أي أبوه زياد ابن أبيه]، لو كان بينه وبينكم قرابة ماصنع بكم هذا، وما بعث بكنّ هكذا.

أقول: قال يزيد ذلِكَ ليبيّن للناس أنه هو لايفعل مثل ذلِكَ، لأن بينه وبين الحسين عليه السلام قرابة، مِن عبد مناف. وكأنه بهذا ينفي قرابة عبيد الله وأبيه زياد مِن معاوية، حيث ادّعى معاوية أن (زياد ابن أبيه)أخوه.

الجريمة تلبس يزيد مهما حاول اختلاق المبررات والأعذار[1]

قال الإمام الغزالي:

وقد زعمت طائفة أن يزيد بن معاوية لم يرضَ بقتل الحسين عليه السلام وادّعوا أن قتله كان غلطاً.

قال: وكيف يكون هذا الحال، والحسين عليه السلام لا يحتمل الغلط،

---

(١) مقتل سيد الشهداء لعبد الكريم خان، ص ٢٤

لما جرى مِن قتاله، ومكاتبة يزيد إلى ابن زياد بسببه وحثّه عَلى قتله، ومنعه عن الماء وقتله عطشاناً، وحمل رأسه وأهله سبايا عرايا عَلى أقتاب الجمال، وقرع ثناياه بالقضيب، ومحاورته مع علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام لما دخل عَلى يزيد، حيث قال له: أنت ابن الّذي قتله اللّهُ، فقال عليه السلام: أنا علي ابن مَن قتلتَ أنت، ثم قرأ: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾[1].

ثم استفاض في لعن علي عليه السلام عَلى المنابر ألف شهر، وكان ذلِكَ بأمر معاوية. أتراهم أمرهم بذلك كتاب أو سُنّة أو إجماع؟!. انتهى كلام الغزالي.

الحاجات الثلاث

ثم قال يزيد لعلي بن الحسين عليه السلام: وعدتك بقضاء ثلاث حاجات، فاذكرها. فقال عليه السلام:

(الأولى): أن تريني وجه سيدي ومولاي الحسين عليه السلام، لأتزوّد منه وأودّعه.

(الثانية): أن تردّ علينا ما أخذ منا [في كربلاء].

(الثالثة): إن كنت عزمت عَلى قتلي، فوجّه مع هؤلاء النسوة مَن يردّهن إلى حرم جدهن صلى الله عليه وآله وسلم.

وفي (اللهوف)لابن طاووس: فقال يزيد: أما وجه أبيك فلن تراه أبداً. وأما قتلك فقد عفوت عنك، فما يوصلهم إلى المدينة غيرك. وأما ما أخذ

---

(١) «سورة النساء ٩٣»

منكم، فأنا أعوّضكم عنه.

فقال علي بن الحسين عليه السلام: أما مالُك فلا نريده وهو موفّر عليك، وإنما طلبت ما أُخذ منا لأن فيه مغزل فاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ومقنعتها وقلادتها وقميصها. فأمر يزيد بردّ ذلِكَ، وزاد فيه مِن عنده مائتي دينار، فأخذها زين العابدين عليه السلام وفرّقها عَلى الفقراء.

تسيير السبايا إلى المدينة

ثم ندب يزيد النعمان بن بشير، وقال له: تجهّز لتخرج هؤلاء النساء إلى المدينة.

وتقدم إليه أن يسير بهم في الليل، ويكون أمامه، حيث لا يفوتون طرفة عين. فإذا نزلوا تنحّى عنهم بالظرف، وتفرّق هو وأصحابه حولهم كهيئة الحرس لهم، وينزل منهم بحيث لو أراد إنسان مِن جماعتهم وضوءاً أو قضاء حاجة

لم يحتشم.

فسار معهم، فلم يزل يرفق بهم في الطريق، حتى وصلوا إلى المدينة.

رفض النعمان أخذ هدية مِن أهل البيت عليهم السلام

وكان النعمان يسأل عن حوائجهم ويتلطف بهم. فقالت فاطمة لأختها زينب بنت علي عليه السلام: لقد أحسن هذا الرجل إلينا، فهل لك أن تصِليه بشيء؟.

فقالت: واللهِ ما معنا ما نصله به إلا حُلِيُّنا، فأخرجت إسوارين ودملجين لهما، فبعثتا بها إليه، واعتذرتا. وقالتا: هذا بعض جزائك لحسن صحبتك إيانا. فردّ الجميع، وقال: ما فعلته إلا لله ولقرابتكم مِن رسول الله ﷺ.

مرور ركب السبايا على كربلاء يوم الأربعين

في (اللهوف) لابن طاووس قال: ولما رجع علي بن الحسين عليه السلام وعياله مِن الشام وبلغوا العراق، قالوا للدليل: مُرَّ بنا عَلى طريق كربلاء. فوصلوا إلى موضع المصرع، فوجدوا جابر بن عبد الله الأنصاري [وكان أعمى] وجماعة مِن بني هاشم ورجالاً مِن آل رسول الله ﷺ قد وردوا لزيارة قبر الحسين عليه السلام. فوافوا في وقت واحد، وتلاقوا بالبكاء والحزن واللطم، وأقاموا المآتم المقرّحة للأكباد، واجتمع إليهم نساء ذَلِكَ السواد؛ فأقاموا عَلى ذَلِكَ أياماً.

وتذكر الروايات أن ذَلِكَ اللقاء كان يوم الأربعين مِن استشهاد الحسين عليه السلام الذي يوافق العشرين مِن صفر.

وقد ذكر لي الباحث المحقق الشيخ محمّد أمين الأميني أنه إذا صحّ التقاء ركب السبايا مع الصحابي جابر بن عبد الله الأنصاري في ٢٠ صفر، فيكون ذَلِكَ يوم الأربعين مِن العام التالي لمقتل الحسين عليه السلام وليس في العام نفسه ٦١ هـ.

وبما أنه مِن الثابت أن جابر زار قبر الحسين عليه السلام يوم الأربعين الأول، فيمكن حلّ الإشكال بافتراض أن جابر زار قبر الحسين عليه السلام مرتين: في المرة الأولى كان لوحده، وهي في ٢٠ صفر سنة ٦١ هـ، والثانية اجتمع مع ركب السبايا وزين العابدين عليه السلام وذلك في ٢٠ صفر سنة ٦٢هـ.

علما بأن هناك روايتين لزيارة جابر؛ إحداهما لا تذكر أنه كان معه أحد، والثانية أنه كان معه عبده عطية العوفي، فرأى سواداً قد طلع مِن ناحية الشام. فقال جابر لعبده: انطلقْ إلى هذا السواد، وائتنا بخبره، فإن كانوا مِن أصحاب عمر بن سعد فارجع إلينا، لعلنا نلجأ إلى ملجأ، وإن كان زين العابدين عليه السلام فأنت حرّ لوجه الله تَعالَى[1].

فتكون الرواية الأولى عن زيارة جابر الأولى لقبر الحسين عليه السلام، والرواية الثانية عن زيارته الثانية.

وصول السبايا إلى المدينة

ثم انفصل [السبايا] مِن كربلاء طالبين المدينة.

قال بشير بن جذلم: فلما قربنا مِنها، نزل علي بن الحسين عليه السلام فحطّ رحله وضرب فسطاطه وأنزل نساءه.

وقال زين العابدين عليه السلام: يا بشير رحم اللّهُ أباك، لقد كان شاعراً، فهل تقدر عَلى شيء منه؟.

قال: بلى يابن رسول الله إني شاعر. فقال عليه السلام: اُدخل المدينة وانعَ أبا عبد الله عليه السلام.

بشير بن جذلم يدخل المدينة وينعى الحسين عليه السلام

قال بشير: فركبت فرسي وركضت، حتى دخلت المدينة. فلما بلغت مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم رفعت صوتي بالبكاء، وأنشأت أقول:

---

(١) الأيام الشامية مِن عمر النهضة الحسينية، ص ٣٦٩.

يا أهـل يثرب لا مُقام لكم بها
قُـتـل الـحـسـيـن فـأدمـعـي مـدرارُ
الجسم منه بـكـربـلاء مضرّج
والـــرأس منه عَـلـى الـقـنـاة يُـدار

(قال) ثم قلت: هذا علي بن الحسين عليه السلام مع عماته وأخواته، قد حلّوا بساحتكم ونزلوا بفنائكم، وأنا رسوله إليكم أعرّفكم مكانه.

قال: فما بقيت في المدينة مخدّرة ولا محجّبة إلا برزن مِن خدورهن، مكشوفة شعورهن، مخمشة وجوههن، ضاربات خدودهن، يدعون بالويل والثبور. فلم أرَ باكياً أكثر مِن ذلِكَ اليوم، ولا يوماً أمرّ عَلى المُسْلِمين منه.

زين العابدين في المدينة المنورة

وكان علي بن الحسين عليه السلام داخلاً (الفسطاط) فخرج، ومعه خرقة يمسح بها دموعه، وخلفه خادم معه كرسي، فوضعه له وجلس عليه، وهو لا يتمالك عن العبرة. وارتفعت أصوات الناس بالبكاء، وحنينُ النسوان والجواري، والناس يعزّونه مِن كل ناحية. فضجّت تلك البقعة ضجّة شديدة.

خطبة الإمام زين العابدين عليه السلام في أهل المدينة

فأومأ [الإمام زين العابدين عليه السلام] إلى الناس أن اسكتوا، فلما سكنت فورتهم قال عليه السلام:

الحمد لله ربِّ العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يَوم الدّين، بارئ الخلائق أجمعين، الَّذي بَعُد فارتفع في السموات العلى، وقَرُب فشهد النجوى. نحمده عَلى عظائم الأمور، وفجائع الدهور، وألم الفجائع، ومضاضة اللواذع[1]، وجليل الرّزء، وعظيم المصائب، الفاظعة الكاظّة، الفادحة الجائحة[2].

أيها القوم، إن الله تَعالَى ـ وله الحمد ـ ابتلانا بمصائب جليلة، وثَلمة في الإسلام عظيمة، قُتل أبو عبد الله الحسينعَلَيْهِالسَّلَامُ وعترتُه، وسُبيت نساؤه وصبيته، وداروا برأسه في البلدان، مِن فوق عامل السنان[3]. وهذه الرزيّة التي لا مثلها رزيّة.

أيها الناس، فأيُّ رجالات منكم يُسَرّون بعد قتله؟!. أم أي فؤاد لا يحزن مِن أجله؟. أم أية عين منكم تحبس دمعها، وتضنّ عن انهمالها؟. فلقد بكت السبع الشداد لقتله، وبكت البحار بأمواجها، والسموات بأركانها، والأرض بأرجائها، والأشجار بأغصانها، والحيتان في لجج البحار، والملائكة المقرّبون، وأهل السموات أجمعون.

أيها الناس، أي قلب لا ينصدع لقتله؟!. أم أي فؤاد لا يحنّ إليه؟. أم أي سمع يسمع بهذه الثلمة التي ثُلمت في الإسلام ولا يصمّ؟.

أيها الناس، أصبحنا مشردين مطرودين، مذُودين شاسعين عن الأمصار، كأنا أولاد تُرك وكابل، مِن غير جُرم اجترمناه، ولا مكروه ارتكبناه، ولا ثَلمة في الإسلام ثلمناها. ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين، إنْ هذا إلا اختلاق. واللهِ لو أن النبيصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ تقدّم إليهم في قتالنا كما

---

(١) اللواذع: المصائب المحرقة الموجعة.

(٢) الجائحة: الشدة التي تستأصل المال وغيره.

(٣) السِّنان: هو رأس الرمح، وعامل السنان: ما يلي السنان.

تقدّم إليهم في الوصاية بنا، لما زادوا عَلى ما فعلوا بنا. فإنا لله وإنا إليه راجعون، مِن مصيبة ما أعظمها وأوجعها وأفجعها وأكظّها وأفظّها وأمرّها وأفدحها، فعند الله نحتسب ما أصابنا، وما بلغ بنا، فإنه عزيز ذو انتقام.

حال زينب العقيلة عليها السلام

في (البحار): وأما فخر المخدرات زينب عليها السلام، فلما دخلت المدينة، ووقع طرفها عَلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله، صرخت وبكت وأخذت بعضادتي باب المسجد، ونادت: يا جداه، إني ناعية إليك أخي الحسين عليه السلام. وهي مع ذلِكَ لا تجفّ لها عبرة، ولا تفتر مِن البكاء والنحيب. وكلما نظرت إلى علي بن الحسين عليه السلام تجدد حزنُها وزاد وجدها.

حزن الإمام زين العابدين عليه السلام على أبيه الحسين عليه السلام

في (مقتل الخوارزمي):

قال الإمام الباقر عليه السلام: كان أبي زين العابدين عليه السلام علي بن الحسين عليه السلام إذا حضرت الصلاة، يقشعرّ جلده ويصفرّ لونه، وترتعد فرائصه ويقف شعره، ويقول ودموعه تجري عَلى خديه: لو علم العبد مَن يناجي ما انفتل [أي ما ترك الصلاة].

وبرز يوماً إلى الصحراء، فتبعه مولى له، فوجده قد سجد عَلى حجارة خشنة. قال مولاه: فوقفت حيث أسمع شهيقه وبكاءه، فواللهِ لقد أحصيت عليه ألف مرة وهو يقول: «لا إلهَ إلا اللّـهُ حقّاً حقاً، لا إلهَ إلا اللّـهُ تعبّداً ورِقّـا، لا إله إلا اللّـهُ إيماناً وصدقا». ثم رفع رأسه مِن سجوده،

وإن لحيته ووجهه قد غُمرا بالماء مِن دموع عينيه. فقال له مولاه: يا سيدي، أما آن لحزنك أن ينقضي، ولبكائك أن يقلّ؟!. فقال له عليه السلام: ويحك إن يعقوب بن اسحق بن إبراهيم كان نبياً ابن نبي وله اثنا عشر ابناً، فغيّب اللّهُ تَعالَى واحداً منهم، فشاب رأسه مِن الحزن، واحدودب ظهره مِن الغم، وذهب بصره مِن البكاء، وابنه حيّ في دار الدنيا. وأنا رأيت أبي وأخي وسبعة وعشرين مِن أهل بيتي صرعى مقتولين؛ فكيف ينقضي حزني ويقل بكائي؟!.

ولقد نسب إلى الإمام زين العابدين عليه السلام هذه الأبيات:

نحن بنو المصطفى ذوو غُصَصٍ
يُـجَـرَّعُـهـا فـي الأنــام كاظمنا
عـظـيـمـة فـي الأنـــام محنتنا
أوّلـــنـــا مـبـتـلـى وآخـرنـــا
يـفـرح هــذا الــورى بعيدهمُ
ونــحـــن أعـــيــادنـــا مـآتـمـنـا
والناس في الأمـن والسرور ولا
يـأمـن طــولَ الــزمـان خائفنا
ومـا خصصنا بـه مِـن الشرف
الـطـائـل بـيـن الأنـــام آفـتـنـا
يحكم فينا ـ والحكم فيه لنا ـ
جـاحـدُنـا حـقَّـنـا وغـاصـبـنـا

تسيير الرأس الشريف إلى الأمصار

مِن الأمور الواضحة الدلالة، التي تفضح حقيقة يزيد، في تصميمه عَلى قتل الحسين عليه السلام وسبي نسائه، انتقاماً لأجداده الكفار الذين قُتلوا في بدر؛ هو تسيير رأس الحسين عليه السلام مِن دمشق إلى عدة أمصار، ليشاركه أعوانه فرحته الكبرى في انتصاره الميمون عَلى النبي وآله صلى الله عليه وآله وسلم واستئصال ذريّته.

تسيير رأس الحسين عليه السلام إلى فلسطين ومصر

لم تنته مسيرة رأس الحسين عليه السلام في دمشق.. فبعد أن شفى يزيد نفسه برؤية رأس الحسين عليه السلام أمر بتسييره إلى بقية الآفاق، لينعم الناس بفرحة نصره ويشاركوه ذلِكَ. فسيّر الرأس الشريف مِن دمشق إلى عسقلان [في فلسطين] وذلك بالطريق المتعارفة في ذلِكَ الزمان كعمّان والقدس. وتقع (عسقلان) في فلسطين بين يافا وغزة، وفيها الآن مشهد للحسين عليه السلام. ثم ساروا بالرأس الشريف إلى مصر، وكانت عاصمتها الفسطاط وهي (القاهرة) اليوم. وقد أقيم في كل مكان وُضع فيه الرأس الشريف مشهد للحسين عليه السلام. فكأن غاية يزيد في توهين قيمة

الحسين عليه السلام ومحو ذكره وعظمته، عن طريق تسيير رأسه الشريف مِن بلد إلى بلد والتشهير به، كأن هذه الغاية قد انقلبت إلى عكسها، فكان ذلِكَ التسيير والتشهير سبباً إلى قيام المشاهد المتعددة للحسين عليه السلام في كل مكان مِن أرض الإسلام، ليظل ذكر الحسين وأمجاده دائمة عامرة في كل مكان.

بدعة الحدوة

هذا وقد بلغ مِن طغيان رجال يزيد وقواده، وشذوذ أعوانه ومتملّقيه، أن بيعت الخيل التي داست صدر الحسين الشريف، بيعت في مصر بآلاف الدنانير، ومن لم يستطع شراء فرس اشترى حدوة الفرس بآلاف الدنانير، وأصبحوا يضعونها عَلى أبواب بيوتهم للتبرك بها والتفاؤل!.

تسيير رأس الحسين عليه السلام إلى المدينة

قال البلاذري في (أنساب الأشراف) ج٢ ص ٢١٩؛ والذهبي في (سير أعلام النبلاء): ثم بعث يزيد رأسه إلى المدينة، إلى عمرو بن سعيد. ثم ردّه إلى دمشق.

وفي (تذكرة الخواص) لسبط ابن الجوزي، ص ٢٧٦:

وقال هشام بن محمّد الكلبي: سمع عمرو بن سعيد بن العاص الضجة في دور بني هاشم فقال:

عجّت نساء بني تميم عجّةً

كعجيج نسوتنا غداةَ الأرنبِ

والبيت لعمرو بن معديكرب.

وفي (شرح النهج) لابن أبي الحديد، ج١ ص ٣٦١ ط مصر، قال:

ثم رمى بالرأس نحو قبر النبي صلى الله عليه وآله وقال: يا محمّد يَوم بيوم بدر.

شماتة مروان بن الحكم[1]

عن (تاريخ البلاذري) أنه لما وافى رأس الحسين عليه السلام المدينة، سمعت الواعية مِن كل جانب، فقال مروان بن الحكم:

ضرب الدوسر[2] فيهم ضربةً
أثبتت أوتاد حكم فاستقرْ

ثم أخذ ينكت وجهه بقضيب، ويقول:

حبّذا بَردك في اليدينْ
ولونك الأحمر في الخدينْ
كأنه بات بعسجدين
شفيتُ منك النفس يا حسين

ثم قال: واللهِ لكأني أنظر إلى أيام عثمان.

تعليق: لم أر في تاريخ العرب شخصاً ألأم مِن مروان بن الحكم، فكيف يسمح لنفسه بهذا الكلام عن الحسين عليه السلام، والحسين هو الَّذي عمل عَلى إطلاق سراحه حين أُخذ أسيراً في معركة الجمل. وكيف يسوّغ له أن ينسب إلى الحسين عليه السلام اشتراكه في قتل عثمان، مع أنه وكما أثبت كل رواة التاريخ أنه كان مِن المدافعين عن عثمان، والواقفين

(١) مثير الأحزان لابن نما، ص ٧٥

(٢) الدوسر: الجمل الضخم.

عَلى بابه للدفاع عنه بأمر مِن أبيهعَلَيْهِ السَّلَامُ. ومن قبلُ في كربلاء لما طلب الحسينعَلَيْهِ السَّلَامُ شربة مِن ماء، قال جند يزيد: لا تسقوه الماء حتى يموت عطشاً كما فعل بعثمان. ولكن إنها لا تعمى الأبصار، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور.

أين دفن الرأس الشريف بعد مسيرته الطويلة؟[1]

اختلفت الروايات والأقوال في مصير رأس الحسين الشريف، بعد مسيرته الطويلة عبر الآفاق والأقطار والأمصار.. فمنها أن يزيد ردّه إلى المدينة فدفن عند قبر أمه فاطمةعَلَيْهَا السَّلَامُ. ومنها أنه مدفون في دمشق عند باب الفراديس، وكأنه هو الموضع المعروف الآن بمقام أو مشهد رأس الحسينعَلَيْهِ السَّلَامُ في الجهة الشرقية مِن المسجد الأموي إلى يمين الداخل مِن باب جيرون (النوفرة). ومنها أنه مدفون في القاهرة. ومنها أنه مدفون في النجف الأشرف عند قبر أبيه عليعَلَيْهِ السَّلَامُ.. والرواية الأخيرة أنه رُدَّ إلى جسده المقدس فدفن معه في كربلاء.

وأقوى الروايات عند الشيعة أن رأس الحسينعَلَيْهِ السَّلَامُ رُدّ إلى الجسد المطهّر في كربلاء.

ويقول العلامة الأمين: حكى غير واحد مِن المؤرخين، أن الخليفة العلوي [أي الفاطمي] بمصر، أرسل إلى عسقلان وهي مدينة بفلسطين، فاستخرج رأساً زعم أنه رأس الحسينعَلَيْهِ السَّلَامُ، وجيء به إلى مصر فدفن فيها في المشهد المعروف الآن. وهو مشهد معظم يزار، وإلى جانبه مسجد عظيم (اسمه مسجد سيدنا الحسين). وإنّ أخذ العلويين لذلك

---

(١) لواعج الأشجان للسيد الأمين، ص ٢٤٥.

الرأس مِن عسقلان ودفنه بمصر لاريب فيه، لكن الشك في كونه رأس الحسين عليه السلام أم لا!.

وقال الطريحي في (المنتخب) ص ٣٨ ط٢:

زار الإمام الصادق عليه السلام قبر الحسين عليه السلام، فسأله أحد أصحابه: يابن رسول الله، أليس رأس الحسين عليه السلام بُعث إلى الشام إلى يزيد؟. فقال: بلى، ولكن رجلاً مِن موالينا اشتراه مِن بعد موت يزيد، وأتى به إلى هذا الموضع، ودفنه هنا.

النتيجة:

أقول: يمكن اعتبار أغلب الروايات السابقة صحيحة، مع ملاحظة مايلي:

إن بعض المشاهد التي ذُكر أن فيها رأس الحسين عليه السلام هي مشاهد وُضع فيها الرأس الشريف أثناء تجواله في الآفاق، وذلك وفق ما ذكره ابن شهراشوب في (مناقبه) ج٣ ص ٢٣٥ ط نجف، حيث قال:

ومن مناقب الحسين عليه السلام: ما ظهر مِن المشاهد التي يقال لها مشهد الرأس؛ مِن كربلاء إلى عسقلان، وما بينهما في الموصل ونصيبين وحماة وحمص ودمشق وغير ذلِكَ. اهـ

فهذه مشاهد، وليست مراقد.

وإذا تذكرنا الدوافع السياسية، عرفنا لماذا حاول الفاطميون مثلاً إيهام الناس بأن رأس الحسين عليه السلام كان مدفوناً في عسقلان، ثم نقلوه إلى القاهرة. وعرفنا لماذا ناضل ابن تيمية لتكذيب دعواهم، لأنه كان مِن أكبر أعدائهم.

ففي اعتقادي أن الَّذي في (عسقلان) هو مشهد للرأس وليس مدفن له. فنكون بذلك قد نفينا دعوى وجود الرأس في عسقلان أو القاهرة. كما ألمح إليه العلامة الأمين عليه الرحمة.

يقول سبط ابن الجوزي: وفي الجملة ففي أي مكان كان رأسه أو جسده، فهو ساكن في القلوب والضمائر، قاطن في الأسرار والخواطر.

وقد سئل أبوبكر الآلوسي عن موضع رأس الحسين عليه السلام فقال شعراً:

لا تطلبوا رأس الحسين
بشرقِ أرضٍ أو بغربِ
ودَعوا الجميع وعرّجوا
نحوي فمشهده بقلبي

دفن الرؤوس الستة عشر

وفي حين احتفظ يزيد برأس الحسين عليه السلام لأنه كان في تخطيطه أن يسيّره إلى كل الأقطار الإسلامية كمصر ومكة والمدينة، فإنه أمر بدفن الرؤوس الستة عشر في مقبرة باب الصغير، في المكان الَّذي يسمى اليوم مشهد رؤوس الشهداء عليهم السلام.

وقد أهدى إخواننا الشيعة البُهرة أيضاً لهذا المشهد الشريف قفصاً فضياً ثميناً مزيّناً في عضاداته بالسبعات، وضعوا في داخله كرات صغيرة مِن المخمل بعدد شهداء كربلاء وهم ٧٣ شهيداً؛ جعلوا منها ١٦ بلون أخضر، والباقي بلون أحمر.

هل مرقد السيدة زينب عليها السلام في مصر أم الشام؟

كان مِن نتيجة تعدد اسم زينب في بنات الإمام علي عليه السلام أن تشابه الأمر عَلى الرواة والمؤرخين. فبعضهم زعم أن زينب العقيلة عليها السلام مدفونة في مصر، وبعضهم أنها مدفونة في دمشق، وبعضهم أنها مدفونة في المدينة. والقول الأخير يؤيده السيد الأمين.

وفي الواقع كان للإمام علي عليه السلام أربع بنات؛ كلّ واحدة منهن يطلق عليها اسم (زينب) وتكنّى بأم كلثوم، اثنتان مِن فاطمة الزهراء عليها السلام وبنتان مِن غيرها. فالأولى زينب الكبرى التي تزوجها ابن عمها عبد الله بن جعفر الطيار. والثانية شقيقتها أم كلثوم الكبرى المكناة بزينب الصغرى، التي تذكر الروايات أن عمر بن الخطاب تزوجها. وهاتان البنتان لهما شرف عظيم لأن أمهما الزهراء عليها السلام وجدهما النّبي صلى الله عليه وآله وسلم. والثالثة أم كلثوم الصغرى وأمها أم سعيد الثقفية. والرابعة زينب الصغرى التي أمها أم ولد.

ومن هنا حصل اللغط والخلط بين الرواة والمؤرخين.

ولتحديد مَن مِن هؤلاء الأربعة حضر كربلاء نقول:

أما التي تزوجها عمر فقد توفيت سنة ٥٤ هـ وعمرها ٤٥ سنة في حكم معاوية، كما حقّق السيد محسن الأمين في (الأعيان). وأما زينب الصغرى التي أمها أم ولد، فقد توفيت في حياة أبيها. فيكون مَن حضر كربلاء مِن هؤلاء اثنتان هما: زينب العقيلة، وأم كلثوم الصغرى التي أمها أم سعيد الثقفية.

وقد ذكر السيد الأمين في (الأعيان) ج٧ ص ١٣٦ طبعة كبيرة: أنه رأى على القبر الذي في (راوية) صخرة كتب عليها: هذا قبر السيدة

زينب المكناة أم كلثوم بنت سيدنا علي عليه السلام.

وإذا تذكرنا أن الأختين زينب الكبرى وشقيقتها تسميان زينب وتكنيان بأم كلثوم، جزمنا أن المدفونة في راوية هي (زينب الكبرى المكناة أم كلثوم)، أما أختها التي تزوجها عمر، فقد توفيت مِن قبلُ في المدينة هي وابنها زيد، ودفنا في يوم واحد كما تنص الروايات.

أما الذين يظنون أن زينب الكبرى بنت الإمام علي عليهما السلام في مصر ـ ومنهم الشيخ جعفر النقدي ـ فنقول لهم: لقد حصل لنا بالتأكيد أن زينب المدفونة في مصر ليست قطعاً مِن بنات الإمام علي عليه السلام، بل هي زينب بنت أحمد بن محمّد ابن عبد الله بن جعفر بن محمّد بن الحنفية رضي الله عنه ابن الإمام علي عليه السلام، ويدعوها الجاهلون زينب بنت علي عليه السلام **بحذف الوسائط**[1].

يؤكد ذلِكَ أن المقريزي في خططه حين عدّ المشاهد المباركة عند أهل مصر المقصودة للزيارة، قال: وبخارج باب النصر في أوائل المقابر، قبر زينب بنت أحمد بن محمّد بن جعفر ابن محمّد بن الحنفية، يزار وتسميه العامة مشهد السيدة زينب[2].

ويؤكد ذلِكَ قول الزركلي في كتابه (الأعلام):

لم أر في كتب التاريخ، أن السيدة زينب بنت علي عليه السلام جاءت إلى

---

(١) وذلك كما أفادت المستشرقة الإيطالية (إيرينه كالزوني) التي قابلتها في دمشق، وقد اختارت بحثها لرسالة الدكتوراه عن زينب عليها السلام. فحين سألتها عن زينب التي في مصر قالت: ذهبت إلى مصر وزرت مقامها، ووجدت مكتوباً على جدار مسجدها نسبها، وهي: زينب بنت أحمد بن محمّد... وينتهي نسبها إلى محمّد بن الحنفية ابن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام. ويجد القارئ في الفصل الأخير مِن الكتاب مقابلة المستشرقة للمؤلف، وردّ المؤلف على أسئلتها التسعة.

(٢) الخطط المقريزية، ج٣ ص ٣٣٤ طبع بيروت.

مصر، في الحياة أو بعد الممات.

فإذا علمنا يقيناً أن السيدة زينب الكبرى العقيلة ليست في مصر، وأن زوجها عبد الله بن جعفر قد كانت له أرض براوية، وأنه دعا زوجته إلى الرحيل إليها إثر قحط حصل في المدينة كما تقول بعض الروايات، جزمنا بأن التي في دمشق هي زينب الكبرى وليست الصغرى. لاسيما وأن عبد الله بن جعفر قبره معروف ومشهور في باب الصغير، وهو الَّذي توفي بعد زوجته بسنين.

وفي تحقيقي أن ورود زينب الكبرى عليها السلام مع زوجها عبد الله بن جعفر إلى دمشق كان بعد هلاك يزيد، وفي زمن عبد الملك بن مروان، وتوفيت هناك سنة ٦٥ هـ، ودفنت في أرض زوجها في (راوية)، ثمّ جاء مِن آل المرتضى مَن أوقف لها أوقافاً واعتنى بمقامها الشريف، حتى صار اليوم قبلة الزائرين وتحفة الناظرين، لاسيما بعد توسعة المقام وبناء المئذنتين الساميتين، والقبة العسجدية. ولنعم ما قال الشاعر:

زيـــنـــبٌ بـــنــت حــيــدرِ
مــعــدِن الــعــلــم والــنــدى
هـــذه بـــاب حِــطــةٍ
فــادخــلــوا الــبــاب سُــجَّــدا

سبب رجوع السيدة زينب عليها السلام إلى الشام ثانية

هناك اختلاف بين المؤرخين في سبب رجوع السيدة زينب عليها السلام إلى الشام ثانية[1]:

---

(١) آداب سفر: زايارت حضرت زينب عليها السلام ص٦٤. (فارسي).

(١).يعتقد البعض أن سبب الرجوع هو القحط الشديد الذي أصاب المدينة نتيجة الجفاف وعدم نزول المطر، فسافرت زينب عليها السلام مع زوجها عبد الله بن جعفر إلى دمشق.

(٢).لكن البعض يعتقد أنه لما حصلت وقعة الحرة، فإن عبد الله بن جعفر حتى لا تتجدد هموم وأحزان السيدة زينب عليها السلام، وكذلك أنه وقع الوباء والطاعون في المدينة، وبناء عليه قرر السفر مع زوجته إلى دمشق، وأقاموا في مزرعة له هناك، حيث تمرضت زينب عليها السلام وتوفيت في ١٥ رجب سنة ٦٥ هـ، فدفنها في نفس القرية التي تسمى (راوية). ويسمى عام ٦٥ هـ عام المجاعة، وهو في عهد عبد الملك بن مروان.

أثبت المراقد لأهل البيت عليهم السلام في دمشق

وفي اعتقادي إن مِن أثبت المراقد لأهل البيت عليهم السلام في دمشق ثلاثة: مرقد رقية عليها السلام عند باب الفراديس، ومرقد رؤوس الشهداء عليهم السلام في باب الصغير، إضافة إلى مرقد العقيلة زينب عليها السلام في قرية راوية.

أعمال يزيد

المتتبع للتاريخ يجد أن يزيد بن معاوية قد عمل في مدة خلافته التي لم تتجاوز أربع سنوات، ثلاثة أعمال كبيرة، لو أن مسلماً فعل واحدة منها لخرج من الإسلام، مما يدل على أنه لم يكن يؤمن بالإسلام أصلاً. وهذه الإعمال هي:

(١).استئصال ذرية النبي الأكرم ﷺ بقتل ١٧ رجلاً من أعيانهم في كربلاء، وعلى رأسهم الإمام الحسين بن علي عليه السلام الذي جده رسول الله ﷺ وهو بإجماع المسلمين سيد شباب أهل الجنة.

(٢).في عام ٦٣هـ وبعد عامين من مجزرة كربلاء في العراق، وفي الشهر الحرام ذي الحجة، بعث يزيد بجيش عرمرم من الشام بقيادة مسلم بن عقبة المري لإخضاع أهل المدينة لحكمه بعد أن رفضوا مبايعته. فانتضى لحربه أهل المدينة من الصحابة والتابعين، وقاتلوه قتالاً شديداً. وكان جيش يزيد كثيف فأعمل فيهم القتل والسبي وكأنهم ليسوا من المسلمين. واستباح جيش يزيد بأمر من يزيد المدينة وأهلها ثلاثة أيام، فكانوا يقتلون الرجل أو يقر أنه صار عبداً ليزيد. وسمي مسلم بن عقبة من شدة إسرافه في القتل (مسرفاً). وعملوا في أهل

المدينة بالقتل والتنكيل حتى لم يبق فيهم من الرجال إلا القليل، وكان من المستشهدين عبد الله بن حنظلة (غسيل الملائكة). أما النساء الشريفات من حرائر المهاجرين والأنصار فقد استباحهن الجيش ثلاثة أيام، حتى أنه ولد منهن مئات الأولاد الذين لا يعرف لهم أب.

(٣).حينما انتهى مسرف بن عقبة من مهمته الأولى، وسار يقصد مكة المكرمة ليقوم بمهمته الثانية التي أمره بها يزيد، مرض في الطريق وهلك قبل وصوله مكة، فاستخلف مكانه الحصين بن نمير، الذي ما إن وصل مكة حتى نصب تجاه الكعبة على جبل أبي قبيس المجانيق والعرادات. وكان عبد الله بن الزبير وأنصاره قد احتموا بالبيت الحرام. فبدأ يدك الكعبة بالأحجار الضخمة والكتل النارية، حتى تضررت الكعبة واحترقت أستارها.

وفي ذلك الموقف الرهيب يأتي رجل إلى الحصين بن نمير ويهمس في أذنه بكلمات فيقف عن القتال!. أتدرون ما هي؟.

لقد قال له: إن يزيد بن معاوية قد هلك في ظروف غامضة!.

هلاك الطاغية

في ظروف غامضة وفي ١٤ ربيع الأول سنة ٦٤ هـ، هلك يزيد الشاب عن عمر ٣٨عاماً، أثناء خروجه للهو بصيد الظباء مع أصحابه في المنطقة الشرقية من مدينة حمص، حيث تقطن قبيلة أخواله من بني كلب، وذلك قرب (حُوَارين) التي تسمى اليوم (القريتين).

فقد ركب يزيد فرسه السريع يريد الصيد فمرَّ في شعب بين جبلين وهو يلحق إحدى الظباء، وابتعد عن أصحابه فنفرت به الفرس، فسقط

من على ظهرها، وظل معلقاً بالركاب ورأسه يتشحط ويتمزق بكتل الصخور حتى هلك. وانتظر أصحابه رجوعه حتى يئسوا منه، ثم ما لبث أن رجع فرسه وحيداً وقد تعلق فخذ يزيد بالركاب. ومن هنا سمي أتباعه فخذ يزيد.

ورجع أصحابه إلى دمشق ومعهم فخذ يزيد، فدفنوه في باب الصغير قريباً من المقبرة في غرفة ليس لها سقف، كان أهل الشام إلى أمد قريب كلما مر منهم شخص أمام الغرفة رمى حجراً إلى الغرفة وقال: لعن الله يزيد(١) .

انطماس قبور الظالمين وذكرهم

من مظاهر عدالة الله، أن الشهيد يخلد ذكره حتى في الدنيا، بينما يمحو ذكر الظالم، كما يمحو أثره وقبره... فهذه قبور عترة النبي صلى الله عليه وآله وسلم يكللها الذهب والعقيان، بينما قبور ملوك بني أمية فتكللها الأوساخ والأدران، ويلفها العدم والنسيان، فلا يعرف لها محل ولا مكان!. وأوضح شاهد على ذلك قبر يزيد وقبر معاوية في دمشق الشام.

قبر يزيد[٢]

قال الشيخ جعفر التستري:

وانظر إلى قبر يزيد في الشام، من يوم قبر فيه إلى الآن، كل من

---

(١) لمزيد من الاطلاع هذه الأحداث المؤسفة انظر كتابنا (موسوعة كربلاء)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ٢٠٠٦، ج٢ ص٦٩٩ـ ٧٠٧.

(٢) للخصائص الحسينية للتستري، ص٢٧٠.

يمر عليه لا بدَّ أن يرجمه بالحجارة، ويحمل كل من يريد المرور عليه الحجارة من بعيد. يفعل ذلك الشيعة والسنة، واليهود والنصارى. وقد جرّب أن من لم يضربه بحجر، لم تقض حاجته. وقد صار [قبره] تلاً عظيماً من أحجار الرجم.

(أقول): ولما هلك يزيد في ظروف غامضة، ولم يجدوا غير فخذه، قبروه قرب مقبرة باب الصغير بدمشق، في غرفة ليس لها سقف. وقد كان الناس إلى وقت قريب كما كان يحدثنا آباؤنا إذا مر أحدهم بهذه الغرفة يضرب على ساكنها حجراً، تعبيراً عن أن يزيد كإبليس يستحق الرجم والطرد من رحمة الله. ثم سكروا تلك الغرفة وهجروها. فأنشأ أحدهم بجوارها معملاً لنفخ الزجاج، فكان أتون النار ملاصقاً لقبر يزيد، يحرقه في الدنيا قبل أن يحرق في نارِ جهنم، جزاءً وفاقاً ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[1]!.

وقد سمعت من المرحوم الحاج حسن أبي ياسر الخياط قوله: إن فخذ يزيد هو في غرفة مواجه الدرج الذي يصعد منه إلى مقبرة الستات. وحين كنا صغاراً كنا مثل كل الناس عندما نمر من هناك نضر على الغرفة حجراً. ثم فرغوا الغرفة من الأحجار وقلبوها إلى معمل لأنوال النسيج.

وقد تعرضنا إلى تعيين مكان دفن فخذ يزيد في الغرفة القريبة من جامع جراح في شارع أهل البيت عليهم السلام المؤدي إلى مقبرة باب الصغير، في الزيارة الميدانية المصورة لبعض المواقع الهامة في المنطقة، التي يجدها القارىء في آخر الكتاب.

---

(١) سورة إبراهيم: الآية ٤٢.

الفصل الخامس

زينب العقيلة (عليها السلام) والمقابلة مع المستشرقة الإيطالية

زينب العقيلة عليها السلام بطلة كربلاء

إذا كان الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) دُرّة يتيمة؛ خلقها اللّهُ، وصاغها محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم)، فإن زينب العقيلة هي درّة فريدة؛ ولدتها بنت النّبي، وصاغها المرتضى علي.

ولقد انحصر نسل النّبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بابنته فاطمة الزهراء (عليها السلام) حين أولدت للإمام علي (عليه السلام) أربعة أولاد هم: الحسن والحسين وزينب العقيلة وأم كلثوم (عليها السلام). وكان لزينب أن تشرفت بزواجها[1] مِن ابن عمها عبد الله بن جعفر الطيار (عليه السلام).

وإذا كان الفرنسيون يفتخرون بالقديسة (جاندارك) التي خاضت الحرب عام ١٤٣١م، فقد سبقتها العقيلة زينب قروناً في خوض غمار الحرب.

لقد كانت زينب (عليها السلام) تحبّ أخاها الحسين (عليه السلام) حباً مميّزاً، وحين قرر الشهادة في كربلاء لإحياء دين جده المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) قامت زينب تشاطره الجهاد؛ فالحسين استشهد في سبيل الله في كربلاء، فقام بالمواجهة الحربية، بينما قامت أخته زينب (عليها السلام) بالمواجهة الإعلامية مِن بعده، حين وقفت بين الناس وفي وجه الطغاة تبيّن لهم أهداف

استشهاد الحسين عليه السلام وتفضح حقائق المتسلطين على رقاب المسلمين مِن أمثال يزيد وابن زياد وعمر بن سعد وشَمِر بن ذي الجوشن. لقد عرّضت زينب عليها السلام نفسها للقتل عدة مرات وهي تجابه العتاة الباغين مِن الحكام وأعوان السلاطين، ووقفت مواقف تجبن عنها فحول الرجال، فكانت بحقّ بطلة كربلاء، بل بطلة الحق والإسلام.

ويشاء القدر لأهل بيت الوحي عليهم السلام أن يساقوا بعد كربلاء أُسارى إلى الكوفة والشام، فكانت زينب قائدة هذا الركب النبوي، وحامية الأطفال والنساء ومعها الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، الذي كان مريضاً ينازع الموت، ثمّ شاء اللّهُ له الحياة ليبقى نسل النّبي صلى الله عليه وآله وسلم مستمراً إلى يوم القيامة، ينفحنا بالعلم والدين والتقوى واليقين.

وأَدخل شَمِر بن ذي الجوشن السبايا والرؤوس الشريفة إلى دمشق مِن باب توما، حيث مروا بطريق النوفرة الذي يؤدي إلى المنطقة الشرقية مِن المسجد الجامع، حيث كان قصر يزيد والأمراء، فأوقفوهم في عدة مواضع ليتفرج عليهم الناس؛ ساعةً عند باب جيرون الداخلي، وساعةً عند باب الفراديس (العمارة)، وساعة عند باب الساعات، الذي كان مُقاماً على السور العموري المجاور لمرقد السيدة رقية عليها السلام.. وهكذا حتى انتهوا بسبايا أهل البيت عليهم السلام إلى الباب الشرقي للمسجد (باب النوفرة)، فأوقفوهم على الدرج، مربوقين بالحبال مِن الأيدي والأعناق.

ثمّ أُذن لهم بالمثول أمام يزيد، فأُدخلوا مِن باب القصر المجاور للدرج، وأُتي برأس الحسين عليه السلام إلى يزيد على طبق مِن ذهب. وظهرت للرأس الشريف كرامات مشهودة.

وبعد أن شفى يزيد حقده برؤية رأس الحسين عليه السلام بيّت الرأس

في حجرة مِن قصره ليلة واحدة، ثمّ علّقه على باب قصره، وفي النهاية أودعه في خزائن بني أمية الخاصة. وصار المكان الذي بات فيه الرأس الشريف مزاراً مشرفاً وهو الموضع الذي يعرف اليوم باسم (مشهد رأس الحسين)في الزاوية الشمالية الشرقية مِن المسجد الجامع. وبعد هلاك يزيد في ظروف غامضة وهو في عنفوان شبابه، وانتهاء حكمه الذي لم يستمر أكثر مِن أربع سنوات، رُدّ رأس الحسينعليه السلام إلى جسده الشريف في كربلاء.

وخيَّر يزيدُ أهلَ البيتعليهم السلام بين الإقامة في دمشق أو الرحيل إلى المدينة، فاختاروا الرحيل، حتى رجعوا إلى مدينة جدهمصلى الله عليه وآله وسلم برفقة زينب وزين العابدينعليه السلام.

وبعد عدة سنين وتحديداً في سنة ٦٥ هـ حصل جدب ومجاعة في الحجاز، فآثر عبد الله بن جعفر أن يرحل مع زوجته زينب وعائلته إلى دمشق، حيث كانت له أرض يملكها في (راوية) التي كانت مشهورة بالينابيع والأنهار، ومن ذلِكَ اشتقّ اسمها. وهناك تجددت عند زينبعليها السلام ذكريات المآسي والأحزان، فمرضت وتوفيت وهي في حدود الستين مِن العمر، فدفنت في أرض زوجها. وأصبحت تلك البقعة مشمولة بالتقديس والتعظيم، فبنيت عليها قبّة مباركة، وصار يقصدها المؤمنون مِن كلّ مكان.

لقد وهب أهلُ البيتعليهم السلام كلَّ ما عندهم للحق، فعاشوا لنشر الدين، وماتوا لترسيخ اليقين، فاستحقوا الرفعة والخلود مِن ربّ العالمين.

لقاء مع المستشرقة الإيطالية وأسئلتها
حول العقيلة زينب عليها السلام

لما جاءت المستشرقة الإيطالية (إيرينه كالزوني) إلى دمشق بصدد إكمال أطروحتها حول السيدة زينب عليها السلام، قابلتُ عدة شخصيات؛ منهم مولانا الأجل السيد علي مكي، والأستاذ شوقي أبوخليل.

وفي لقائي معها وجهت لي تسعة أسئلة، فأجبت عليها فيما يلي:

السؤال الأول: ما هي مكانة المرأة في الإسلام؟.

الجواب: تنطلق مكانة المرأة في الإسلام مِن أنه يعتبرها أحد شطري المخلوق البشري (الإنسان). يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ ...﴾[1].

وقد عبّر القرآن الكريم عن الرجل والمر أة بالزوجين، والزّوج في اللغة العربية هو الشبيه بالشيء وليس الشيء نفسه. كما يعني الزوج أحد شيئين متشابهين يتمّم أحدهما الآخر. وهذا هو الأمر تماماً بالنسبة للرجل والمرأة. يقول تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ﴾[2].

---

(١) سورة الحجرات ١٣

(٢) سورة النجم ٤٥

لا بل أكثر مِن ذلِكَ اعتبر القرآن الكريم أن المرأة مخلوقة مِن الرجل، بمعنى أن حواء خُلقت مِن نفس آدم، فهي إذن جزء لا يتجزأ منه. يقول تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ...﴾[1].

ومن هنا كانت نظرة الإسلام إلى الرجل والمرأة نظرة المساواة في الخلقة، ثمّ المساواة في المعاملة؛ فكلّ حُكم في تعاليم الإسلام يقترن بذكر الرجل والمرأة على حدّ سواء. يقول تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ﴾[2].

وفي الأشياء غير المتشابهة بين الرجل والمرأة، جعل لكلّ حقٍّ للرجل حقاً مقابلاً للمرأة. يقول تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[3]. فهناك مساواة في الحقوق والواجبات، وهناك مساواة في الوظيفة الحياتية بين الرجل والمرأة، ليس على نحو التطابق، وإنما على سبيل التقابل والتكامل.

ولا ينفي ذلِكَ أن الإسلام خصّص الرجل ببعض المهام التي توافق تركيبه ودوره المقرّر في الحياة، كما خصّص المرأة ببعض المسؤوليات التي توافق مؤهلاتها ودورها. فالقيادة العليا للرجل على نطاق الأسرة والمجتمع، وكذلك حماية الأسرة والإنفاق عليها مِن واجبات الرجل. في حين أوكلَ إلى المرأة حضانة الأولاد وتربيتهم وتأمين ضرورات المعيشة لأفراد الأسرة.. والمسؤوليات الأولى تتكامل مع المسؤوليات الثانية

---

(١) سورة النساء ١

(٢) سورة النساء ١٢٤

(٣) سورة البقرة ٢٢٨

في مسيرة الحياة ونضجها، في حين لا تتعارض بل تتوافق مع رغبات وإمكانيات كلّ جنس مِن الجنسين.

يقرر الإسلام هذه المكانة العالية للمرأة في القيمة البشرية والفعالية الإنسانية، في وقت كانت فيه المرأة مهانة، مسلوبة الحقوق تعامل كالأنعام، وتدفن حيّة منذ ولادتها خشية الفقر أو العار.

وكانت تعذّب المرأة وتظلم وتضرب وتعامل كمخلوق مِن الدرجة الثانية بِالنسبة للرجل.

يقول الإمام علي عليه السلام: «وإنْ كان الرجل لَيتناول المرأة في الجاهلية بالفِهر (حجر يدقّ به الجوز) أو الهراوة»[1].

ورغم هذا فقد كانت حقبة الجاهلية التي سبقت الإسلام عند العرب، تحوي نماذج نادرة مِن الذين رفضوا تلك المعاملة الفظّة للمرأة، وحاولوا تخليصها مِن الجور المحيق بها، بدافع إنساني شخصي لا أكثر. نضرب مثالاً عنهم (صعصعة بن ناجية التميمي)جدّ الفرزدق الشاعر، الذي اشترى ٣٦٠ مولودة مِن القبائل كان أهلُها يريدون وَأدها في التراب، ثمّ ربّاهنّ على نفقته حتى كبرن، ثمّ أعتقهنّ ونجّاهن بذلك مِن الموت المحقّق.. إذن فبذور الإنسانية والفضيلة كانت موجودة عند العرب رغم الجهل المطبق.

وهذا لا ينفي ظهور حضارات قديمة في الحجاز واليمن وبلاد الشام كان للمرأة فيها دور بارز؛ كالملكة (بلقيس)ملكة سبأ، والملكة (زنوبيا) ملكة تدمر.

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٢٥٣.

السؤال الثاني: هل لك أن تعدّد عشرة مِن مشاهير النساء في صدر الإسلام؟.

الجواب: مِن أجلِ أن نعدد بعض النساء المسلمات اللاتي كان لهنّ دور متميز في القرن الأول الهجري، لابدّ أن نذكر أن التميّز عادة يكون في عدة مجالات؛ منها الإيمان والجهاد، والعلم والأدب، والشجاعة والسياسة.

ففي الإيمان والتصديق بالرسالة الجديدة كانت (خديجة بنت خويلد) أول زوجة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم. وفي العلم والتقوى كانت (فاطمة الزهراء). وفي الشجاعة والخطابة كانت (زينب العقيلة). وفي السياسة كانت (عائشة بنت أبي بكر) أصغر زوجات النّبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وكانت لبعض النساء مكانة اجتماعية عالية، فكان يتهافت عليها الرجال ليتخذوا منها نسلهم فتلد الفحول مِن الرجال؛ مثل فاطمة بنت حزام الكلابية التي تزوجها الإمام علي عليه السلام فولدت له أربعة بنين هم: العباس وعبد الله وجعفر وعثمان، وكلهم استشهدوا مع أخيهم الحسين عليه السلام في كربلاء. ومثل (أسماء بنت عميس) التي تزوجها جعفر الطيار بن أبي طالب عليه السلام فولدت له عبد الله بن جعفر. فلما استشهد جعفر في مؤتة تزوجها أبو بكر فولدت له محمد بن أبي بكر الذي ربّاه الإمام علي عليه السلام حين تزوج مِن أسماء بعد وفاة أبي بكر، ثمّ ولاّه على مصر فيما بعد.

وسوف أتكلم فيما يلي عن عشرة مِن مشاهير النساء المسلمات:

(١). فأما خديجة بنت خويلد بن أسد، فهي أول امرأة تزوجها النّبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقد أحبها حباً جماً، واختارها لنفسه دون نساء العرب،

رغم أن عمرها كان ٤٠ سنة وعمره ٢٥ سنة. وكانت خديجة الوحيدة التي أنجبت أولاداً للنبيﷺ؛ فولدت له: القاسم وعبد الله الطاهر، وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة الزهراءعليها السلام، إضافة لمارية القبطية التي ولدت له إبراهيم. ولم يستمرّ نسل النّبيﷺ إلا مِن ابنته الصغرى فاطمة الزهراء، التي تزوجها الإمام عليعليه السلام فولدت له: الحسن والحسين وزينب الكبرى (العقيلة)وأم كلثوم. ومن هذا النسل الشريف جاء الأئمة الاثنا عشر الذين كانوا أعلام الدين في كلّ عصر وزمان، ولاقوا الأمرين مِن ملوك الدولة الأموية ثمّ العباسية، وليس لهم مِن ذنب إلا أنهم لم يحيدوا عن الحقّ طرفة عين.

كانت خديجة بنت خويلد غنية جداً حتى لقّبت أم الثمانين؛ لأنها كانت تملك مِن كلّ نوع مِن أنواع الأنعام ثمانين ألف رأس. فلما أسلمت وكانت أول مسلمة مِن الناس، أخلصت للدعوة ووهبت كلّ ما تملك في سبيل الإسلام، حتى قيل: قال الإسلام على أربعة: «عزم النّبيﷺ، ومال خديجة، وحماية أبي طالب، وسيف عليعليه السلام». وبلغ مِن محبة النّبيﷺ لها أنه لم يتزوج عليها طيلة حياتها. ولما توفيت كان يكرم صاحباتها كثيراً إذا جئنه زائرات، ويبسط لهن عباءته الخاصة ليجلسن عليها، كرامة لخديجة.

وحين توفيت خديجة وأبو طالبعليه السلام في عام واحد قبل الهجرة بثلاث سنين، سمّى النّبي ذلِكَ العام «عام الحزن». ولما شعر بأنه فقدَ أعظم ركنين أساسيين مِن أركان دعوته، فكّر بالهجرة إلى المدينة.

(٢). أما فاطمة الزهراء بنت محمّدﷺ والتي هي بنت خديجة السابقة، فقد كانت نادرة عصرها، حتى أطلق عليها (سيدة نساء العالمين). وكانت القمة في الشرف والكرامة والعلم والتقوى. وقد طلب يدَها جلّ الصحابة

فرفض النّبي تزويجها، حتى أمره اللّهُ تعالى بتزويجها مِن ابن عمها عليعَليَهِالسَّلَامُ كما تنصّ الروايات. فاجتمع في أولادها الشرف الأصيل مِن جهة الأب والأم. وقد كانت باكورة زواجها أن أنجبت صبيّين كالقمرين هما الحسن والحسين، بينهما أقل مِن سنة مِن العمر. وكان النّبيصَلَّىٰاللَّهُعَلَيهِوَآلِهِوَسَلَّمَ يحبّهما حباً كبيراً، لاسيما وأنه حُرم مِن كلّ أولاده الذكور الذين ماتوا صغاراً. وكان يدعوهما ابنيه، وفي الحديث: «إنّ الله جعل ذريّة كلّ نبي مِن صلبه خاصة، وجعل ذريتي مِن صلب علي بن أبي طالبعَليَهِالسَّلَامُ». ولهذا الأمر عبّر القرآن عن الحسن والحسين في آية المباهلة بقوله ﴿أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ﴾. وهذا مقام عظيم لمن يتفكر ويتدبر.

ولشدة طهارة فاطمة الزهراءعَلَيهَاالسَّلَامُ لقبت بالبتول، ولشدة تقواها لقّبت بالمعصومة. وهي أم الأئمة الذين جاؤوا مِن نسلها؛ وهم الحسنعَليَهِالسَّلَامُ، ثمّ الحسين وتسعة مِن نسله؛ أولهم زين العابدين وآخرهم المهديعَجَّلَ اللَّهُ فَرَجَهُ. وهذه هي الشجرة المباركة في القرآن.

وقد كانت فاطمة على درجة عالية مِن العلم والفهم والبلاغة والفصاحة، ويكفينا شاهداً على ذلِكَ خطبتها في المهاجرين والأنصار بعد وفاة أبيهاصَلَّىٰاللَّهُعَلَيهِوَآلِهِوَسَلَّمَ تبيّن فيها حقّ زوجها في الخلافة، وتشكو ما لاقته مِن الأصحاب. وقد توفيت صغيرة بعد وفاة أبيها بستة أشهر، وعمرها ١٨ سنة على أصحّ الروايات.

ولما كان أولاد النّبيصَلَّىٰاللَّهُعَلَيهِوَآلِهِوَسَلَّمَ يموتون صغاراً اتّهمه أحد الكفار بأنه (أبتر)أي منقطع العَقِب والذرية. عند ذلِكَ نزلت سورة الكوثر، تبيّن أن الله سبحانه قد وهبه نسلاً عظيماً مِن أفضل نساء الدنيا وهي فاطمة، التي عبّر عنها القرآن بالكوثر، أي التي يأتي منها الخير الكثير والذرية العظيمة، كما بيّنت السورة أن عدوه ومبغضه الذي ادعى عليه بهذا الأمر

هو (الأبتر)الذي لا عقب له، وهو العاص بن وائل السهمي، والد عمرو بن العاص، فنزلت السورة: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾.

والمتتبّع يدرك أن نسل النّبيﷺ مِن فاطمة وعلي قد ازداد بين المسلمين ازدياداً لا يضاهيه أي نسل آخر، وقد اختصّ هذا النسل بأن أكثر أفراده مِن العلماء وأئمة الدين، وهم يسمّون في وقتنا الحاضر: السادة أو الأشراف.

(٣). وأما زينب العقيلة بنت الإمام عليعليه السلام والتي هي بنت فاطمة الزهراء السالفة، فقد كانت على جانب عظيم مِن العقل والدراية فلقّبت «بالعقيلة»، ولقبت بالكبرى لتمييزها عن شقيقتها أم كلثوم زينب الصغرى.

وقد تربّت في أحضان الرسالة وفي كنف أبيها عليعليه السلام، بطل الأبطال وأعظم المجاهدين في الإسلام. وهي وإن لم يكن عليها واجب حمل السلاح والقتال في الميدان، فقد كانت مؤمنة بمبدأ الجهاد. والجهاد باللسان قد يكون أعظم مِن الجهاد بالسنان. ونتيجة لمواقفها الشجاعة الجريئة في كربلاء وبعدها، أطلق عليها لقب «بطلة كربلاء»، فقد كانت تخطب الناس في الكوفة والشام وكأنها تفرغ عن لسان أبيها، بقلب صلب حديديّ وجنان ثابت أبيّ.

يروى أن زوجها عبد الله بن جعفر الطيار، وهو ابن عمها، لما أراد خطبتها مِن أبيها الإمام عليعليه السلام، وافق علي على ذلِكَ واشترط عليه شرطاً؛ وهو أن أخاها الحسينعليه السلام إذا قام بنهضته ودعا زينب إلى مرافقته أن لا يمنعها مِن الخروج معه، فوافق عبد الله على ذلِكَ. فلما قرر الحسينعليه السلام إعلان نهضته والتوجه إلى كربلاء في العراق، دعا أخته

زينب فذهبت معه....

وكانت الخطة التي رسمها الحسين وزينب معاً، أن يريق الحسين دمه في كربلاء، وأن تكتب زينب بهذا الدم معاني نهضته وتعلنها للملأ مِن بعده. وهذا الذي حدث، ففي عصر يوم العاشر مِن المحرم سنة ٦١ هـ كانت أشلاء أهل البيت والأصحاب تملأ أرض الطف، وبدأت وظيفة زينبعليها السلام في حماية النساء والأطفال الباقين على قيد الحياة، ورعاية البقية الباقية مِن نسل النّبي وهو «زين العابدين «، الذي كان مريضاً يجود بنفسه. لكن الله كتب له الحياة مِن بعد، ليأتي منه نسل الأئمة الطاهرين مِن ذرية سيد المرسلين. ولما قُيِّد الجميع وأُخذوا أسرى إلى الكوفة، بدأ تنفيذ الخطة المحكمة، فوقفت زينب أمام جحافل أهل الكوفة تخطب فيهم مبيّنة تقاعسهم عن نصرة الحقّ. ثمّ انبرت لأعظم طاغية وجزّار، وهو عبيد الله بن زياد، تخطب أمامه مبيّنة جرائم بني أمية ويزيد، وانتهاكاتهم لكلّ مبادئ الدين وأسسه. وكاد ابن زياد أن يقتلها، لولا أنه ترفّع عن الاهتمام بها قائلاً: «إنها امرأة سجّاعة كأبيها».. وحين وردت سبايا أهل البيتعليهم السلام إلى دمشق مع الرؤوس الثمانية عشرة، وقفت زينب برباطة جأش تخطب في مجلس يزيد، تفضح أعماله وأعمال طغمته الحاكمة، التي تأمّرت على المسلمين بغير رضى منهم أو حقّ شرعي.

وفي نهاية المطاف رجعت زينب مع السبايا إلى المدينة المنورة، والتحقت بزوجها عبد الله بن جعفر. ثمّ رجعت معه إلى دمشق حيث كان يملك أرضاً في قرية (راوية)جنوب دمشق، فعاشت هناك ثمّ توفيت عن عمر يقارب الستين، ودفنت في أرض زوجها حيث قبرها الآن.

(٤).وأما عائشة بنت أبي بكر زوجة النّبي، فقد كانت بحكم سنّها

الصغير حين تزوجها النّبيﷺ قادرة على حفظ الكثير مِن أحكام الدين والعلم النبوي. وقد أوصى اللّهُ نساء النّبي بأن يبقين في بيوتهن مكلفات بنشر العلوم التي حصلوا عليها. ولو أن السيدة عائشة قرّت في بيتها والتزمت بأمر القرآن لكان عطاؤها أكثر؛ مِن الناحية النظرية ومن الناحية السلوكية. يقول تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ...﴾. لكنها آثرت الخروج والتدخل في السياسة، وكان مِن نتيجة ذٰلِكَ حصول أول حرب بين فريقين مِن المسلمين في وقعة الجمل، التي ذهب ضحيتها الآلاف مِن أصحاب النّبيﷺ وخاصة حفظة القرآن والمحدّثين !.

ونتج عن ذٰلِكَ ضرران جسيمان على الأمة هما:

الأول: أن الأمة خسرت العلوم التي كان يمكن أن تنشرها أم المؤمنين بين المسلمين والمسلمات، استجابة لقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾. فاللّهُ يريد أن تقرّ نساء النّبي في بيت النّبي، وأن يصبح هذا البيت مناراً للعلم الذي ينفح المسلمين بالهدي النبوي.

الثاني: أن هذا الخروج قد ألقح نار الفتنة بين المسلمين الذين هم بمثابة أبنائها، والمفروض بها أن تصلح بينهم إذا اختلفوا، كما تفعل الأم مع أولادها، واللّهُ يقول: ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾.

ورغم ذٰلِكَ فإن الإمام علياًعليه السلام في حرب الجمل لم يعاملها بعد انتصاره عليها إلا المعاملة الحسنة، رغم فداحة ما قامت به، ورغم النتائج المؤسفة التي حصلت بسببها، وهي مقتل خمسة عشر ألف رجل مِن المسلمين. كلّ ذٰلِكَ لكونها أم المؤمنين، وحفظاً لحرمة الرسولﷺ.

وليس يعني هذا أن المرأة المسلمة بشكل عام محظور عليها أن تفكّر بالسياسة وأن تعمل فيها، إنما أعطى اللّهُ لنساء النّبي وظيفة خاصة أهم مِن السياسة، هي نشر الهدي النبوي، وحتى يكنّ في مستو رفيع لائق بهنّ، يحميهنّ مِن طوارق الحِدْثان.

هذه أربع مِن مشاهير النساء في صدر الإسلام. إلا أنه يضاف إليهنّ أعداد أخرى مِن المجاهدات البطلات، اللواتي يأتين في الدرجة الثانية مِن حيث الشهرة. نعدّ منهنّ: صفية بنت عبد المطلب، ونُسيبة بنت كعب المازنية، وخولة بنت الأزور، والخنساء بنت عمرو، وفاطمة بنت حزام الكلابية، وأسماء بنت أبي بكر.

(٥). فأما صفية بنت عبد المطّلب، فهي عمة النّبيﷺ وهي أم الزبير بن العوام. وقد كانت هذه المرأة شاعرة وبطلة. ويكفينا شاهد على شجاعتها وإقدامها، ما حصل لها يوم غزوة الخندق. فلما هجم أحزاب المشركين على المسلمين وأحاطوا بالمدينة، نكث اليهود مِن بني قريظة ـ وكانوا يسكنون داخل المدينة ـ نكثوا عهدهم مع المسلمين.. وكانت صفية مع النساء والأطفال محتمين في أحد الحصون، فمرّ بهم رجل مِن اليهود وجعل يطيف بالحصن. ولم يكن معهنّ أحد في الحصن مِن الرجال غير حسان بن ثابت. فقالت صفية لحسّان: اِنزلْ إليه واقتله حتى لا يكشف أمرنا، فقال حسان: يغفر اللّهُ لك يا بنت عبد المطلب !. واللهِ لقد عرفتِ أني لست كفئاً لهذا. فتناولت صفية عموداً مِن حديد ونزلت إلى اليهودي، فتربصت له حتى ضربته بالعمود على رأسه، فخرّ ميّتاً.

(٦). وأما نُسيبة بنت كعب المازنية، ففي معركة أحد خرجت مع جيش المسلمين، تسقي الظماء وتداوي الجراح. بدأت المعركة إلى جانب المسلمين، ولكنها حين انقلبت لصالح المشركين وكاد المسلمون

يُقتلون، جرّدتْ نسيبةُ سيفها واحتملت قوسها، وغدت تصول وتجول إلى جانب رسول اللهﷺ ومعها ولداها وزوجها زيد بن عاصم. وحين أُصيب ابنها (عِمارة) بجرح في عضده اليسرى، أقبلت إليه تضمّد جراحه وتقطع نزيفه. ثمّ أقبل الرجل الذي ضرب ابنها، فاعترضت له، وضربت ساقه بسيفها فبرك. ورآها رسول اللهﷺ فتبسّم وباركَ عملها. وفي نهاية المعركة كانت نُسيبة مصابة بثلاثة عشر جُرحاً، فقام ابنها بعصب جراحها ومساعدتها. ثمّ أقبل الرسولﷺ إليها وقال لها: بارك اللّهُ عليكم مِن أهل بيت خيراً.

(٧). وأما خولة بنت الأزور، فلما أُسر أخوها ضرار في موقعة (أجنادين) تقنّعتْ بصورة فارس، وأقبلت نحو جيش الروم، وأمعنت في صفوفهم بالقتل والضرب، حتى زعزعت كتائبهم وحطّمت أجنادهم. ثمّ خرجت مِن بين صفوف الأعداء كأنها الشهاب الثاقب، ورمحها يقطر دماً. ولما رآها خالد بن الوليد ورأى بطولاتها ألحّ عليها برفع لثامها، فإذا هي امرأة. عند ذلِكَ صاح خالد في جنده لإنقاذ أخيها ضِرار، فحملوا على الروم ومعهم خولة، حتى وصلوا إلى موضع أسره، واستنقذوه مِن أيدي الروم.

(٨). وأما الخنساء وهي تماضر بنت عمرو بن الشريد، فقد كانت أشعر العرب في زمانها باعتراف النابغة الذبياني. وفي حين ظلّت طيلة حياتها في الجاهلية تندب أخاها صخراً وتبكيه، فحين جاء الإسلام وكانت قد تزوجت وولدت أربعاً مِن الشبان، دفعتهم إلى الجهاد في سبيل الله، حتى استشهدوا كلهم في معركة القادسية. ولما وصلها نبأ قتلهم لم تَعْدُ أن قالت: الحمد لله الذي شرّفني بقتلهم.

فاستطاع الإسلام بقوته غير المحدودة أن يبني شخصيتها مِن جديد،

وأن يجعلها مِن أكبر المجاهدات في سبيل الله، وذلك عن طريق تحميس أولادها ودفعهم إلى المعركة، ليموتوا فداءَ الدعوة الحقّة.

(٩). وأما فاطمة بنت حزام الكلابية، فقد تزوجها الإمام علي عليه السلام فيمن تزوج بعد وفاة زوجته العظمى فاطمة الزهراء عليها السلام. وقد اختارها له أخوه عقيل بناء على طلبه مِن أجود قبائل العرب شجاعة وفروسية. فولدت له أربع بنين مِن الشجعان، فسمّيت لذلك (أم البنين)، وهم العباس وعبد الله وجعفر وعثمان.

وحين قرر الإمام الحسين عليه السلام القيام بنهضته المقدسة لاستنقاذ الدين الإسلامي مِن براثن الطغاة والمنحرفين، ندب بني هاشم لنصرته، فأجابوه جميعاً بدون استثناء، واجتمع له مِن أبطالهم وصناديدهم سبعة عشر رجلاً، استشهدوا جميعاً في كربلاء يوم عاشوراء، مع جماعة الأصحاب، ومن جملتهم إخوته الأربعة المذكورون، وكان آخرهم فداءً العباس بن علي عليه السلام وهو أكبرهم وأشدهم بأساً، وكان حامل لواء الحسين عليه السلام.

ولما انفضّت المعركة عن ٧٢ شهيداً مِن أنصار الحسين عليه السلام ووصل الخبر إلى أم البنين، قالت:

لا تدعُوَنّي ويكِ أمّ البنينْ
تذكّريني بليوث العرينْ
كانت لي بنونٌ أُدعى بهم
واليوم أصبحت ولا مِن بنين
أربعة مثل نسور الرُّبى
قد واصلوا الموت بقطع الوتين

(١٠). وأما أسماء بنت أبي بكر، فهي أم عبد الله بن الزبير.

وكان عبد الله أحد الثائرين مِن أبناء الصحابة ضد الحكم الأموي. وقد صمد كثيراً ضدهم، بعد أن جعل مركز دعوته في مكة. لكن أنصاره ما لبثوا أن تخلوا عنه في أحلك المواقف. فدخل على أمه أسماء بنت أبي بكر، وكانت قد كبرت وكُفّ بصرها، وشكا إليها خذلان الناس له وقلة أنصاره، وأنه يفكر في مصالحة عبد الملك بن مروان. فأنكرت عليه أمه ذلِكَ، وقالت له: إنك على حقّ، فامضِ إلى جهاد عدوك ولا تتركهم يغدرون بك، فإن ضربةً لك بالسيف في عزّ، أحبّ إليّ مِن ضربة بالسوط في ذل.

فقال لها عبد الله: يا أماه، أخاف إنْ قتلني القوم أن يمثّلوا بي ويصلبوني. قالت: إن الشاة لا يضرها السلخ بعد الذبح، فامضِ على بصيرتك واستعن بالله. ثمّ قبّلته وودعته.

وخرج عبد الله على اسم الله مع مَن بقي مِن أصحابه، وحملوا على جيش الحجاج الذي كان يحاصر مكة حتى كشفهم إلى جبل الحُجون، وهناك رماه رجل منهم بحجر فأصاب وجهه، ثمّ تكاثروا عليه حتى قتلوه. ثمّ صلبه الحجاج على جذع شجرة، وما زال مصلوباً مدة طويلة. فلما مرّت به أمه قالت كلمتها المشهورة: أما آنَ لهذا الفارس أن يترجّل؟!.

لقد كانت نِعمَ الأم التي آمنت بالجهاد والبذل والتضحية في سبيل المبدأ، كما آمنت بكرامة الإنسان وعزته وإبائه. وكما تكون الأم يكون كلُّ فرد في المجتمع، فقوة المجتمع وعزته وقيمته تنبع كلها مِن قلب الأم، فالأم البطلة تنتج الأبطال. وكما قال الإمام الخميني قدس سره:

«المرأة نصف المجتمع، ومربّية النصف الآخر».

السؤال الثالث: السيدة زينب عليها السلام موضوع الدراسة، تنتسب إلى أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم:

(أ) مَن هم أهل بيت الرسول؟.

(ب) ما هي مكانة أهل بيت الرسول لدى المسلمين؟.

(ت) ما هي الأدلة على مكانتهم مِن القرآن الكريم والسنة الشريفة.

جواب (أ): مَن هم أهل بيت الرسول؟:

(الأهل) و(الآل) لهما معنى متشابه، هو العيال والأقارب بالنسب، وقد يمتدّ معنى (الآل) ليشمل الأتباع والأنصار.

و(أهل البيت) سكانه. وقد تدخل الزوجة في (الأهل) وقد لا تدخل.

وفي حديث الكساء لما جمع النّبي صلى الله عليه وآله وسلم تحت كسائه ابنته فاطمة وزوجها علي وولديها الحسن والحسين عليهم السلام، نزلت آية التطهير وهي ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، فجاءت إحدى زوجات النّبي وهي أم سلمة وأرادت أن تدخل تحت الكساء، فنهاها النّبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال لها: اِذهبي أنت إلى خير، مما يدلّ على عدم شمول الآية وما فيها مِن التطهير للزوجات.

والمتتبع لحقيقة اصطفاء الأنبياء يرى أن المقصود (بالآل)فيها هو السلالة والذرية على نحو التخصيص دون الأتباع أو الأصحاب. يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ (٣٣) ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ...﴾. وقوله ﴿ذُرِّيَّةً﴾ يدل على أن مقصوده بالاصطفاء هو النسل المتصل. وما آية التطهير إلا استمرار لمعنى الآية السابقة، لأن النّبي محمّد صلى الله عليه وآله وسلم هو مِن آل إبراهيم، وعترته هم مِن نفس الذرية المصطفاة، ولأن الآية تتكلم عن التطهير الذي هو شرط الاصطفاء. ومعنى

الآية أن الله اختار ذرية متصلة معينة مِن كلّ ذريات البشرية، لحمل مقاليد الأمانة والرسالة، وهي الذرية ذات الأفضلية على غيرها، وهي تبدأ بآدم ثمّ نوح ثمّ إبراهيم ونسله، ثمّ محمّد ونسله، وهي شجرة نسَبيّة متصلة، لذلك قال تعالى ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾. وواضح مِن هذا المفهوم أن زوجات الأنبياء لا علاقة لهم بهذا الاصطفاء، فقد يكنّ مؤمنات وقد يكنّ كافرات. ومن هذا المنطلق بعينه كانت زوجة نوح كافرة، وزوجة لوط كافرة، فضرب اللّهُ بهما المثل على الكافرات، في قوله ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾[1].

وفي هذا بيان أن زوجة النّبي إذا أخطأت لا يخفِّف مِن عقوبتها كونُها زوجة للنبي، بل يزيد ذلِكَ مِن إثمها وعقوبتها، كما أن ضلال الزوجة وكفرها لا يوهن من قيمة النّبي ونزاهته، فكل شخص يحاسب عن نفسه ﴿كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾.

وقد ذكر الأستاذ توفيق أبو علم أحد خريجي الأزهر، في مجلة أكتوبر المصرية العدد ١٣ تاريخ يناير ١٩٧٧، في صدد تفسيره لآية التطهير والآيات المرافقة لها مِن سورة الأحزاب، ما يؤكد أن آية التطهير نزلت مختصة بالخمسة أصحاب الكساء دون غيرهم مِن الأقارب والنساء، على رغم أن الآيات السابقة لآية التطهير والآيات اللاحقة كلها تختصّ بنساء النبي.

وقال: إن الذي يجزم بأن النساء غير داخلات في آية التطهير ما يلي:

(٤). إذا كان الخطاب في كلّ هذه الآيات للنساء، فلماذا كلّ الآيات

(١) سورة التحريم ١٠

السابقة لآية التطهير جاءت بخطاب نون النسوة إلا آية التطهير ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

ولو كان المراد بهذه الآية الإفصاح عن عصمة النساء لقال ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾. ثمّ استأنف التأنيث بعد آية التطهير فقال ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾. إذن فالتأنيث المتكرر في كلّ الآيات السابقة لآية التطهير واللاحقة لها هو مقصود الدلالة. وأما آية التطهير فهي ليست للنساء.

(٥). إذا كان نساء النّبي لسن المقصودات بآية التطهير، فمَن هم المقصودون بها؟. للإجابة على هذا السؤال نذكر أن للرسول الكريم وأهله بيتين؛ بيت الزوجية وبيت النبوة. أما بيت الزوجية فلم يكن بيتاً واحداً وإنما كان بيوتاً متعددة تسكنها زوجاته كما توحي بذلك صيغة الجمع لها في ﴿بُيُوتِكُنَّ﴾. وأما بيت النبوة فقد كان منحصراً في بيت واحد هو بيته الخاص الذي تسكنه ابنته الزهراء وابن عمه علي. ولو أراد الله بآية التطهير الذين في البيوت لجمعها وقال ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾. ومعنى ذلِكَ أن ذكر ﴿الْبَيْتِ﴾ مفرداً ومتوسطاً بين آيتين في كلٍّ منهما جاء ذكر البيت بالجمع، دليل على أن هذا المفرد ليس مِن تلك البيوت، وأن أهله ليس مثل أهلها. فقد كان كلّ فرد من هذا البيت الطاهر أطوعهم إلى امتثال أمره ونهيه، صلوات الله وسلامه عليه وعلى أهل بيته الطاهرين.

(٦). إن بيت الزوجية ينعقد بإيقاع العقد الشرعي، ويتقوّض بكلمة واحدة تؤذن بالطلاق، فإذا البيت ينهدم، وإذا بالزوجة تصبح امرأة أجنبية تخرج مِن بيته إلى أهلها. أما بيت النبوة فهو معقود بالنسب الذي لا انفكاك له، كما أنه منعقد بالعصمة والطهارة التي جاءت الآية لتبيّنها. وكم الفرق بين

بيت راسخ على العصمة، وبين بيت متقلقل على كلمة.

(٧). في الآيات السابقة لآية التطهير تهديد ووعيد لنساء النّبي بأنهن إذا لم يطعن الله ورسوله وأصررن على حبّ الدنيا، فإن النّبي ﷺ سوف يطلقهن ويسرّحهنّ. وهذا المعنى يتنافى مع التطهير، بل يدلّ على عدم التطهير، وهو قوله تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾. كما أن هذه الآيات تنصّ على أن مَن تعمل صالحاً مِن النساء يكن ثوابها مضاعفاً، ومَن تعمل فاحشة يكن عقابها مضاعفاً، وهذا الكلام أيضاً يتنافى كلياً مع التطهير. يقول تعالى ﴿يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَـٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾[1].

ولا ننسى في هذا المجال اتفاق السيدة حفصة مع السيدة عائشة ضدّ النّبي ﷺ حتى نزلت سورة كاملة بتعزيرهما وتأنيبهما، وهي سورة التحريم، وفيها يقول تعالى يخاطبهما ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ أي مالت عن الحقّ إلى الباطل ﴿وَإِن تَظَـٰهَرَا عَلَيْهِ﴾ أي تتّفقا ضدّه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ﴾ أي نصيره ﴿وَجِبْرِيلُ وَصَـٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ ...﴾. وفي هذا أيضاً تهديد لهما بالطلاق وبيان أنهما في هذا الأمر ليستا على حقّ.

ومن الأدلة القرآنية على أن التطهير هو مِن خصائص الخمسة أصحاب الكساء دون غيرهم، أن النّبي ﷺ لما أراد مباهلة نصارى نجران حين قدموا إلى المدينة، لم يقدّم للمباهلة إلا هؤلاء الخمسة، ولم يضمّ إليهم أية زوجة مِن زوجاته رغم كثرتهن، وكون بعضهن صالحات. مما يدل على أنهن في مرتبة ثانية بالنسبة لأهل بيته الخاص.

---

(١) سورة الأحزاب ٣٠

جواب (ب): ما هي مكانة أهل بيت الرسول لدى المسلمين؟:

إن مكانة أهل البيت عليهم السلام عند المسلمين لا يختلف عليها اثنان، وتأتي مكانتهم مِن أنهم مطهرون مِن كلّ رجس ودنس، وأنهم القدوة المثالية لكل المسلمين. لكنه مِن الشطط أن نرفع أي إنسان مِن غيرهم إلى درجتهم، ولو كان مِن الزوجات أو الأصحاب، فلكل إنسان مقامه الذي بوّأه الله إياه.

وهنا لابدّ لي مِن بيان المعنى المقصود مِن عبارة (آل بيت النّبي) والتي ترد كثيراً في الكتب. فلهذه العبارة عدة معانٍ، حسبما يراد بها المعنى الخاص أو المعنى العام، فهي تطلق وفق أربعة معان ودرجات:

(١). الخمسة أصحاب الكساء: وهم حصراً النّبي صلى الله عليه وآله وسلم والإمام علي وفاطمة والحسنان عليهم السلام. وهم أهل البيت الذين كانوا موجودين في حياة النّبي صلى الله عليه وآله وسلم ونزلت فيهم آية التطهير.

(٢). المعصومون الأربعة عشر: وهم الخمسة السابقون مضافاً إليهم تسعة أئمة مِن سلالة الحسين عليه السلام، أولهم زين العابدين وآخرهم المهدي عجل الله فرجه. وهذا هو المفهوم المنتشر عند معظم الشيعة الذين سمّوا الاثنا عشرية. ويمكن أن نعبّر عنهم بأنهم النّبي صلى الله عليه وآله وسلم وفاطمة الزهراء والأئمة الاثنا عشر.

(٣). أهل البيت بالمعنى الموسّع: وهم كلّ مِن ولد مِن سلالة النّبي صلى الله عليه وآله وسلم التي انحصرت في فاطمة والإمام علي عليه السلام.

(٤). آل النبي بمعنى عشيرته: وهم كلّ الأسر المتفرعة مِن جدّ النّبي هاشم؛ وهم آل علي وآل عقيل وآل العباس. وهؤلاء هم الذين حُرموا الزكاة والصدقة بعده كرامةً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأُعطوا عوضاً عنها مِن الخُمس.

جواب (ج): ما هي الأدلة على مكانة أهل البيتعليهم السلام مِن السنة الشريفة؟.

لقد استفضنا بالحديث حول الدليل القرآني على طهارة وعصمة ومكانة أهل البيتعليهم السلام. أما الدليل مِن السنة، أي مِن أقوال النّبيصلى الله عليه وآله وسلم، فهو مِن السعة والرحابة بحيث يملأ المجلدات. ويكفي لمراجعة ذلِكَ تصفح كتاب (فضائل الخمسة في الصحاح الستة)تأليف السيد مرتضى الحسيني الفيروزآبادي، وقد جمع في هذا الكتاب فضائل أصحاب الكساء الخمسة مِن كلّ الكتب التي يعتبرها السنة موثوقة وصحيحة، وهي: صحيحا البخاري ومسلم ومساند الترمذي وابن ماجة وأبو داود والنَّسائي.

السؤال الرابع: ما هي مكانة السيدة زينبعليها السلام لدى المسلمين؟.

الجواب: إن نظرة المسلمين إلى أهل الرسولصلى الله عليه وآله وسلم وأقربائه لا تعدو كونهم الامتداد الطبيعي له؛ مادياً ومعنوياً، فكرياً وعقائدياً. وأما سيدات أهل البيتعليهم السلام فهم في نظر المسلمين مثال القدسية والطهارة، والعفّة والنزاهة. تبدؤهم فاطمة الزهراءعليها السلام سيدة نساء العالمين، ثمّ ابنتها زينب العقيلةعليها السلام، ثم بنات الحسينعليه السلام مثل فاطمة وسكينة...

وفي حين كان نساء أهل البيتعليهم السلام مستورات في بيوتهن عن عيون الناس، فقد كنّ يقمنَ بواجب نشر الرسالة في صفوف النساء، فكانت بيوتهن مناراً للهداية والإسلام. لكن ذلِكَ لم يمنعهنّ مِن القيام بواجبات أخرى خارج البيوت إذا دعت الحاجة إلى ذلِكَ.

وقد كان مِن تخطيط الحسينعليه السلام حين خرج إلى كربلاء، أن تلعب نساء أهل البيتعليهم السلام دوراً في المعركة، فحملهنّ معه جميعاً مِن مكة إلى العراق، رغم نصيحة بعض أصحابه له بعدم ذلِكَ.

وكان أبرز دور لهؤلاء النسوة هو دور زينب عليها السلام باعتبارها أكبرهن سناً وأعلاهن مقاماً وقدراً. وبهذا نجد أن زينب أعطت للدين والمبدأ كلّ ما عندها؛ سواء حين كانت أسيرة بيتها، أو حين صارت أسيرة في يدي أعدائها. فعملت على إحياء دين جدها، على صعيد واحد مع أخيها الحسين عليه السلام، فاكتسبت المكانة الجلّى، ليس في عيون المسلمين فحسب، بل في نظر الناس أجمعين.

السؤال الخامس: ما هو تقييمكم لمعركة كربلاء، وما رأيكم بدور السيدة زينب عليها السلام بعد مقتل أخيها الحسين عليه السلام؟.

الجواب: معركة كربلاء قَدَر إلهي خُطّط له مِن عهد النّبي صلى الله عليه وآله وسلم. وهو ليس حدثاً جديداً في الإسلام، فكل رسالة سماوية سابقة كانت مترافقة بالتضحية والفداء والصبر والابتلاء.. كم قاسى نوح عليه السلام.. كم قاسى المسيح عليه السلام.. كم قاسى كلّ الأنبياء؟.

وكما امتحن اللّهُ سيدنا إبراهيم عليه السلام بابنه إسماعيل، ليختبر صلابة إيمانه، ويعطي للمؤمنين درساً عن الاستجابة الصادقة لله ربّ العالمين، كذلك امتحن اللّهُ سيدنا محمّداً بأعزّ أهله وهو الحسين عليه السلام، ليعطي درساً واقعياً عن صفات المؤمن الحقّ، الذي ينهض لفداء دينه عندما يعتريه أي خطر أو ضيم.

ولنعم ما قال الشاعر إقبال في هذا المعنى:

في الكعبة العليا وقصتها
نبأٌ يفيض دماً على الحجرِ
بدأتْ بإسماعيلَ عِبرتها
ودم الحسين نهاية العبر

ومن هذا المنطلق قام الحسين عليه السلام بنهضته ليعيد للدين هيبته، وليوقظ النائمين الذين غفلوا عما آل إليه الدين مِن ضياع وانحراف.

يقول الإمام الحسين عليه السلام قبل مغادرته المدينة إلى مكة:

«إني لم أخرج أَشِراً ولا بَطِراً، ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجتُ أطلب الإصلاح في أمة جدي محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر».

ولأنّ مشروع الحسين عليه السلام كان مشروعاً مدروساً ومخططاً سابقاً، وكانت أبعاده إيديولوجية بعيدة المدى، وليست مجرد حركة وقتية ذات طابع شخصي مادي، آثرنا أن نسمي حركته (نهضة) وليس (ثورة).

أما بالنسبة لدور زينب عليها السلام في نهضة أخيها، فلقد كانت شخصية زينب شخصية كفاحية فريدة، بمعنى أنها كانت عندها مقومات الشجاعة والجرأة والبسالة والجهاد بكل سبيل. وهذه الحقيقة حدت بأبيها علي عليه السلام إلى ترشيحها للقيام بدور البطلة مع أخيها الحسين في كربلاء. فلما خطبها ابن عمها عبد الله بن جعفر شرط عليه السماح لها بالذهاب مع أخيها الحسين إلى كربلاء إذا اقتضت الظروف ذلِكَ. فقد كانت هذه الواقعة معروفة لدى النّبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلي وأهل البيت عليهم السلام قبل حدوثها، والأخبار في ذلِكَ مستفيضة. والحسين عليه السلام وهو سائر إلى كربلاء كان يذكر الموت وينعى نفسه كإنسان متيقّن مِن الموت. يقول عليه السلام:

«خُطَّ الموتُ عَلى وُلد آدمَ مَخَطَّ القِلادة عَلى جِيد الفتاة. وما أولهني إلى أسلافي اشتياقَ يعقوب إلى يوسف!. وخِيرَ لي مصرعٌ أنا لاقيه».

وهكذا كان مسير الحسين عليه السلام إلى كربلاء، ومعه زينب جنباً

إلى جنب، يخططان للنهضة المباركة. وحين قُتل الحسينعليه السلام بأبشع صورة، وقبل أن تودّع زينبعليها السلام أرض الشهادة، وقفت على جسد أخيها الحسين المرمّل بالدماء، وبسطت يديها تحت بدنه المقدس، ورفعته إلى العلاء، وقالت: «إلهي تقبّلْ منا هذا القربان». أجل إنه القربان الذي قدّمه أهل البيتعليهم السلام فداءً للدين الإسلامي المجيد. وهذا القول يدلنا على أن زينبعليها السلام كانت قد أخذت على نفسها أن تقوم بتلك النهضة المقدسة كأخيها الحسينعليه السلام. فقامت بعد استشهاده لتتابع النهضة وتكمل أهدافها، وتحقق مراميها البعيدة.

وفي عشية يوم عاشوراء وبعدما حرقوا كلّ خيام الحسينعليه السلام حتى خيمة النساء، لملمت زينب الأطفال والنساء في مكان واحد، وطلبت مِن قائد جيش ابن زياد وهو (عمر بن سعد) خيمة لتبيّت فيها النساء. وكانت مع ذلِكَ لا تتوانى عن رعاية ابن أخيها زين العابدينعليه السلام الذي كان عمره ثلاثاً وعشرين سنة، وهو مريض يعالج الموت.

وفي صبيحة اليوم التالي شُدّ سبايا أهل البيتعليهم السلام بالحبال وأُخذوا أسارى إلى والي الكوفة (عبيد الله بن زياد). هناك بدأت زينب دورها في المعركة التي لم تنته. وحين قال لها ابن زياد شامتاً: كيف رأيتِ صُنعَ الله بأخيك وأهل بيتك؟ قالتعليها السلام: «ما رأيت إلا جميلاً. هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل، فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع اللّهُ بينك وبينهم، فتُحاجَّ وتُخاصم؛ فانظر لمن الفَلَج (أي الفوز) يومئذ، ثكلتك أمّك يابن مرجانة!».

ووضع السبايا في سجن الكوفة، حتى جاء الأمر مِن يزيد في دمشق بتسييرهم مع الرؤوس مِن أطول طريق مأهول، وهو طريق الجزيرة السورية. فأركبوا السبايا على جمال بدون وِطاء، وأركبوا زين

العابدينعليه السلام على جمل أظلع (أي أعرج)، وسلكوا بهم طريق الشمال إلى تكريت فالموصل، ثمّ عرّجوا بهم غرباً إلى نصيبين فالرقة فحلب، ثمّ انعطفوا بهم جنوباً إلى قنسرين فحماة فحمص فبعلبك، حتى وصلوا دمشق.

وزيّن يزيد دمشق لمهرجان النصر، ثمّ أدخلوا السبايا والرؤوس وعددهم ١٧ رأساً، فأوقفوهم ساعة عند باب جيرون، ثمّ ساعة عند باب الفراديس، وساعة عند باب الساعات، حتى وضعوهم على درج المسجد الجامع (النوفرة)، والحبال والسلاسل مربوطة مِن أيديهم إلى أعناقهم. ثمّ سمح لهم يزيد بالدخول عليه، ليشفي غلّه وحقده.

وهناك وجدت زينب الفرصة المواتية لها للإفصاح عن مخططها. فخطبت في جموع الحاضرين في مجلس يزيد خطبة جليلة مشهودة، حتى ظنّ الحاضرون أن أباها علي بن أبي طالبعليه السلام قد خرج مِن قبره يخطب فيهم. ومما قالت ليزيد مستهزئة به:

«فكِد كيدك، واسعَ سعيك، وناصبْ جهدك، فواللهِ لا تمحو ذكرنا، ولا تميت وحينا، ولا تدركُ أمدنا، ولايرحض عنك عارُها. وهل رأيك إلا فَنَد[1]، وأيامك إلا عدد، وجمعك إلا بَدَد، يَوم ينادي المنادي: ألا لعنة الله عَلى الظالمين».

ومن رحمة الله أن أيام يزيد لم تطل، فقد مات بعد أربع سنوات مِن حكمه، ولما يجاوز عمره ٣٨ عاماً.

وكلام زينبعليها السلام يبيّن أن ما عمله يزيد يريد به محو الإسلام وأعلامه، سوف ينقلب عليه، وسوف يزيد الإسلام قوة عوضاً عن

---

(١) الفَند: الكذب وضعف الرأي.

إضعافه. وفي الحقيقة إن نهضة الحسين وزينب عليهما السلام بما فيها مِن مآس لا توصف، قد أيقظت النائمين ونبّهت الغافلين إلى الخطر المحيق بالإسلام، نتيجة تولي أمثال يزيد قيادة المسلمين. فكانت تلك النهضة سبباً لنشوء ثورات كبيرة ضدّ مُلك بني أمية؛ المنحرف عن الإسلام، والمتحكم باسم الإسلام. مثل ثورة التوابين بقيادة سليمان بن صُرَد الخزاعي، وثورة المختار بن أبي عبيدة الثقفي، وثورة زيد بن علي وغيرهم. ففي حين كان مِن المقدَّر لدولة الأمويين أن تعيش ٣٠٠ سنة، فإن ثورة الحسين عليه السلام قد عجّلت عليها واختزلتها إلى نحو ثمانين سنة.

السؤال السادس: ما هو رأي الإسلام في زيارة مقامات الرسول وأهل بيته أو الصحابة أو الأولياء، والتبرك بآثارهم؟ وما هي الأدلة على ذلِكَ مِن القرآن الكريم والسنة الشريفة؟.

الجواب: إن أولياء الله مِن الأنبياء والأئمة والصالحين هم الأدلاّء إلى الله. وإن قبورهم ومقاماتهم ومشاهدهم هي مِن شعائر الله، وإن إقامتها وتعظيمها هو مِن تقوى الله، واللّهُ يقول: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾.

ومِن هذا القبيل ما نراه في الإسلام مِن تعظيم مشاعر الحج، كالكعبة المشرفة والحجر الأسود، والصفا والمروة، وجبل عرفات والمشعر الحرام، ومنى وغيرها. فكل مكان يدفع المؤمن إلى ذكر الله فهو مِن شعائر الله. ومن أهم ذلِكَ قبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومراقد الأئمة والأولياء. وإن تقديس المسلمين لهذه المواضع والأمكنة ليس هو تعظيم للأشخاص المدفونين فيها بصفتهم الشخصية، بل تعظيم للقيم التي يحملونها، باعتبارهم كانوا أعلام الهدى ومراجع التقوى.

وأما الذين يحرّمون بناء المساجد على قبور الأولياء، فهذا مردود

عليهم بنصّ القرآن. فلكرامة أهل الكهف أقام المؤمنون عليه مسجداً، يذكرون فيه اسم الله ويعظمونه، اقتداء بأهل الكهف الذين قال اللّهُ فيهم: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ إلى أن يقول: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾[1].

السؤال السابع: ما رأيكم في زيارة مرقد السيدة زينب عليها السلام؟ وهل تقومون بزيارته؟.

الجواب: لقد عظّم المؤمنون مقام السيدة زينب عليها السلام انطلاقاً مِن تعظيمهم لله ولشعائر الله، حتى غدا المقام آية في الروعة والهندسة المعمارية، كما أصبح مهوى القلوب والأفئدة، وحرماً آمناً للزوار، مِن كلّ البلاد والأقطار. وإنني أزوره في بعض الأيام تعظيماً لصاحبته وجهادها، واعترافاً مني بأعمالها وتضحياتها، وتذكراً للمبادئ التي عملت مِن أجلها؛ فلولا تضحيات زينب والحسين عليه السلام وشهداء الطف، لزال الإسلام وما بقي له أثر، فكل المسلمين مدينون لهم بالفضل في استمرار الإسلام وبقائه إلى يومنا الحاضر.

وأثناء زيارتي لمقام زينب عليها السلام أرى المؤمنين يعكفون حول الضريح في الدعاء وقراءة القرآن، متذكرين ذنوبهم وآثامهم، متوسلين بقيمة زينب عند الله أن يغفر لهم تلك المساوئ، ويرزقهم شفاعة محمّد وآل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد زعم بعض المسلمين أنه لا يجوز التوسل إلى الله عن طريق أوليائه، فالله لا يحتاج إلى واسطة. ولكنهم أخطؤوا في زعمهم، فالله يدعو إلى الأخذ بالوسيلة، وهو يقول ﴿وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾. فالله سبحانه بمقام ومنزلة محمّد وآل محمّد يغفر لمحبيهم ومواليهم إذا

---

(١) سورة الكهف ٢١

توسلوا بهم. فالمقصود بالدعاء هو الله تعالى وليس الوسيلة المقدمة إليه. ولو كان اللّهُ لم يشرّع للداعي الوسيلة فلماذا كان المسلمون يقصدون النّبيﷺ ويترجّوه أن يدعو لهم، ولماذا أمرهم اللّهُ بذلك، ولم يطلب منهم الدعاء إليه مباشرة، وهذا منطوق قوله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[1]. وهذه الآية مكتوبة في لوحة معلقة فوق الباب الرئيسي لقفص قبر النّبيﷺ في المدينة المنورة.

السؤال الثامن: ما هي انطباعاتكم عن تطور البناء في مقام السيدة زينبعليها السلام؟.

كثيرة هي مقامات الآل والأصحاب في دمشق وسورية، ولكن لم نشهد تطوراً في مقام منها مثل الذي شهدناه في مرقد السيدة زينبعليها السلام. فاللّهُ سبحانه يوجّه المؤمنين للإقبال إلى مشاهد أوليائه، كلّ حسب قيمته وجهاده. وزينبعليها السلام هي في الدرجة العليا عند الله، في الدنيا والآخرة.

لقد كان مرقد العقيلة صغيراً وضيقاً منذ أربعين سنة، ثمّ بدأ بالتوسع حتى صار روضة رحيبة مدهشة. فعدا عن الفن المعماري الأصيل في وضع القبة والأعمدة، فإن الكسوة الداخلية تدهش الألباب والأبصار. فمِن فنّ المرايا، إلى فن القيشاني، إلى الكتابات القرآنية والأسماء؛ كلّ ذلِكَ بمنظر منسّق بديع، لا يسمح لنا إلا شكر القائمين على تحسين المقام ورعايته، والاعتراف بجهودهم الكبيرة التي يجدون ثوابها عند الله إن شاء اللّهُ.

---

(١) النساء ٦٤

السؤال التاسع: ما هي أمهات الكتب التي تنصحوني بها لدراسة القرآن الكريم والسنة النبوية والتاريخ الإسلامي، باعتباري مستشرقة مسيحية؟.

الجواب: بالنسبة لتفسير القرآن مِن أفضل التفاسير: التفسير الكبير للفخر الرازي، وتفسير ابن كثير، وكذلك تفسير (مجمع البيان) للعلامة الطبرسي. وبالنسبة للتفاسير الحديثة: تفسير الظلال لسيد قطب، وتفسير الميزان للعلامة السيد محمّد حسين الطباطبائي، وتفسير (الكاشف) للشيخ محمد جواد مغنيّة.

وبالنسبة للحديث هناك الصحاح الستة عند السنة، وكذلك الكتب الأربعة عند الشيعة وهي: (الكافي) للكليني، و(التهذيب) و(الاستبصار) للشيخ الطوسي، و(مَن لا يحضره الفقيه) للشيخ الصدوق. وقد جُمعت أحاديث الكتب الأربعة بعد تنسيقها في كتاب واحد هو (وسائل الشيعة) للحرّ العاملي. ومن الجدير بالذكر أن كتب الحديث عند الشيعة هي مستودعات للحديث، ولا يعتبرون كلّ ما ورد فيها صحيحاً، فوظيفة العالم المجتهد تمحيص تلك الأحاديث وتصحيحها. وقد ظهرت عدة كتب في هذا الشأن حديثاً، مثل كتاب (أضواء على السنّة المحمدية) للشيخ محمود أبو ريّة، وكتاب (خمسون ومئة صحابي مختلقة) للسيد مرتضى العسكري، وكتاب (أبو هريرة) للسيد عبد الحسين شرف الدين، الذي أثبت فيه نحو مئة حديث مِن صحاح السنة تتنافى مع العقل والقرآن.

أما المصادر التاريخية، فمن أفضلها (تاريخ الطبري) و(تاريخ ابن الأثير)، و(تاريخ اليعقوبي) وتاريخ (مروج الذهب) للمسعودي.

ونذكر فيما يلي بعض المصادر الخاصة بوقعة كربلاء:

مِن الكتب القديمة: مقتل الحسين للخوارزمي ـ اللهوف على قتلى الطفوف لابن طاووس ـ مثير الأحزان لابن نما الحلي ـ الإرشاد للشيخ المفيد.

ومن الكتب الحديثة: مقتل الحسين لعبد الرزاق المقرّم ـ خطب الإمام الحسين على طريق الشهادة للمؤلف لبيب بيضون.

وختاماً أتمنى للمستشرقة (إيرينه كالزوني) النجاح والتوفيق في المهمة التي عملت مِن أجلها، وذلك في سبيل نشر العلم والمعرفة في أصقاع المعمورة.

دمشق في ١٩٨٨/٥/٥

لبيب بيضون

مدير أعمال في كلية العلوم

بجامعة دمشق

الفصل السادس

زينب العقيلة عليها السلام ومرقدها

رقية بنت الحسين عليها السلام ومرقدها

السيدة زينب العقيلة عليها السلام

تمهيد

يمكن أن نذكر مِن النساء اللواتي كُنَّ حول الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء؛ السيدة زينب العقيلة الأخت الكبرى للحسين عليه السلام، والطفلة رُقَيَّة البنت الصغرى للحسين عليه السلام، وكلتاهما كانتا في ركب السبايا مِن الكوفة إلى دمشق.

وسوف أتكلم عن بعض كرامات زينب العقيلة عليها السلام، وعن القفص الفضي الَّذي أهداه إلى ضريحها المقدس في ضاحية دمشق التاجر الباكستاني الكبير محمّد علي حبيب. والآن أستهل هذا الفصل بالكلام عن الصندوق الَّذي أهدي إلى جثمانها الشريف عام ١٩٥٥ في حفل مهيب.

إهداء الصندوق العاجي لضريح السيدة زينب

نشرت مجلة العرفان ـ مجلد ٤٢ ص ٩٢٣ عن الصندوق العاجي المهدى لضريح السيدة زينب عليها السلام قالت:

أهدت إيران حكومةً وشعباً صندوقاً أثرياً مِن العاج والآبنوس المطعّم بالذهب لضريح السيدة زينبعليها السلام المدفونة في ظاهر دمشق (قرية راوية)، وهو مِن صنع الفنان الإيراني الحاج محمّد صنيع، وبقي في صنعه ثلاثين شهراً. وقدّر ثمنه بمائتي ألف ليرة سورية. وله غطاء مِن البلور. وقد أحضرته بعثة إيرانية رسمية، وأقيمت حفلة كبرى لوضعه فوق الضريح المقدس في ٢٠ نيسان ١٩٥٥.

هذا وقد طلبت مني مجلة (فارس العرب) كلمة عن السيدة زينب العقيلةعليها السلام فكتبت بعنوان:

زينب عليها السلام ومرقدها (نسبها، حياتها، جهادها، وفاتها، قبرها في راوية الشام)

توطئة

حازت أم المؤمنين خديجة عليها السلام زمام الفضل والشرف، عندما ولدت للنبي محمّد صلى الله عليه وآله وسلم أكثر أولاده؛ وهم مِن الذكور اثنان: القاسم وعبد الله، ومن البنات أربع: زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة. وكانت فاطمة عليها السلام أصغر بناته وأحبهن إلى قلبه، لاسيما أنها الوحيدة التي بقيت مِن أولاده عند وفاته، وفيها انحصر نسله الشريف.

وقد كانت فاطمة تلقّب بالزهراء، لأن وجهها يطفح بالنور والبشر والسحر والجمال. وقد خطبها الكثيرون مِن أكابر الصحابة، فامتنع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم مِن تزويجها قائلاً: أنتظر أمر ربي فيها. حتى نزل جبرئيل عليه السلام يأمره بتزويجها مِن ابن عمها علي بن أبي طالب عليه السلام، الَّذي كان قد ربّاه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في حجره. وكان علي عليه السلام فقيراً مِن المال، ولكنه غني مِن الدين والتقوى، فكان قِران علي بفاطمة عليها السلام قران قلبين نابضين بالهدى والطهارة والتقى والفضيلة، لاسيما أنهما مِن الخمسة

أصحاب الكساء الذين طهّرهم اللّهُ بنصّ القرآن.

وُلدت فاطمةعليها السلام بعد البعثة بخمس سنين، وعندما بلغت العاشرة، وذلك بعد الهجرة بسنتين، كان زواجها الميمون مِن ابن عمها عليعليه السلام، في بيت بجنب بيت أبيهاصلى الله عليه وآله. وكان العطاء الإلهي كبيراً عَلى هذه الأسرة المختارة، حين ولدت فاطمة للإمامعليه السلام أربعة أولاد عَلى التوالي هم: الحسن والحسين وزينب الكبرى وأم كلثومعليهم السلام.

وكانت بين الحسين وزينب وشيجة قوية مِن الألفة والمحبة، ظهرت جلية في إيثار زينب تركَ زوجها وملازمة أخيها الحسينعليه السلام عند مسيره إلى كربلاء، بل في مشاطرتها له في نهضته المقدسة، التي كان هدفها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإحياء الدين الَّذي كاد أن يندثر. ففي حين جرّ الحسينعليه السلام خصومه ليقتلوه في كربلاء بأفظع طريقة يمكن أن يتصورها إنسان، وذلك لتكون تلك الحادثة باعثاً قوياً لكل المسلمين، لكي يتنبّهوا مِن غفلتهم ويستيقظوا مِن رقادهم؛ قامت زينب العقيلة مِن بعده بالدور الإعلامي الهادف، تبيّن مِن خلاله مقاصد نهضة أخيها الحسينعليه السلام، وتفصح عن زيف الحكام المستكبرين، وتفضح مخططاتهم الضالة وأساليبهم الخادعة، وقد اتخذوا مِن الدين رداءً يتستّرون به، ويلبسونه مادام يحقق مآربهم وغاياتهم، وقد قلبوا تعاليم الإسلام في الشورى إلى ملكية وراثية.

وبحقٍ أقول إن زينب بنت عليعليهما السلام في مواقفها الجريئة الصامدة في كربلاء وبعدها، وفي وقفتها الجسورة أمام الحكام العتاة والولاة الطغاة، استحقت أن تدعى (بطلة كربلاء)، كما دعيت مِن بعدها (جاندارك) بطلة فرنسا.

مَن هي زينب العقيلة؟

الزَّيْنَب: شجر حسن المنظر طيّب الرائحة، وبه سمّيت المرأة. وقيل: هي كلمة مركبة أصلها: زينُ أب.

وقد أكثر أهل البيتعليهم السلام مِن تسمية (زينب)، أولاهن زينب بنت النبيّصلى الله عليه وآله.. وأعظم هذه الزينبات بلا منازع زينب بنت الإمام عليعليه السلام التي ولدتها فاطمة الزهراءعليها السلام. وإنما يقال لها (الكبرى) للتفريق بينها وبين شقيقتها التي سمّيت زينب وكنّيت بأم كلثوم. وتدعى زينب أيضاً (بالعقيلة) لأنها كانت ذات عقل راجح.

ولدت زينب العقيلةعليها السلام في ٥ جمادى الأولى سنة ٦ هـ بعد أخيها الحسينعليه السلام بسنتين.

قال ابن الأثير: «كانت زينبعليها السلام عاقلة لبيبة جزلة. زوّجها أبوها مِن ابن عمها عبد الله بن جعفر الطيار، فولدت له أربعة أولاد، منهم عون ومحمد اللذان استشهدا بين يدي الحسينعليه السلام بكربلاء، ومنهم علي وأم كلثوم. وكانت زينب مع أخيها الحسينعليه السلام لما قُتل، ثم حُملت إلى دمشق وحضرت عند يزيد، وكلامها ليزيد يدل عَلى عقل وقوةِ جَنان».

زينب العقيلة في دمشق

أتمت زينب العقيلةعليها السلام مسيرة جهادها في دمشق، بعد أن سيّرها والي الكوفة عبيد الله بن زياد مِن الكوفة إلى دمشق مع الإمام زين العابدين علي بن الحسينعليه السلام وسبايا أهل البيتعليهم السلام مِن النساء والأطفال، بأمر مِن يزيد.

ولما دخلت عليها السلام على يزيد في قصره شرقي المسجد الجامع، ورأت رأس أخيها الحسين عليه السلام وقد وُضع أمامه عَلى طشت مِن ذهب، فجعل ينكث بقضيبه ثغر الحسين عليه السلام وثناياه مختالاً فخوراً، ثم أنشد متمثلاً بأشعار ابن الزِّبَعْرَى المشرك:

ليتَ أشياخي ببدرٍ شهدوا
جزعَ الخزرج مِن وقعِ الأسَلْ
لأهَلّوا واستَهَلّوا فرحاً
ثم قالوا: يا يزيدُ لا تُشَل
قد قتلنا القَرمَ مِن ساداتهم
وعدلناهُ ببدرٍ فاعتدَل
لعبتْ هاشمُ بالمُلك فلا
خبرٌ جاء ولا وحيٌ نزل

فلما سمعته زينب عليها السلام لم تتمالك نفسها أن وقفت وخطبت خطبتها المشهورة، ومنها قولها ليزيد:

«فكِدْ كيدَك، واسْعَ سَعيَك، وناصِب جُهدَك، فوالله لا تمحو ذِكرَنا، ولا تُميتُ وحيَنا، ولا تُدرِكُ أمَدَنا، ولا يَرحَضُ عنك عارُها. وهل رأيُكَ إلا فَنَد (أي ضعيف)، وأيامك إلا عَدَد، وجمعُك إلا بَدَد، يوم ينادي المنادي: ألا لعنة الله عَلى الظالمين».

وبعد أن قضى السبايا مدة في دمشق، سيّرهم يزيد إلى المدينة المنورة مع الصحابي النعمان بن بشير الأنصاري، وذلك ليمتص نقمة الناس عليه.

وفاة العقيلة عليها السلام

ورجعت زينب عليها السلام إلى أسرتها وزوجها عبد الله بن جعفر في المدينة، ولكن القدر شاء أن ترجع ثانية إلى دمشق لتدفن هناك. فقد حصل جدب وقحط في الحجاز، وكانت لعبد الله بن جعفر حُظوة عند الأمويين، وكان أن اشترى أرضاً جنوب دمشق في قرية (راوية) التي أصبحت فيما بعد تدعى (قبر الست). فأشار عَلى زينب عليها السلام أن يذهبوا إلى الشام ويستقروا في أرضهم هناك، فوافقت. وأتوا دمشق وحلّوا في قرية (راوية) وقد سميت بهذا الاسم لأنها كانت مجمع ينابيع وأنهار وأشجار. وهناك تمرّضت السيدة زينب عليها السلام مِن وعثاء السفر ومما هاج في قلبها مِن أحزان وأشجان، وتوفيت سنة ٦٥ هـ عن عمر يشارف الستين عاماً، فدفنت في أرض زوجها. ولما توفي عبد الله بن جعفر فيما بعد سنة ٨٠ هـ دفن في مقبرة باب الصغير، حيث قبره هناك معروف ومشهور.

مرقدها الشريف

يقع مرقد العقيلة زينب عليها السلام عَلى بعد ١٠ كم جنوب دمشق في قرية (راوية)، وقد تولى سدانته السادة النجباء مِن آل مرتضى كابراً عن كابر، فعملوا عَلى توسعته وهندسته بكل ما أوتوا مِن قوة، حتى صار محجّة للمؤمنين والسائحين مِن أقطار الأرض، يزورون فيه بطلة كربلاء التي علّمت العرب والمسلمين والبشرية مبادئ العزة والكرامة، والتحرر والإباء.

كان أول قفص فضي أهدي للقبر الشريف أهداه أحد أعيان باكستان، وهو السيد الوجيه محمّد علي حبيب، وذلك أنه كان له ولدٌ

مشلول، فجاء دمشق وتوسل إلى الله العلي القدير بكرامة زينب عليها السلام أن يعافي ابنه، ونذر عَلى نفسه إن برئ الولد أن يهديها قفصاً فضياً. وما أن عاد الوجيه إلى بلده حتى وجد ابنه يمشي، فأهداها هذا القفص الفضي النادر وذلك عام ١٩٥٢ م، وهو يزن ١٢ طناً، ومحلّى بالجواهر الكريمة النادرة.

وفي ٢٠ نيسان ١٩٥٥ أهدتها الحكومة الإيرانية صندوقاً مِن الأبنوس والموزاييك والعاج، المطعّم بخيط مِن الذهب، فوضع عَلى القبر الشريف ضمن القفص، وهو مِن شغل الفنان الإيراني الحاج محمّد صنيع خاتم، وقد بقي في صنعه ثلاثين شهراً.

وفي عام ١٩٦١ أهدى بعض تجار إيران باباً مذهباً للحرم وضع في مدخله الغربي، كما أهدي بابان مذهبان آخران للمدخلين الشمالي والقبلي.

وفي عام ١٩٩٤ استبدل القفص السابق بقفص آخر مِن الفضة المذهبة والمينا، تبرع به السيد عباس حسن فروش مِن إيران، وهو الموجود حالياً.

وصف مقام السيدة زينب عليها السلام

يقع البناء الجديد عَلى مساحة ١٥٠ × ١٩٠ م، أما المساحة المخصصة للحرم فهي ٩٠ × ٩٠ م، تحيط به سبعون غرفة، نُفّذ أمامها أروقة بعرض ٤م تحيط بالصحن، يتخللها أربعة مداخل مِن الجهات الأربع. أما الحرم فله أربعة أبواب ذهبية، ويحيط به رواق بعرض أربعة أمتار، وكل واجهاته مرصوفة بالقاشاني، ومزيّنة بالكتابات والآيات القرآنية. أما

جدران الحرم مِن الداخل فقد تمّ إكساؤها بالمرايا الرقيقة العاكسة عَلى طراز فني جميل. أما القبة فقد تمّ إكساؤها مِن الخارج بصفائح نحاسية مطلية بالذهب الإبريز.

وقد تمّ في زاويتين مِن الصحن إنشاء مئذنتين، كل منهما بارتفاع خمسين متراً، وكسيت بالقاشاني المعرّق تتخلله أسماء الله الحسنى.

المجمع الثقافي للسيدة زينب عليها السلام

وأخيراً أسس المسؤولون عَن المقام مركزاً ثقافياً في الزاوية الشمالية الشرقية مِن الصحن، باسم (مجمَع السيدة زينب للمعلومات والأبحاث) يضم مكتبة عامرة، تهتم بتراث أهل البيت والسيدة زينب عليها السلام خُصّصت للدارسين والباحثين، فيها ما لا يقل عن عشرين ألف كتاب، إلى جانب قاعة محاضرات تقام فيها محاضرة كل شهر تتناول كل ما يهم واقع العرب والمسلمين.

إن مقام السيدة زينب عليها السلام هو معلم هام مِن معالم بلادنا وأمتنا، التي تصبو إلى الوحدة والحرية، والعزة والكرامة، في ظل القيادة الراشدة الرائدة.

دمشق في ٦/٦/٢٠٠١

كما طلبت مني مجلة (فارس العرب) موضوعاً عن السيدة رُقيّة عليها السلام فكتبت:

رقية بنت الحسين عليه السلام ومرقدها عند باب الفراديس بدمشق

مسير السبايا والرؤوس مِن الكوفة إلى دمشق

كانت الرحلة شاقة وطويلة، رحلة السبايا.. سبايا أهل البيت عليهم السلام بقيادة العقيلة زينب عليها السلام وصحبةِ الإمام زين العابدين عليه السلام المريض الَّذي شارف على الموت.. لقد أركبوهم على جمال بدون وِطاء، وسيَّروهم مِن أطول طريق آهل بالسكان. وقد استغرقت هذه المسيرة مِن الكوفة إلى دمشق نحواً مِن ١٤٠٠ كم، مروراً ببغداد والموصل، فالرقة وحلب، فحمص وبعلبك، فدمشق.

حقاً لقد كانت مسيرة «ركب السبايا» مِن أهل البيت عليهم السلام بعد معركة كربلاء شاقة وطويلة، وكان فيمن حوى هذا الركب عدة أخوات للإمام الحسين عليه السلام منهن زينب العقيلة وأم كلثوم زينب الصغرى، وعدة بنات للحسين عليه السلام هنّ فاطمة وسكينة، ومعهن طفلة صغيرة عمرها أربع سنوات، كانت كلما حلّ الهلع والفزع لاذتْ بعمتها زينب عليها السلام، هي رُقَيَّة بنت الحسين عليه السلام. أما الإمام زين العابدين عليه السلام فقد كان

ملقى على جمل أظلع (أي أعرج) ويداه مقيدتان إلى عنقه بالجامعة. وظل لا يتكلم مع القوم بكلمة حتى وافوا دمشق.

دخول السبايا والرؤوس إلى دمشق والمواقع التي أوقفوهم فيها

أجمعت الروايات التاريخية على أن دخول ركب السبايا والرؤوس إلى دمشق كان مِن (باب توما) في الأول مِن صفر عام ٦١ هـ، وكان عدد الرؤوس سبعة عشر رأساً. ثمّ مرّوا بهم على الساحة الكبرى (آغورا) التي كانت في شرق المسجد الجامع، ويصلها بالمسجد شارع مستقيم هو طريق النوفرة، حتى وصلوا إلى باب جيرون الداخلي، فأوقفوهم عنده ساعة، وهو باب آرامي قديم، يتألف مِن باب كبير أوسط، وبابين جانبيين صغيرين، أحدهما مِن جهة الجنوب والآخر مِن جهة الشمال.

ثمّ ساقوهم حتى وقفوا عند باب الفراديس (الآرامي)، ثمّ أوقفوهم عند باب الساعات، وهو في نظري باب الفراديس (العموري)، وكلا البابين غير موجود اليوم. ثمّ جرّوهم حتى أوقفوهم على درج المسجد الجامع وهم مربقين بالحبال. ثمّ جاء الأمر مِن يزيد بإدخالهم عليه، فدخل السبايا إلى قصر يزيد مِن باب هو الآن مسدود، ويقع إلى يمين الصاعد على الدرج في الجدار المتصل مِن القصر بالجامع، وتظهر آثاره في الحائط بشكل واضح، فلما صار المكان الَّذي خلفه مسجداً سدّوا الباب وبنوا خلفه محراب المسجد.

ثمّ عُرض السبايا على يزيد، وقد أحضر رأس الحسين عليه السلام بين يديه. فشرع يضرب ثناياه بمخصرته، ويشفي كيده وحقده على الإسلام ورموزه، ويفتخر أنه أخذ بقتل الحسين ثأر أجداده الكفرة الَّذينَ قتلوا في

(بدر)، متمثلاً بأبيات ابن الزبعرى المشرك حيث يقول:

ليت أشياخي ببدر شهدوا
جزَعَ الخزرج مِن وقع الأَسَلْ
لأَهَلُّوا واستهلُّوا فرحاً
ثمّ قالوا: يا يزيدُ لا تُشَل
قد قتلنا القَرم مِن ساداتهم
وعدلناهُ ببدر فاعتدل
لستُ مِن خُندفَ إن لم أنتقم
مِن بني أحمدَ ما كان فعل
لعبتْ هاشمُ بالملك فلا
خبرٌ جاء ولا وحيٌ نزل

السبايا في خربة الشام

ثمّ أمر يزيد بالسبايا فوضعوا في خربة عند باب الفراديس (العمارة)، وهي عبارة عن مسجد مهدّم يكاد سقفه أن يقع على مَن فيه. وظل زين العابدين وزينب العقيلة والسبايا عليهم السلام في هذه الخربة، إلى أن خطب الإمام زين العابدين عليه السلام خطبته المشهورة في باحة المسجد الجامع يوم الجمعة، وانكشف الأمر للناس بأن المقتول الَّذي سبيت نساؤه ليس هو خارجياً كما ادعى يزيد، وإنما هو الحسين بن فاطمة عليهما السلام سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وريحانته مِن الدنيا، وسيد شباب أهل الجنة بإجماع المسلمين، وأحد الخمسة المطهرين في القرآن الَّذينَ نزلت فيهم آية التطهير في سورة الأحزاب.

عند ذلِكَ خاف يزيد مِن غضب المسلمين، فبدأ يقرّب زين

العابدين عليه السلام، ونقلَ السبايا إلى قصره، وضم النساء إلى نسائه.

وفي هذه الخربة حدثت حادثة مؤلمة، وفاجعة موجعة، أبكت كل عدو وصديق.

وفاة رقية عليها السلام

لقد كان أرامل أهل البيت عليهم السلام يخفين عن أطفالهنّ وصغارهن مقتل الحسين وعترته عليه السلام، فإن بكى يتيم منهم أو يتيمة وطلب أباه قالوا له: إنه في سفر وسيرجع. وكانت الطفلة رقية مِن يوم استشهاد أبيها الحسين عليه السلام في كربلاء ما عادت تراه، فعظم ذلِكَ عليها واشتاقت لأبيها.

وفي ليلة مِن الليالي، وبينما كان السبايا ينامون في الخربة، رأت رقية مناماً، وانتبهت وهي تصيح: أريد أن أرى أبي، لقد رأيته في المنام بصورة مزعجة. وقد حاول أهل البيت عليهم السلام إسكاتها، لكنها زادت حزناً وبكاء. فعظم ذلِكَ على أهل البيت عليهم السلام، فضجوا بالبكاء معها وجددوا الأحزان، وقام الصياح.

فسمع يزيد الضجة مِن قصره القريب، فقال: ما الخبر؟. قالوا: إن للحسين بنتاً صغيرة وتريد أن ترى أباها. فأمر يزيد بأن يُرسَل إليها رأس أبيها، فجاؤوا به وهو على طبق مغطى بمنديل أخضر. فلما اقتربوا مِن رقية قالت: أنا لا أريد طعاماً، أريد أبي!. فكشفوا لها عن الطبق، فإذا بها ترى رأس أبيها مقطوعاً، فضمّته إلى صدرها، وجعلت تقبّله وتناغيه، وبكت بكاء شديداً حتى غشي عليها. فلما حرّكوها وجدوها قد فارقت الحياة.

ثمّ أمر يزيد بتغسيلها وتكفينها ودفنها في (الخربة). فصار هذا المكان مهوى أفئدة المؤمنين، على مرّ الأيام والسنين. وتحوّل المكان مِن خربة مهدمة إلى مسجد عامر يؤمّه الناس مِن الخافقين.

هذا وقد ظهرت كرامات كثيرة لهذا المرقد الشريف خلال العصور، نذكر منها ما حدث عند إصلاح القبر في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي.

ترميم مرقد السيدة رُقَيّة عليها السلام

من الحوادث الهامة التي حدثت في تلك الفترة تجديد وترميم مرقد السيدة رقية بنت مولانا الحسين عليه السلام داخل باب الفراديس، وذلك أن النهر المار بجانب السور قد تسلل إلى القبر الشريف وكاد يتلفه، فكان لابدّ مِن إصلاحه.

قصة الترميم وملابساتها:

هناك أربع روايات حول هذه الحادثة تدور كلها حول فلك واحد، مما يدل على تواترها واشتهارها، وسوف نقتصر على ذكر هذه الرواية المفصلة الشاملة التي وجدتها في كتاب (منتخب التواريخ لمحمد هاشم خراساني، ص ٣٦٥) باللغة الفارسية، فقمت بترجمتها، وهي أجمع الروايات الأربع[١].

قال الشيخ الخراساني:

مِن القبور المباركة في دمشق مرقد رقية بنت الحسين عليه السلام

(١) تجد هذه الروايات الأربع كاملة في كتابنا (موسوعة كربلاء) ج٢ ص ٨١٨ وما قبلها.

المدفونة في خرابة الشام. وقد ذكر لي العالم الجليل الشيخ محمّد علي الشامي، وهو مِن جملة العلماء والدارسين في النجف الأشرف، أن جده لأمه جناب السيد إبراهيم [مرتضى] الدمشقي، والذي ينتهي نسبه إلى الشريف المرتضى علم الهدى، وكان عمره نحو تسعين عاماً، وله ثلاث بنات وليس له ذكور؛ رأت بنته الكبرى في النوم السيدة رقية بنت الحسين عليهما السلام، وقالت لها: قولي لأبيك أن يقول للوالي أن الماء سقط بين قبري ولحدي، وأن بدني قد تأذّى، وأنه يلزم أن يعمّر قبري ولحدي.

نقلت البنت ذلِكَ لأبيها، وكانت للأب علاقات طيّبة مع أهل السنّة في دمشق، وكان يتحاشى إثارة الحساسيات معهم، فلم يهتم برؤيا ابته.

في الليلة الثانية رأت البنت الوسطى نفس المنام، فذكرته لأبيها فلم يكترث به أيضاً. وفي الليلة الثالثة رأت البنت الصغرى نفس المنام، وقصته عَلى أبيها فلم يهتمّ به، وطوى القصة!.

في الليلة الرابعة رأى الأب نفسه السيدة رقية عليها السلام في نومه، قالت له بنحو العتاب: لماذا لم تخبر الوالي بالأمر الَّذي طلبته منك؟!.

عندما استيقظ السيد إبراهيم ذهب لعند والي الشام [العثماني] وقصّ عليه رؤياه. فأمر الوالي جميع علماء وصلحاء الشام مِن السنّة والشيعة بأن يغتسلوا ويلبسوا الثياب الطاهرة النظيفة، وقال لهم: إن الَّذي ينفتح عَلى يده القفل المضروب عَلى باب الحرم المقدس، فهو الَّذي يدخل إلى الضريح وينبشه، ويخرج جسد السيدة رقية عليها السلام، ويحملها ريثما يتمّ تعمير قبرها.

بعد أن قام علماء وصلحاء الشيعة والسنة بآداب الغُسل كاملة،

ولبسوا أنظف وأطهر الثياب، اجتمعوا وحاولوا فتح القفل فلم ينفتح عَلى يد أحد منهم، ما عدا السيد إبراهيم.

وعندما صار الجميع داخل الحرم وحاولوا الحفر حول الضريح، لم يؤثّر معول أي واحد منهم أبداً، ما عدا معول السيد إبراهيم. ثم أفرغوا الحرم مِن الناس، وعندما فتح السيد إبراهيم اللحد، رأى جسد السيدة رقيةعليها السلام ضمن كفنها صحيحاً وسالماً، لكن الماء الكثير كان قد تجمع داخل لحدها. ثم أخرج السيد الجسد اللطيف مِن اللحد، وجلس واضعاً إياها عَلى ركبتيه. وظل محتفظاً بها عَلى ركبتيه ثلاثة أيام وهو يبكي دائماً، حتى تمّ تعمير القبرالشريف. وفي أوقات الصلاة كان يضعها عَلى شيء طاهر ريثما يقضي فرض الصلاة، ثم يعيدها إلى حضنه. وعند انتهاء العمار أرجع السيد جسد الطفلة إلى لحدها ودفنها.

ومن كرامات السيدة رقيةعليها السلام أن السيد إبراهيم ظل أثناء الأيام الثلاثة لايحتاج إلى طعام ولا شراب، وأنه ظل طاهراً لا يحتاج إلى تجديد وضوء للصلاة، وهو لم ينم لحظة.

بعد دفن رقيةعليها السلام دعا السيد إبراهيم ربه أن يرزقه غلاماً ذكراً، فاستجاب اللّهُ دعاءه، ورغم كبر سنّه أنجب له صبياً سمّاه سيد مصطفى.

أقول: وحين خرج السيد إبراهيم مِن المرقد الشريف كان شعر رأسه قد ابيضّ مِن هول الحادثة. ولما توجه إلى داره جاءه أهل الشام وشرعوا يمزقون قميصه، ويأخذون منه قطعاً للبركة، ولم يكمل تلك السنة حتى توفي.

وبعد ذلِكَ أرسل الوالي بتفصيل هذه الحادثة المباركة إلى السلطان عبد الحميد، فأمر الوالي بتولية السيد إبراهيم عَلى مرقد السيدة رقية وزينب وأم كلثوم وسكينةعليهن السلام.

وكان ذلِكَ في حدود سنة ١٢٨٠ هـ [١٨٦٤ م].

وصف مرقد رقية عليها السلام

مرّت على مرقد السيدة رُقَيّة عليها السلام عدة عمارات؛ منها العمارة السابقة عام ١٨٦٤ م، وقد أشار إلى الحادثة الشبلنجي في (نور الأبصار).

ثمّ جرى تجديد القبر عام ١٩٠٦ بأمر مِن الميرزا علي أصغر خان وزير الصدارة في إيران. ثمّ قام بتجديد الواجهة الأمامية للمقام السيدان محمّد علي وكامل نظام عام ١٩١٧.

وقد أهدى مجمع بني الزهراء في طهران عام ١٩٦٨ قفصاً فضياً رائعاً لمرقدها الشريف. وقد نقش الخطاط على الضريح الفضي بعض الأحاديث والأشعار، منها قول الزمخشري:

كثرَ الشكّ والخلاف وكلٌّ
يدّعي الفوزَ بالصراط السويّ
فاعتصامي بلا إلهَ سواهُ
ثمّ حبّي لأحمد وعليّ
فازَ كلبٌ بحبِّ أصحاب كهفٍ
كيف أشقى بحبِّ آلِ النّبيّ

ومن الملاحظ أن هذا الضريح الفضي الصغير لا يزال باقياً إلى اليوم ضمن الضريح الجديد الذي نُصب حديثاً على قبرها.

وفي الفترة الأخيرة تداعى صفوةٌ مِن المؤمنين الأخيار لتوسيع المقام وتعميره بعد أن ضاق بالزوار، فاشتروا بعض البيوت المجاورة وضموها إلى المقام الذي اكتمل عام ١٩٩٠. وقد وسّع المقام إلى أضعاف مساحته

الأولى، وأقيمت فوقه قبّة شامخة ومئذنة عالية. وأسست الإيوانات المحيطة والصحن الكبير لاستيعاب الزائرين، إضافة إلى جامع ملاصق للقبر الشريف.

ويزيّن الضريحَ القفصُ الفضي الجديد الذي جُلب خصيصاً مِن إصفهان في الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وقد نُصب عام ١٩٩٤.[1]

كلّ ذلِكَ تعظيماً للطفلة رُقَيّة وتشرّفاً بها، باعتبارها ابنةً للحسين عليه السلام وبَضعة منه، واللّهُ يقول:

﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾.

ويقول: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾.

وإن مِن أعظم الأعمال قربةً إلى الله تعالى أن نجعل مقامات ومراقد أهل البيت عليهم السلام بيوتاً للعبادة؛ يُذكر فيها اسم الله، ويُبتهل فيها إلى الله بالدعاء والصلاة، مصداقاً لقوله تعالى في سورة النور:

﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾.

صدق اللّهُ العليّ العظيم

(١) رقية بنت الحسين عليهما السلام ومقامها في دمشق للسيد عامر الحلو، مِن ص ٦٤ ـ ٧٣ ط٢.

استطلاع مصور/ (حول مسير السبايا والرؤوس في دمشق وما حولها)

يتضمن:

(١).إقامة السبايا ثلاثة أيام في مقبرة باب الصغير خارج سور دمشق

(٢).دخول السبايا والرؤوس من باب توما إلى الساحة الكبرى (آغورا) في طريقهم إلى قصر يزيد والمسجد

(٣).وقوف السبايا ساعة عند باب جيرون، ثم ساعة عند باب الفراديس، ثم ساعة عند باب الساعات. ثم وضعهم على درج المسجد ريثما يسمح لهم بالمثول بين يدي يزيد في قصره

(٤).إقامة السبايا في خربة الشام عند باب الفراديس، ووفاة رقية عليها السلام. وزيارة زينب العقيلة وزين العابدين عليه السلام لمسجد الأقصاب في طريق العمارة

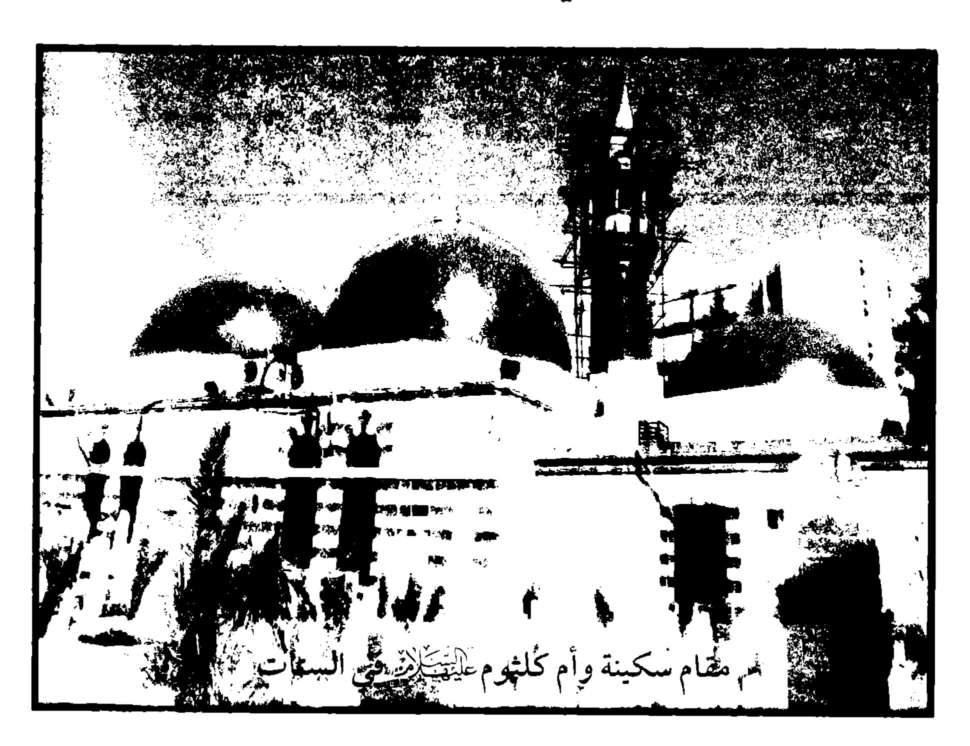
(٥).نقل السبايا من الخربة إلى قصر يزيد.

(٦).زيارة مشهد رأس الحسين عليه السلام الذي هو جزء من قصر يزيد

(٧).دفن الرؤوس الستة عشر في مقبرة باب الصغير

(٨).مرقد زينب العقيلة عليها السلام.

١. إقامة السبايا ثلاثة أيام في مقبرة باب الصغير خارج سور دمشق


مقام سكينة وأم كلثوم عليهما السلام في السمات

الشرح:

وصل سبايا أهل البيت عليهم السلام إلى دمشق آتين من جهة الغرب محاذين لنهر بردى، فمروا بالهامة ودمر والربوة. حتى إذا صاروا على أبواب دمشق أمر يزيد بإبقائهم خارج دمشق ثلاثة أيام ريثما يتم تزيين العاصمة لإقامة موكب النصر فيها.

فلم يجدوا أفضل من إيداعهم في مقبرة باب الصغير، فمرّ بهم شمر بن ذي الجوشن من طريق كثير النظارة ملاصق للسور من الخارج هو الطريق الممتد من باب الجابية إلى باب الصغير ويدعى

اليوم (شارع البدوي). وفي أثناء مرورهم بهذا الطريق الغاص بالسكان صار أهله يقذفونهم بالشتائم والسباب، فدعت زينب العقيلة عليهم أن تفضح نساؤهم وتفتح أبوابهم، فصارت بيوتهم محالاً للفجور. وبات السبايا عليهن السلام في قبرة باب الصغير ثلاثة أيام يأكلون ويشربون ويصلون وينامون فصارت تلك الرحاب مقدسة، وترك فيها السبايا مقامات، مثل مقام سكينة بنت الحسين عليها السلام ومقام أم كلثوم بنت علي عليه السلام أمها أم ولد. وهذه مقامات وليست قبوراً لهم، لأن الثابت أن كل السبايا رجعوا إلى المدينة وتوفوا فيها، إلا زينب العقيلة فقط التي رجعت مع زوجها عبد الله بن جعفر في ظروف خاصة سنذكرها.

أما القبر الذي يظن العوام أنه قبر سكينة عليها السلام فالظاهر أنه لاِمرأة صالحة متأخرة زمنياً.

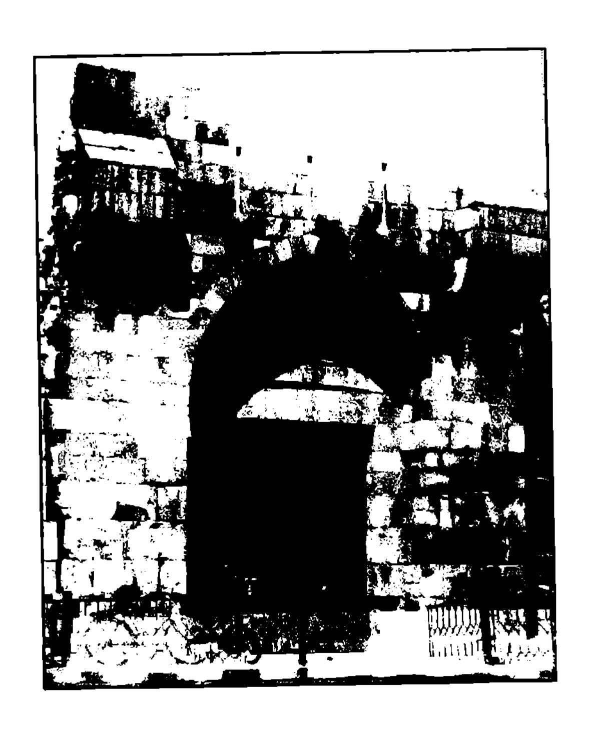
يؤكد ذلك ما كتب على الضريح الخشبي بالخط الكوفي من العصر الفاطمي: هذا قبر سكينة بنت الملك [فلان] والكلمة أصابها الخراب.



مسجد زين العابدين عليه السلام في الستات

هذا ويوجد على يسار الداخل إلى مقام سكينة وأم كلثوم عليهما السلام مسجد هو مقام الإمام زين العابدين عليه السلام حيث أقام في تلك الرحاب. وهو مسجد قديم جدّد حديثاً.

٢. دخول السبايا والرؤوس من باب توما إلى الساحة الكبرى (آغورا) لإقامة مهرجان النصر



وبعد ثلاثة أيام أمر يزيد بإدخال السبايا والرؤوس إلى داخل دمشق، فداروا بالسبايا خارج السور من باب الصغير إلى باب كيسان إلى باب شرقي حتى وصلوا باب توما. وقد أجمعت الروايات على دخولهم من باب توما، وذلك لأنه الباب الذي يفضي إلى الساحة الكبرى (آغورا) التي تمت فيها إقامة مراسم الاحتفال بالنصر.

أول ما أشرف من باب توما رأس الحسين عليه السلام يشرق منه النور وهو على الرمح، ثم اشرفت السبايا مهتكات على النياق بلا وطاء ولا غطاء. ثم أقبلت الرؤوس وعددها ١٦ رأساً، يقدمهم رأس العباس عليه السلام ثم جعفر بن علي عليه السلام... إلخ. وكلهم من أهل البيت عليهم السلام ما عدا رأساً واحداً هو رأس الصحابي حبيب بن مظاهر (رضي الله عنه).

وتضم الساحة العامة اليوم حي الإمام الصادق عليه السلام حيث أقام يزيد وأعوانه مهرجان النصر بدءاً من هذه الساحة التي تؤدي إلى طريق النوفرة الذي ينتهي بباب جيرون الداخلي ثم المسجد الجامع وقصر يزيد وكان الوزراء والأعيان قد أقاموا مراسم الزينة والفرح، واصطف أفراد الجيش على جانبي الطريق يضربون البوقات ويهتفون بأهازيج النصر، ويضربون بالسيف والترس.

٣.وقوف السبايا والرؤوس عند ثلاثة أبواب

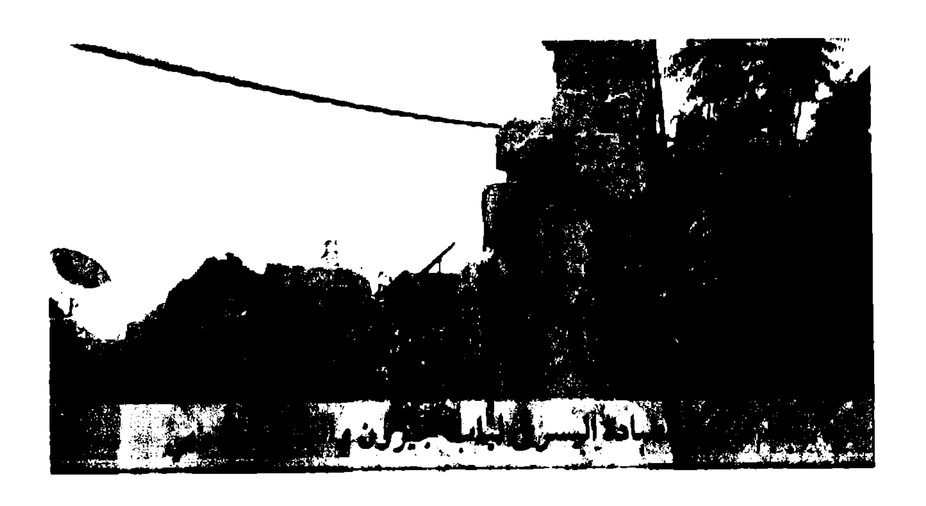


الفرع الشمالي لباب جيرون

المحطة الأولى: باب جيرون الأوسط

ومرَّ موكب السبايا والرؤوس عبر الساحة العامة ثم طريق النوفرة

حتى وصلوا إلى باب ضخم هو باب جيرون، وهو يتألف من ثلاثة أبواب: باب في الأوسط كبير وباب صغير من اليمين (شمالي) وباب صغير من اليسار (جنوبي). ويؤدي هذا الباب إلى سوق ضيق هو سويقة جيرون الذي ينتهي إلى درج المسجد الجامع.



وكان هذا السوق دهليزاً مؤلفاً من ثلاثة طرق: طريق رئيسي في الأوسط، وطريقان فرعيان عن اليمين واليسار، وكلها تؤدي إلى المسجد الذي كان معبداً في عهد الرومان. وكان هذا الطريق مغطى بسقف على هيئة دهليز يؤدي إلى المعبد وطوله ١٢٠ متراً.

وقد تهدمت قنطرة الباب الكبير الأوسط نتيجة الزلازل والحروب، أما الفرخان الجانبيان فقد غطى عليهما ارتفاع أرض دمشق، فقد ارتفعت من عهد الرومان إلى الاسلام حوالي مترين، وارتفعت من عهد يزيد إلى اليوم حوالي مترين، بحيث غمير الفرخان ولم يبق من أحدهما فوق الأرض أكثر من شبر.

وقد أوقفوا السبايا والرؤوس عند باب جيرون ساعة. ودخل حامل رأس الحسين عليه السلام من الباب ووقف عند العضادة اليمنى، ومن كثرة

الزحام اهتز رمحه فسقط الرأس الشريف على الأرض، فبني في مكان سقوطه مسجداً سمي (مسجد السَّقط).

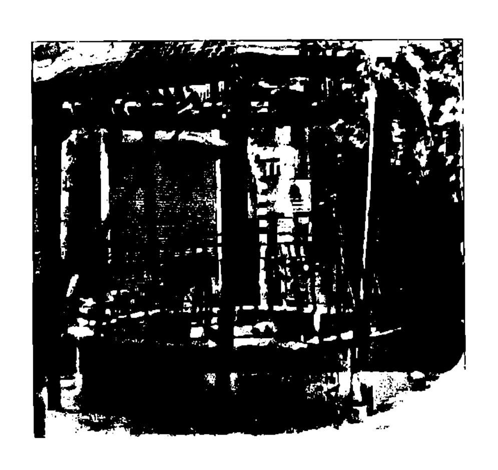

مسجد السَّقط

وقد مرت على هذا المسجد أحداث مريعة عبر التاريخ، فتارة يعمرّه المحبون لأهل البيت عليهم السلام من السنة، ثم يخرب بعض الواصب، وهكذا حتى جاء عهد الأمير قايتباي، وكان الدخول إلى هذا المسجد يتم عن طريق الفرخ الشمالي، فأصدر مرسوماً بإغلاق المسجد وكتب فرمان الإغلاق على الباب، وهو ما يزال منقوشاً على أسكفة الفرخ الشمالي (انظر الشكل السابق).



طة الثانية: باب الفراديس (الروماني)

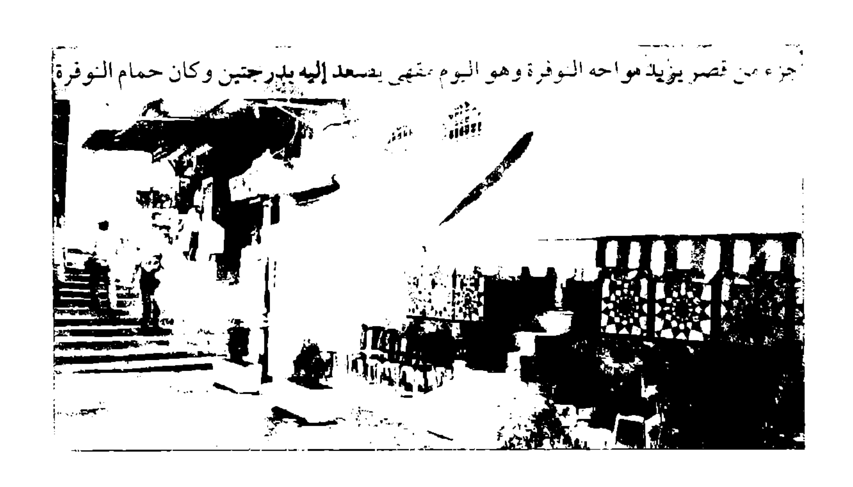
ثم ساقوا السبايا والرؤوس إلى باب الفراديس (العمارة) المجاور لمرقد رقية عليها السلام حيث أوقفوهم ساعة. ثم داروا بهم إلى باب الساعات (وهو باب الفراديس العموري حسب ترجيحنا) وأوقفوهم ساعة. ثم سحبوا السبايا وأوقفوهم على درج المسجد ليتفرج عليهم الناس.



وقبل أن يصلوا إلى الدرج مروا على بركة صغيرة فيها نوفرة، وكانت تتدفق بالماء الزلال، فطلب نسوة أهل البيت عليهم السلام شربة ماء للأطفال، فأبوا أن يشربوهم.


درج المسجد الجامع

ثم أوقفوا السبايا على درج المسجد الجامع وهم مقيدون بالحبال ليتفرج عليهم الناس، والإعلام الأموي يشيع بين الناس أن خارجياً خرج على أمير المؤمنين يزيد فقتله وهؤلاء نساؤه وأطفاله.



جزء من قصر يزيد مواجه النوفرة وهو اليوم مقهى يصعد إليه بدرجتين وكان حمام النوفرة



الحائط الشرقي لقصر يزيد ذو المداميك الضخمة

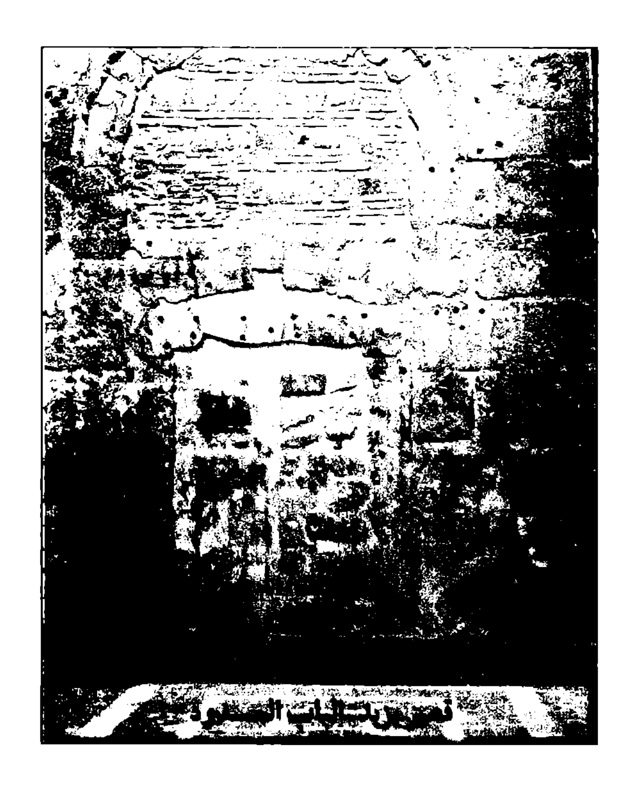
قصر يزيد

عند مرورنا في سويقة جيرون وقبل وصولنا إلى النوفرة ودرج المسجد نجد مفرقاً إلى اليمين يحدد الحائط الشرقي لقصر يزيد ذا الأحجار الضخمة المميزة، ويمتدّ هذا القصر ليلتصق بالمسجد. ولهذا القصر الذي اتخذه يزيد لأهله ومبيته عدة أبواب من الإمام ومن الخلف، وهو اليوم يضم عدة بيوت ومحلات ودكاكين منها حمام النوفرة الذي أصبح اليوم مقهى يصعد إليه بعد درجات.

وإذا صعدنا على درج المسجد إلى آخره، وانعطفنا إلى اليمين نجد حائطاً لقصر يزيد يظهر فيه باب كان موجوداً ثم سدّوه.



أحد أبواب قصر يزيد الخلفية في الواجهة الشمالية ونرى إلى اليمين مئذنة العروس في الضلع الشمالي للمسجد



من هذا الباب أدخل يزيد السبايا والرؤوس إلى مجلسه، وأحضر الرأس الحسين عليه السلام وجعل يضرب ثغره وأسنانه بعصاه ويتمثل بشعر ابن الزبعرى المشرك.

وفي هذا المجلس خطبت زينب العقيلة عليها السلام خطبتها الشهيرة، تبين فيها فظاعة أعمال يزيد، وترجمه بحجمها اللاهبة.

واحتفظ يزيد برأس الحسين عليه السلام تلك الليلة في إحدى غرف قصره.

٤. إقامة السبايا في خربة الشام عند باب الفراديس



مرقد السيدة رقية (عليها السلام) عند باب الفراديس



مرقد السيدة رقية (عليها السلام) القفص المطهر

وبعد انفضاض المجلس وضع يزيد السبايا مع زين العابدين عليه السلام في بيت خرب يكاد سقفه يسقط، فأقاموا فيه مدة حتى تقشرت جلودهم.

ويقع هذا المبنى بين باب الفراديس الآرامي وباب الفراديس الروماني.

وكانت مع السبايا ابنة صغيرة الحسين عليه السلام اسمها رقية وعمرها أربع سنوات، وكانت كلما سألت عن أبيها الحسين عليه السلام قالوا لها: إنه مسافر. وأثناء إقامتهم في الخربة استفاقت رقية عليها السلام وقد رأت مناماً مزعجاً، رأت أباها بمنظر كئيب، فصارت تعول وتقول: أريد أبي، أريد أن أرى أبي. فتأثر السبايا من قولها وبدأن بالبكاء والنحيب. فسمع يزيد من قصره القريب ضجة في الخربة، فسأل عنها، فقالوا: ابنة الحسين تريد رؤية أبيها. فقال: الأمر بسيط، خذوا رأس أبيها وأعطوها إياه. فوصفوا الرأس على طبق وجللوه برداء، فلما جاؤوها قالت: لا أريد طعاماً، أريد أبي. فكشفوا الغطاء ورموا إليها الرأس، فاحتضنته، وشرعت تكلمه وتناغيه وتبكي حتى فارقت الحياة، فدفنت في موضع شهادتها.

واليوم قد تحول المكان الذي كان خربة إلى مقام مهيب ومسجد رحيب يؤمه المسلمون من كل مكان.



مئذنة مسجد الأقصاب في حي العمارة

ولا يبعد أن تكون زينب برفقة زين العابدين عليه السلام كانا يزوران مرقد أجساد حجر بن عدي ورفاقه الذين قتلهم معاوية في مرج عذراء، ودفن رؤوسهم هناك، ثم سحل أجسادهم في شوارع دمشق، ثم دفن أقصابهم الباقية في مسجد في حي العمارة يدعى منذ القديم (مسجد الأقصاب) ويوجد في داخله قبر كبير دفنت فيه أقصاب هؤلاء الشهداء وعددهم سبعة، وقد أثبتت أسماؤهم على شباك ذلك المرقد، وزعيمهم حُجر بن عدي الكندي رضوان الله عليه. والذي يؤكد زيارة زينب عليها السلام لذلك الموقع، أنه يطلق عليه في الكتب اسم (مسجد الأقصاب الزينبية).



وإذا أردت زيارة هذا الموقع وكنت في مرقد السيدة رقية عليها السلام، فاخرج من باب الفراديس المجاور لمرقدها، وانعطف إلى اليمين (الشرق) فتجد على بعد مائة متر مسجد الأقصاب، المتميز بمنارته العالية من الطراز المملوكي.

ولما جاء يوم الجمعة أحضر يزيد زين العابدين معه إلى صحن المسجد، وكان الثلث الشرقي من المعبد قد اتخذه المسلمون مسجداً وسموه مسجد الصحابة، بينما الثلث الغربي من المعبد كنيسة باسم

كنيسة يوحنا المعمدان، وذلك قبل أن يشتري الوليد بن عبد الملك الكنيسة ويضمها إلى المسجد، ويجعله بناء واحداً باسم المسجد الجامع.



قبة زين العابدين (عليه السلام)

وطلب الحاضرون من يزيد أن يسمح لزين العابدين عليه السلام بالخطاب، فأذن له، وصعد على أعواد عند القبة الشرقية الموجودة في صحن المسجد اليوم والمسماة قبة زين العابدين. وخطب خطاباً أذهل أهل الشام وانكشف لهم عندها أن المقتول ليس خارجياً وإنما هو الحسين بن فاطمة الذي جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فبدأت حملات الاستنكار تنهال على يزيد.

٥. نقل السبايا من الخربة إلى قصر يزيد

ولكي يمتص يزيد النقمة عليه، نقل السبايا وزين العابدين عليه السلام إلى بيته الخاص في قصر يزيد، فاستقبلتهم زوجته هند بنت عبد الله بن كريز وكانت خادمة في بيت علي عليه السلام وهيأت لهم كل أسباب الراحة، وسمح لهم يزيد أن يقيموا العزاء على الحسين عليه السلام ثلاثة أيام في قصره.



وإذا أردنا الوصول إلى هذا المشهد نصعد على درج المسجد من ناحية الشرق فنجد باباً ضخماً هو باب جيرون للمسجد، وله من اليمين باب صغير، ومن اليسار باب آخر. وتظل هذه الأبواب موصدة طول اليوم، لكن الباب الأيسر يفتح عند كل صلاة.

إذا دخلنا من هذا الباب إلى صحن المسجد وانعطفنا إلى اليمين نجد باباً كتب عليه (مشهد رأس الحسين).

ونرى اليوم في قصر يزيد المكان الذي كان يصلي فيه زين العابدين عليه السلام والمكان الذي بات فيه رأس الحسين عليه السلام ليلة في قصر

يزيد، وذلك في الناحية الشرقية من المسجد الجامع المسماة (مشهد رأس الحسين).


مصلى زين العابدين (عليه السلام)

هذا المكان يتألف من ثلاثة مشاهد: الأول مشهد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وهو جزء من المسجد. فإذا دخلنا منه إلى الغرفة الثانية نكون قد دخلنا إلى قصر يزيد، وتسمى هذه الغرفة مشهد الإمام زين العابدين عليه السلام وفيها المكان الذي صلى فيه زين العابدين عليه السلام عندما نقل يزيد السبايا من الخربة إلى قصره، وهو عبارة عن غرفة زجاجية صغيرة فيها محراب. ونلاحظ بعد ذلك كوة في الجدار تفضي إلى المكان الذي وضع فيه رأس الحسين عليه السلام وبات ليلة في قصر يزيد. فقامت هند زوجة يزيد واستنكرت من زوجها وضعه الرأس في بيتها، فنقله في الصباح وعلقه على باب القصر.

وحين سألت هند زوجة يزيد السبايا عن الظروف التي قتل فيها الحسين عليه السلام والشهداء، وعلمت أنهم استشهدوا عطاشى أمرت بأن يقام في كل شارع من شوارع دمشق القديمة سبيل ماء لإرواء العطشى. فكانت لها مأثرة كبيرة على مرِّ الزمن.



الكوة مكان بيت رأس الحسين (عليه السلام) [illegible] قصر يزيد ليلة واحدة.



وفي الغرفة الثالثة شبه المربعة التي هي مشهد رأس الحسين عليه السلام نشهد إلى اليسار القفص الفضي الذي في داخله عمامة تمثل مكان وضع

الرأس المقدس.

ولكل غرفة من المشاهد الثلاثة محراب، ونلاحظ أن محراب مشهد زين العابدين عليه السلام يقابل من الخارج الباب المسدود.


مشهد رأس الحسين (عليه السلام) والقفص اللمي


المحراب ... سدود

٦. دفن الرؤوس الستة عشر في مقبرة باب الصغير



فخذ يزيد مقابل جامع جراح

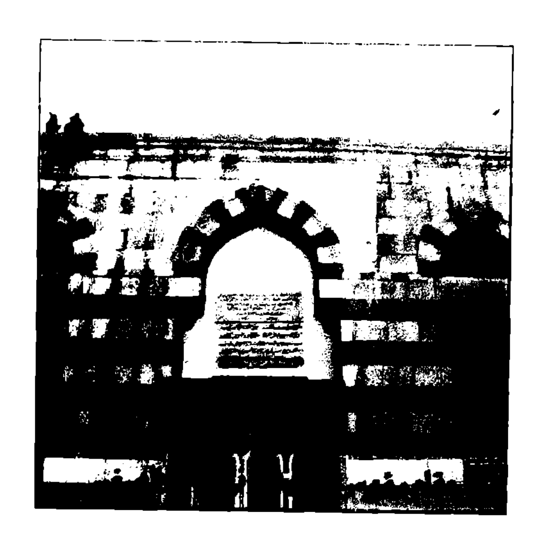
للذهاب إلى مقبرة باب الصغير من حي الأمين، نأتي إلى دوار الخضرة، ثم نسلك الطريق المؤدي إلى جامع أبي ذر الغفاري (إلى الغرب) ولعل هنا كان يقيم أبو ذر عندما ورد إلى معاوية في الشام في خلافة عثمان.

ثم نتابع السير فنصل إلى جامع السروجي، وهو من أولياء الشام.

ونتابع السير حتى نقترب من مقبرة باب الصغير، فنجد إلى اليسار جامعاً كبيراً اسمه (جامع جراح) فإذا تخطيناه قليلاً ونظرنا إلى اليمين نجد غرفة كان يوقد فيها الموقد لنفخ الزجاج هي المكان الذي دفن فيه فخذ يزيد. ثم صارت دكاناً للنسيج، واليوم هي مستودع. وقد أكد لنا آباؤنا أن أهل الشام كانوا إذا مروا بهذه الغرفة التي ليس لها سقف

يضربون عليها حجراً ويعلنون البراءة من يزيد ويقولون: الله يلعن يزيد.

ذلك أن يزيد كان يتلهى مع اصحابه في مشارق حمص حين نفرت به فرسه فسقط عنها وصار يتشحط بدمه حتى رميت جثته على الأرض، وعاد الفرس وفخذ يزيد معلقة بالركاب، فأخذت ودفنت في دمشق في هذا الموضع المنزوي عن مقبرة المسلمين، نعلم المسلمين بأنه ليس منهم. وهكذا هلك في يزيد بن معاوية في ظروف غامضة، في أثناء ما كان قائده الذي وجهه إلى مكة المكرمة يضرب الكعبة المشرفة بالصخور والكتل النارية. فالله يمهل ولا يهمل، وبشر القاتل بالقتل ولو بعد حين.



ثم نفرق إلى اليسار فنجد المجمع الديني باسم الشيخ بدر الدين الحسني الذي كانت له صحبة مع السيد محسن الأمين.

ولا نلبث حتى نكون أمام مقامات أهل البيت عليهم السلام في الطرف اليمين، وبعد ذلك بقليل نكون على موعد في الطرف الأيسر لزيارة رؤوس الشهداء الستة عشر. الذين كلهم من أهل البيت عليهم السلام ما عدا حبيب بن مظاهر، فقد أمر يزيد بدفنهم هناك في مكان واحد.

أما رأس الحسين عليه السلام فقد آثر يزيد أن يحتفظ به لأغراض سياسية، ولكي يسيره إلى الأمصار، إمعاناً في التجرؤ على الله والدين؛ فسيره إلى مصر ثم أرجعه إلى دمشق، ثم سيره إلى المدينة ثم أرجعه إلى دمشق، ثم احتفظ به في خزائن بني أمية، حتى قيّض الله من أخذه بعد موت يزيد وأرجعه إلى الجسد الشريف في كربلاء.

٧.مرقد زينب العقيلة عليها السلام في راوية الشام

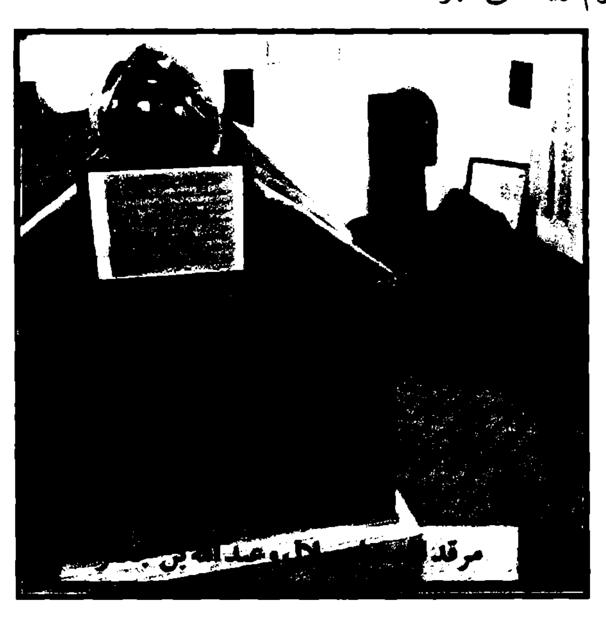


العقيلة تعني الامرأة العاقلة أو ذات العقل الكبير، وهكذا كانت زينب الكبرى ابنة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، التي تقاسمت مع أخيها الحسين عليه السلام أعباء نهضته المقدسة، وقامت بحماية ما بقي من العترة الطاهرة في كربلاء، وسهرت على المحافظة على بقية الإمامة زين العابدين عليه السلام.

وللكلام حول مرقدها الشريف أقول:

اختلف الرواة في قبرها الشريف، فمن قائل في مصر أو الشام أو غيرهما، والصحيح أن زينب التي في مصر ليست زينب العقيلة بنت أمير المؤمنين عليه السلام بل هي كما يذكر المقريزي في خططه ج٣ ص٣٥٢: زينب بنت أحمد بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن محمد بن الحنفية ابن الإمام علي عليه السلام.

وقد علمنا يقيناً أن كل السبايا رجعن مع زين العابدين عليه السلام إلى المدينة. وقد دلت الروايات على أنه حصل قحط في الحجاز، وكانت لعبد الله بن جعفر أرض في قرية راوية جنوب دمشق، فقال لزوجته زينب عليها السلام: ما رأيك بالذهاب إلى هناك حيث اشتهرت هذه القرية بالمياه والأنهار والجو اللطيف؟ فوافقت، فحملها معه إلى هناك. وما أن وصلت حتى تجددت عندها الأحزان وتمرضت وتوفيت سنة ٦٥هـ في عهد عبد الملك بن مروان، فدفنها زوجها في أرضه في راوية الشام حيث مرقدها اليوم ويدعى قبر الست.



ويوجد في رحاب مقبرة باب الصغير الكثير من القبور المنسوبة إلى أهل البيت عليهم السلام والصحابة الكرام. إلا أن أغلبها غير صحيح النسبة، مثل زوجات النبي: أم سلمة وحفصة وأم حبيبة، فالثابت أن كل زوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد التزمن بأمر الله في القرآن في قوله ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ إلا عائشة التي في آخر حياتها وردت إلى دمشق وتوفيت فيها.

هذا ومن القبور الثابتة في (الستات) قبر الصحابي بلال بن رباح، والسيد عبد الله بن جعفر زوج العقيلة زينب عليها السلام الذي لا يستبعد بعد وفاة زوجته في ريف دمشق، أنه أقام في أرضه هناك وكان مريضاً إلى أن توفي. والظاهر أنه دفن بجوار الصحابي بلال لجلالته وعلوّ شأنه.

مصادر الكتاب

١. القرآن الكريم

٢. نهج البلاغة

٣. مقتل الحسين عليه السلام المنسوب لأبي مخنف

٤. مخطوطة مصرع الحسين عليه السلام في مكتبة الأسد

٥. الإمامة والسياسة لابن قتيبة الدينوري

٦. أنساب الأشراف للبلاذري، ج٢

٧. الأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري

٨. تاريخ الطبري، ج٦

٩. كتاب الفتوح لابن أعثم، ج٥

١٠. نور العين في مشهد الحسين عليه السلام للإسفراييني

١١. كتاب الإرشاد للشيخ المفيد

١٢. الخصائص للشيخ المفيد

١٣. الآثار الباقية للبيروني

١٤. مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي

١٥. مناقب آل أبي طالب لابن شهراشوب، ج٣

١٦. معجم البلدان لياقوت الحموي

١٧. الكامل في التاريخ لابن الأثير

١٨. تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي

١٩. مثير الأحزان على قتلى الطفوف لابن طاووس

٢٠. سير أعلام النبلاء للذهبي

٢١. البداية والنهاية لابن كثير، ج٨

٢٢. الخطط والآثار للمقريزي

٢٣. تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني

٢٤. مزارات بلاد الشام للهروي

٢٥. أخبار الدول للقرماني

٢٠. كامل البهائي

٢٧. المنتخب للطريحي

٢٨. مدينة المعاجز للشيخ هاشم البحراني

٢٩. بحار الأنوار للمجلسي، ج٥

٣٠. الإتحاف بحب الأشراف للشبراوي

٣١. ينابيع المودة لسليمان القندوزي، ج٢

٣٢. أسرار الشهادة للدربندي

٣٣. الدمعة الساكبة للدهدشتي

٣٤. القمقام لفرهاد ميرزا

٣٥. الناسخ

٣٦. نفس المهموم للشيخ عباس القمي

٣٧. لواعج الأشجان للسيد محسن الأمين

٣٨. أعيان الشيعة للسيد الأمين، ج٤

٣٩. معالي السبطين للمازندراني، ج٢

٤٠. مقتل الحسين عليه السلام للسيد عبد الرزاق المقرم

٤١. مقدمة مرآة العقول للسيد مرتضى العسكري

٤٢. العيون العبرى للميانجي

٤٣. وسيلة الدارين في أنصار الحسين عليه السلام لإبراهيم الزنجاني

٤٤. منتخبات التواريخ لدمشق لمحمد أديب آل تقي الحصني، ج١

٤٥. مقتل سيد الشهداء لعبد الكريم خان

٤٦. بطلة كربلاء لبنت الشاطئ

٤٧. تاريخ مشهد الإمام الحسين في حلب للسيد حسين يوسف مكي

٤٨. رقية بنت الحسين عليه السلام ومقامها في دمشق للسيد عامر الحلو

٤٩. الأيام الشامية من عمر النهضة الحسينية للشيخ محمد أمين الأميني.

٥٠. كتاب الأعلام للزركي

٥١. خطب الإمام الحسين عليه السلام على طريق الشهادة للمؤلف

٥٢. دمشق القديمة وأهل بيته عليهم السلام للمؤلف

٥٣. موسوعة كربلاء للمؤلف (جزآن ١٥٣٥ صحفة).

المحتوى